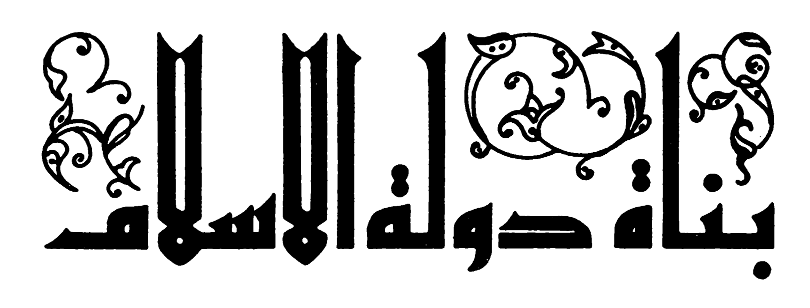


٥١ ـ ٦٠

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيا: اسلاميا

مُقَدِّمَة

الحَمْدُلِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِاللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ **أمابعد** :

فَإِنَّ العَبِيدَ وَالضُّعَفَاءَ الَّذِينَ قَبِلُوا دَعْوَةَ الإِسْلاَمِ فِي أَيَّامِهَا الأُولَى لَمْ يَكُونُوا أَقَلَّ عَطَاءً وَلاَ أَقَلَّ تَضْحِيَةً مِنَ السَّادَةِ الأَقْوِيَاءِ. وَقَدْ أَسْهَمُوا بِالدَّعْوَةِ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ العَمَلِ لَهَا، وَشَارَكُوا فِيهَا حَسْبَ إِمْكَانَاتِهِمْ وَحَسْبَ طَاقَاتِهِمْ وَرُبَّمَا تَعَدُّوْا ذَلِكَ أَحْيَاناً. وَإِذَا كَانَ السَّادَةُ قَدْ تَحَمَّلُوا الأَذَى النَّفْسِيَّ وَأَصَابَهُمْ أَحْيَاناً الأَذَى الجِسْمِيَّ وَلَكِنْ كَانَ بِقَدَرٍ مَقْبُولٍ، وَأَنْفَقَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِ الكَثِيرَ الكَثِيرَ، وَالمَالُ يُعَادِلُ النَّفْسَ فِي غَالِبِ الأَحْيَانِ وَعِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرَ أَنَّ الضُّعَفَاءَ قَدْ شَارَكُوا إِخْوَانَهُمْ مِنَ السَّادَةِ ـ حَسْبَ المُصْطَلَحِ الجَاهِلِيِّ ـ فِي الأَذَى النَّفْسِيِّ، وَضَاعَ عَلَى بَعْضِهِمُ الكَثِيرَ مِنَ المَالِ إِمَّا شَرَاءً لِنَفْسِهِ عِنْدَ الهِجْرَةِ كَصُهَيْبٍ وَإِمَّا أَكَلَهُ الجَاهِلِيُّونَ ظُلْماً وَعُدْوَاناً

كَخَبَّابٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الإِضَاعَةِ، وَكَذَلِكَ شَارَكَ بَعْضُهُمْ فِي التَّعْلِيمِ، كَمَا عَمِلَ الجَمِيعُ فِي التَّرْبِيَةِ فَقَدْ رَبَّى بَعْضُهُمْ أُسْرَتَهُ وَمَنْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ فِي رِعَايَتِهِ كَيَاسِرٍ، وَكَانُوا كُلُّهُمْ قُدْوَةً فِي الصَّبْرِ وَتَحَمُّلِ الأَذَى، وَالاسْتِقَامَةِ عَلَى المَبْدَأِ، وَالسَّيْرِ عَلَى النَّهْجِ، وَكَمَا أُمِرُوا، وَعَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. لَكِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي زَادَ فِيهِ الضُّعَفَاءُ عَلَى الأَقْوِيَاءِ تَحَمُّلُهُمُ الأَذَى الجِسْمِيَّ الشَّدِيدَ وَصَبْرُهُمْ عَلَيْهِ حَتَّى غَدَوْا الرَّمْزَ لَهُ والعُنْوَانَ عَلَيْهِ، وَبَرَزُوا وَعُرِفُوا جَمِيعاً حَتَّى ظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ أَغْلَبَ المُسْلِمِينَ الأَوَائِلِ إِنَّمَا كَانُوا مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلِدَرَجَةٍ لَمْ يَعُدِ النَّاسُ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الضُّعَفَاءِ وَالمُستَضْعَفِينَ. فَالضُّعَفَاءُ هُمُ العَبِيدُ وَالمَوَالِي الَّذِينَ لَا حَوْلَ لَهُمْ وَلَا قُوَّةَ، يَسْتَذِلُّهُمُ الكَبِيرُ وَيَزْدَرِيهِمُ الصَّغِيرُ وَيَحْتَقِرُهُمُ القَرِيبُ وَيَسْخَرُ مِنْهُمُ الغَرِيبُ أَمْثَالِ يَاسِرٍ، وَعَمَّارٍ، وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ، وَخَبَّابٍ. أَمَّا المُسْتَضْعَفُونَ فَهُمْ أَبْنَاءُ السَّادَةِ الَّذِينَ تَخَلَّى عَنْهُمْ آبَاؤُهُمْ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمُوا وَابْتَعَدَ عَنْهُمْ ذَوُوهُمْ لَمَّا عَرِفُوا إِيمَانَهُمْ وَتَعَرَّضُوا لِلْحَبْسِ، وَالجُوعِ، وَالعُرْيِ، وَالإِهَانَةِ، وَالفَقْرِ أَمْثَالِ: هِشَامِ بنِ العَاصِ أَخِي عَمْرٍو، وَالزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ، وَأَبِي حُذَيْفَةَ بنِ عُتْبَةَ، وَالوَلِيدِ بنِ الوَلِيدِ، وَخَالِدِ بنِ سَعِيدِ بنِ العَاصِ، وَأَخِيهِ عَمْرِو بنِ سَعِيدٍ، وَمُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ،

وَسَعِيدِ بنِ زَيدٍ، وَعَيَّاشِ بنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَبْدِاللَّهِ بن سُهَيْلِ بنِ عمرٍو وَغَيْرِهِمْ كَثِيرٌ، بَلْ لاَ يَكَادُ يَكُونُ رَأْسٌ مِنْ رُؤُوسِ الكُفْرِ إِلاَّ وَقَدْ أَسْلَمَ أَحَدُ أَقْرِبَائِهِ المُقَرَّبِينَ إِلَيْهِ. وَرُبَّمَا نَالَ الأَذَى بَعْضَ السَّادَةِ أَمْثَالِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِيقِ. وَيُشَكِّلُ المُسْتَضْعَفُونَ أَكْثَرِيَّةَ المُسْلِمِينَ يَوْمَذَاكَ وَهَذَا مَا يُفْهَمُ مِنَ الحَدِيثِ الَّذِي دَارَ بَيْنَ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بنِ حَرْبٍ وَبَيْنَ عَظِيمِ الرُّومِ هِرَقْلَ وَالَّذِي رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَجَاءَ فِيهِ «فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتْبَعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ قُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ». فَضُعَفَاءُ النَّاسِ يُقْصَدُ بِهَا المُسْتَضْعَفُونَ أَمَّا الضُّعَفَاءُ بِالمَعْنَى الشَّائِعِ فَإِنَّهُمْ قِلَّةٌ لاَ يُشَكِّلُونَ إِلاَّ نِسْبَةً صَغِيرَةً فِي المَرْحَلَةِ الأُولَى مِنْ مَرَاحِلِ الدَّعْوَةِ وَلَمْ تَكُنْ لِتَزِيدَ هذِهِ النِّسْبَةُ يَوْمَذَاكَ عَلَى الخُمْسِ.

أَمَّا أَشْرَافُ النَّاسِ فَيُقْصَدُ بِهَا رُؤُوسُ بُطُونِ قَبِيلَةِ قُرَيْشٍ الَّذِينَ لَمْ يُسْلِمُوا حِرْصاً عَلَى زَعَامَتِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ وَأَهْوَاءِ نُفُوسِهِمْ مِثْلِ: أَبِي طَالِبٍ وَأَبِي لَهَبٍ الهَاشِمِيِّينِ، وَالوَلِيدِ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيِّ وَبَعْدَهُ أَبِي جَهْلٍ عَمْرِو بنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ العَبْشَمِيِّينِ، والعَاصِ بنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ الجُمَحِيِّ، وَسُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو العَامِرِيِّ، وَنَوْفَلِ بنِ خُوَيْلِدٍ وَزَمْعَةَ بنِ الأَسْوَدِ الأَسَدِيِّينِ، وَأَبِي أُحَيْحَةَ سَعِيدِ بنِ

العَاصِ الأَمَوِيّ هَؤُلَاءِ هُمْ رُؤُوسُ الكُفْرِ، وَطَوَاغِيتُ قُرَيْشٍ، هَلَكَ مِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ قَبْلَ بَدْرٍ وَمَنْ بَقِيَ دَارَتْ عَلَيْهِ رَحى بَدْرٍ لَمْ يَنْجُ مِنَ الأَشْرَافِ سِوَى سُهَيْلِ بنِ عَمْروٍ الَّذِي أُسِرَ فِي بَدْرٍ وَأَبِي سُفْيَانَ الَّذِي غَابَ عَنْ بَدْرٍ وَكِلاَهُما أَسْلَمَ يَوْمَ الفَتْحِ، فَكَانَ مِنَ الطُّلَقَاءِ وَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ. هَؤُلَاءِ هُمْ أَشْرَافُ النَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَحَكَّمُونَ فِي مَكَّةَ وأَهْلِهَا.

وَفِي الوَقْتِ الَّذِي أَحْبَبْتُ أَنْ أُصَحِّحَ فِيْهِ الغَلَطَ الشَّائِعَ أَحْبَبْتُ أَيْضَاً أَنْ أُبَيِّنَ قِيمَةَ هَؤُلَاءِ الضُّعَفَاءِ فِي المُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ، الأَقْوِيَاءِ فِي الإِيمَانِ، الضُّعَفَاءِ فِي البِدَايَةِ الفَائِزِينَ فِي النِّهَايَةِ، العَبِيدِ الأَرِقَّاءِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِمْ السَّادَةِ الأَشْرَافِ فِي آخِرِ عَهْدِهِمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

رَاجِياً مِنَ اللَّهِ أَنْ أُوَفَّقَ فِي التَّعْرِيفِ بِهِمْ، وَأَنْ يَجْمَعَنِيَ بِهِمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ فَهُوَ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرِ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

بُنَاة دَولَـةِ الإسْلام

- ٥١ -

خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ

ابْنِ جَنْدَلَةَ بنِ سَعْدِ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَنَاةَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَهُوَ عَرَبِيُّ الأَرُومَةِ. يُكَنَّى بِأَبِي يَحْيَى، وَيُقَالُ: بِأَبِي عَبْدِاللَّهِ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ.

أَصَابَهُ سَبْيٌ فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَبِيعَ فِي مَكَّةَ فَاشْتَرَتْهُ أُمُّ أَنْمَارٍ وَهِيَ أُمُّ سِبَاعٍ الخُزَاعِيَّةَ، الَّتِي كَانَتْ خَتَّانَةً بِمَكَّةَ، وَحَلِيفَةَ بَنِي زُهْرَةَ فَخَبَّابُ تَمِيمِيٌّ بِالأَصْلِ ، خُزَاعِيٌّ بِالوَّلَاءِ، زُهْرِيٌّ بِالحِلْفِ.

وُلِدَ خَبَّابُ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ وَالثَّلاثِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَتَزَوَّجَ وَأَنْجَبَ، وَعُرِفَ مِنْ أَوْلَادِهِ «عَبْدُاللَّهِ».

إِسْلَامُ خَبَّابٍ

أَسْلَمَ خَبَّابُ فِي بِدَايَةِ الدَّعْوَةِ بَلْ كَانَ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ

أَسْلَمُوا، وَيُقَالُ: إِنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ قَبْلَهُ تِسْعَةَ عَشَرَ مُسْلِماً، وَكَانَ هُوَ الْمُسْلِمُ الْعِشْرِينَ، كَمَا كَانَ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ أَظْهَرُوا إِسلاَمَهُمْ، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَخَبَّابُ، وَبِلاَلُ، وَعَمَّارُ، وَصُهَيْبُ. وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ أَسْلَمَ أَرْبَعاً وَعِشْرِينَ سَنَةً.

وَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُ إِسْلاَمِهِ إِلَى مَوْلاَتِهِ أُمِّ أَنْمَار غَضِبَتْ غَضَباً شَدِيداً، وَجُنَّ جُنُونُهَا، فَأَذَاقَتْهُ الْعَذَابَ الْمُرَّ، وَأَهَانَتْهُ فِي سَبِيلِ رُجُوعِهِ عَنْ دِينِهِ فَعَجَزَتْ، وَأَعَانَهَا عَلَيْهِ طَوَاغِيتُ قُرَيْشٍ فَلَمْ يَسْتَفِيدُوا شَيْئاً.

يُرْوَى أَنَّ خَبَّاباً جَاءَ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ فَقَالَ: ادْنُهْ فَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَجْلِسِ مِنْكَ إِلاَّ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ، فَجَعَلَ خَبَّابُ يُرِيَهُ آثَاراً فِي ظَهْرِهِ مِمَّا عَذَّبَهُ الْمُشْرِكُونَ.

وَيُرَوَى أَنَّ خَبَّابَ بنَ الأَرتِّ دَخَلَ عَلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ فَأَجْلَسَهُ عَلَى مُتَّكَئِهِ وَقَالَ: مَا عَلَى الأَرْضِ أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَجْلِسِ مِنْ هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ. فَقَالَ لَهُ خَبَّابُ: مَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: بِلاَلُ. فَقَالَ لَهُ خَبَّابُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا هُوَ بِأَحَقِّ مِنِّي، إِنَّ بِلاَلاً كَانَ لَهُ فِي الْمُشْرِكِينَ مَنْ يَمْنَعُهُ اللَّهُ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ لِي أَحَدٌ يَمْنَعُنِي، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْماً أَخَذُونِي وَأَوْقَدُوا لِي نَاراً ثُمَّ سَلَقُونِي فِيهَا، ثُمَّ وَضَعَ رَجُلٌ رِجْلَهُ عَلَى صَدْرِي فَمَا

اتَّقَيْتُ الأَرْضَ ـ أَوْ قَـالَ بَرْدَ الأَرْضِ ـ إِلاَّ بِـظَهْرِي، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ ظَهْرِهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ بَرِصَ.

أَسْلَمَ خَبَّـابٌ قَبْلَ أَنْ يَـدْخُلَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، دَارَ الأَرْقَمِ بنِ أَبِي الأَرْقَمِ، فَلَمَّا دَخَلَهَا كَانَ خَبَّابٌ مِنَ الَّذِينَ يَحْضِرُونَ فِيْهَا ذَلِكَ اللِّقَـاءَ مَعَ رَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَلَقَّوْنَ مِنْهُ، وَبَعْدَهَا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَلْتَقِيَ فِي أُسْرَةِ بَنِي عَدِيٍّ الَّتِي ضَمَّتْ سَعِيدَ بنَ زَيْدِ بنِ عَمْرٍو، ابْنَ عَمِّ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وَزَوْجَهِ فَاطِمَةَ بِنْتَ الخَـطَّابِ أُخْتِ عُمَرَ، وَنُعَيْمَ بنَ عَبْدِاللَّهِ النَّحَّامِ العَدَوِيِّ أَيْضاً.

وَبَيْنَمَا كَانَ عُمَرَ بنُ الخَطَّابِ ذَاتَ يَوْمٍ يَهِمُّ بِالذَّهَابِ إِلَى دَارِ الأَرْقَمِ لِيَقْتُلَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى زَعْمِهِ، التَقَى بِـ «نُعَيْمِ بنِ عَبْدِاللَّهِ» وَسَأَلَ عَبْدُاللَّهِ عَنْ وَجْهَةِ عُمَرَ، وَلَمَّا عَلِمَ قَصْدَهُ عَمِلَ عَلَى ثَنْيِهِ عَنْهُ وَلَمْ يَجِدْ بُدَّاً مِنْ أَنْ يَصْرِفَهُ إِلَى دَارِ ابْـنِ عَمِّـهِ سَعِيـدٍ، وَهُـوَ يَعْلَمُ أَنَّ فِيْهَا خَبَّـاباً، وَلَكِنَّ ذَلِـكَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُتَابِعَ عُمَرَ طَرِيقَهُ إِلَى دَارِ الأَرْقَمِ، أَوْ هَكَذَا كَانَ اجْتِهَادُهُ.

وَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى دَارِ ابنِ عَمِّهِ سَعِيدِ بنِ زَيْدٍ، وَفِيْهَا خَبَّـابٌ يُقْرِىءُ سَعِيدَاً وَزَوْجَهُ فَاطِمَةَ مِنْ صَحِيفَةٍ فِيْهَا سُورَةُ «طَـه» فَلَمَّا

سَمِعُوا حِسَّ عُمَرَ، تَغَيَّبَ خَبَّابٌ فِي مَخْدَعٍ لَهُمْ، أَوْ فِي بَعْضِ البَيْتِ، وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الخَطَّابِ الصَّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فَخِذِهَا، وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا مِنَ البَيْتِ قِرَاءَةَ خَبَّابٍ عَلَيْهِمَا، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: مَا هَذِهِ الهَيْنَمَةُ الَّتِي سَمِعْتُ؟ قَالاَ لَهُ: مَا سَمِعْتَ شَيْئاً؛ قَالَ: بَلَى وَاللَّهِ، لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكُمَا تَابَعْتُمَا مُحَمَّداً عَلَى دِينِهِ، وَبَطَشَ بِخَتْنِهِ سَعِيدِ بنِ زَيْدٍ؛ فَقَامَتْ إِلَيْهِ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الخَطَّابِ لِتَكُفَّهُ عَنْ زَوْجِهَا، فَضَرَبَهَا فَشَجَّهَا، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ وَخَتْنُهُ: نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا وَآمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ. فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بِأُخْتِهِ مِنَ الدَمِ نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ، فَارْعَوَى، وَقَالَ لِأُخْتِهِ: أَعْطِينِي هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الَّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَؤُونَ آنِفاً أَنْظُرُ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، وَكَانَ عُمَرُ كَاتِباً، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا، قَالَ: لَا تَخَافِي، وَحَلَفَ لَهَا بِآلِهَتِهِ لَيَرُدَّنَّهَا إِذَا قَرَأَهَا إِلَيْهَا؛ فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ طَمِعَتْ فِي إِسْلاَمِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَخِي، إِنَّكَ نَجِسٌ، عَلَى شِرْكِكَ، وَإِنَّهُ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الطَّاهِرُ، فَقَامَ عُمَرُ فَاغْتَسَلَ، فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ، وَفِيهَا «طه» فَقَرَأَهَا، فَلَمَّا قَرَأَ صَدْراً قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الكَلَامُ وَأَكْرَمَهُ! فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَّابٌ خَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عُمَرُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ أَمْسِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ

أَيِّدِ الإِسْلاَمَ بِأَبِي الحَكَم بنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَاللَّهَ اللَّهَ يَا عُمَرُ. فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ عُمَرُ: فَدُلَّنِي يَا خَبَّابُ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى آتِيَهُ فَأُسْلِمَ. فَقَالَ لَهُ خَبَّابٌ: هُوَ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَذَهَبَ عُمَرُ وَأَسْلَمَ، وَكَانَ هَذَا سَبَبَاً فِي إِسْلاَمِهِ ـ واللَّهُ أَعْلَمُ.

هِجْرَةُ خَبَّابٍ

قَالَ خَبَّابٌ: كُنْتُ رَجُلاً قَيْناً، وَكَانَ لِي عَلَى العَاصِ بنِ وَائِلٍ دَيْنٌ فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ فَقَالَ لِي: لَنْ أَقْضِيَكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: لَنْ أَكْفُرَ بِهِ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ: إِنِّي لَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ فَسَوْفَ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَالٍ وَوَلَدٍ، قَالَ: فَنَزَلَ فِيهِ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدَاً...﴾[1].

لَمَّا هَاجَرَ خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ هُوَ وَالمِقْدَادُ بنُ عَمْرٍو، فَلَمْ يَبْرَحَا مَنْزِلَهُ حَتَّى تُوُفِّيَ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى بَدْرٍ بِيَسِيرٍ، فَتَحَوَّلاَ فَنَزِلاَ عَلَى سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ فَلَمْ يَزَالاَ عِنْدَهُ حَتَّى فُتِحَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ.

---

(١) سورة مريم: الآيات ٧٧ ـ ٨٠.

وَآخَى رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ خَبَّـابِ بنِ الأَرَتِّ وَبَيْنَ جَبْرِ بنِ عَتِيكٍ.

وَشَهِدَ مَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَـدْراً وَأُحُداً وَالخَنْدَقَ وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ مَعْـرَكَةٍ أَبَـداً. وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

وَخَرَجَ لِلْجِهَادِ، وَسَكَنَ الكُوفَةَ، وَبَقِيَ فِيهَا حَتَّى تُوُفِّيَ.

وَفَاةُ خَبَّابٍ

أَصَابَ خَبَّاباً المَرَضُ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ، فَاكْتَوَى سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَشَعَرَ بِالتَّعَبِ. يَقُولُ حَارِثَةُ بنُ مُضَرِّبٍ: دَخَلْتُ عَلَى خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ أَعُودُهُ، وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَمَنَّى المَوْتَ لَأَلْفَانِي قَدْ تَمَنَّيْتُهُ.

وَأُتِيَ بِكَفَنِـهِ قَبَاطِيٌّ فَبَكَى ثُمَّ قَـالَ: لَكِنَّ حَمْـزَةَ عَمَّ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ فَـإِذَا مُدَّتْ عَلَى قَـدَمَيْهِ قَلَصَتْ عَنْ رَأْسِهِ وَإِذَا مُدَّتْ عَلَى رَأْسِـهِ قَلَصَتْ عَنْ قَدَمَيْهِ حَتَّى جُعِلَ عَلَيْهِ إِذْخِرٌ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ مَا أَمْلِكُ دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً وَإِنَّ فِي نَاحِيَةِ بَيْتِي فِي تَابُوتِي لأَرْبَعِينَ أَلْفَ وَافٍ، وَلَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ قَدْ عُجِّلَتْ لَنا طَيِّبَاتُنَا فِي حَياتِنَا الدُّنْيا.

عَادَ خَبَّاباً نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: أَبْشِرْ يَا أَبَا عَبْدِاللَّهِ، إِخْوَانُكَ تَقْدَمُ عَلَيْهِمْ غَداً، فَبَكَى وَقَالَ: أَبْكِي عَلَيْهَا مِنْ حَالِي أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِي جَزَعٌ، وَلَكِنْ ذَكَّرْتُمُونِي أَقْوَاماً وَسَمَّيْتُمُوهُمْ لِي إِخْوَاناً، وَإِنَّ أُولَئِكَ مَضَوْا بِأَجُورِهِمْ كَمَا هِيَ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ ثَوَابُ مَا تَذْكُرُونَ مِنْ تِلْكَ الأَعْمَالِ مَا أُوتِينَا بَعْدَهُمْ.

وَكَانَ النَّاسُ يَدْفُنُونَ مَوْتَاهُمْ بِالكُوفَةِ فِي جَبَابِينِهِمْ (مَقَابِرِهِمْ)، فَلَمَّا ثَقُلَ خَبَّابٌ قَالَ لاِبْنِهِ: أَيْ بُنَيَّ إِذَا أَنَا مِتُّ فَادْفُنِّي بِهَذَا الظَّهْرِ، فَإِنَّكَ لَوْ قَدْ دَفَنْتَنِي بِالظَّهْرِ، قِيلَ دُفِنَ بِالظَّهْرِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَفَنَ النَّاسُ مَوْتَاهُمْ. فَلَمَّا مَاتَ خَبَّابٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ، دُفِنَ بِالظَّهْرِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَدْفُونٍ بِظَهْرِ الكُوفَةِ خَبَّابٌ.

تُوُفِّيَ خَبَّابٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلاَثِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَئِذٍ ثَلاَثاً وَسَبْعِينَ سَنَةً. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَبَرَهُ عَلِيٌّ بِالكُوفَةِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ.

رَوَى خَبَّــابُ اثْنَيْنِ وَثَـلاَثِينَ حَــدِيثَاً مِنْهَــا: ثَــلاَثَــةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَانْفَــرَدَ البُخَـارِيُّ بِحَــدِيثَيْنِ، وَمُسْلِمٌ بِحَــدِيثٍ وَاحِدٍ.

بُنَاة دَوْلَـةِ الإسْلام

- ٥٢ -

صُهَيْب بن سِنَان

رَضِيَ اللهُ عَنهُ

صُهَيبُ بنُ سِنَانٍ

ابنِ مَالِكِ بنِ عَبْـدِ عَمْرِو بنِ عُقَيْـلِ بنِ عَامِـرِ مِنْ رَبِيعَةَ بنِ نِزَارٍ، وَأُمُّهُ سَلْمَى بِنْتُ قَعِيدٍ، فَهُوَ عَرَبِيُّ الأَصْلِ أُمَّاً وَأَبَاً، وَلَيْسَ رُومِيَّاً كَمَا يَتَوَهَّمُ بَعْضُهُمْ.

وُلِدَ فِي بَلْدَةِ الثَّنِيِّ عَلَى شَطِّ الفُرَاتِ مِمَّا يَلِي الجَزِيرَةَ والمُوصِلِ وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ والثَّلاَثِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِإِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً.

كَانَ أَبُوهُ أَوْ عَمُّهُ عَامِلاً لِكِسْرَى عَلَى «الأُبُلَّةِ» مَكَـان البَصْرَةِ اليَوْمَ. وَأَغَارَ الرُّومُ عَلَى مَنْطِقَةِ «الثَّنِيِّ» وَأَخَذُوا السَّبْيَ، وَكَـانَ صُهَيْبٌ بَيْنَ مَنْ أَخَذُوا وَلاَيَزَالُ طِفْلاً صَغِيراً، فَنَشَـأَ بَيْنَ الرُّومِ حَتَّى صَارَ أَلْكَنَ. وَاشْتَرَاهُ رِجَالٌ مِنْ قَبِيلَةِ «كَلْب» الَّتِي تُقِيمُ فِي شَمَالِي جَزِيرَةِ العَرَبِ مِنَ الرُّومِ ، وَحَمَلُوهُ إِلَى مَكَّةَ حَيْثُ بَاعُوهُ هُنَاكَ، فَاشْتَرَاهُ مِنْهُمْ عَبْدُاللَّهِ بنُ جـدْعَانَ التَّيْمِيِّ وَأَعْتَقَهُ، فَأَقَـامَ

مَعَـهُ حَتَّى تُوفِّي ابنُ جَدْعَانَ، وَبَقِيَ صُهَيْبٌ يَعْمَلُ حَدَّاداً فِي صِنَاعَةِ السُّيُوفِ.

وَيَقُولُ أَهْلُ صُهَيْبٍ وَوَلَـدُهُ: بَلْ هَـرَبَ مِنَ الرُّومِ حِينَ بَلَغَ وَعَقِلَ فَقَدِمَ مَكَّـةَ فَحَالَفَ عَبْدَاللَّهِ بنَ جَدْعَانَ، وَأَقَامَ مَعَـهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ. وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَـالَ لَهُ: يَا صُهَيْب مَالَكَ تُكَنَّى أَبَا يَحْيَى وَلَيْسَ لَكَ وَلَدٌ(١)، وَتَقُولُ إِنَّكَ مِنَ العَرَبِ وَأَنْتَ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ، وَتُطْعِمُ الطَّعَـامَ الكَثِيرَ وَذَلِكَ سَرَفٌ فِي المَالِ؟ فَقَالَ صُهَيْبٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، كَنَّـانِي أَبَـا يَحْيَى، وَأَمَّـا قَـوْلُـكَ فِي النَّسَبِ وَادِّعَائِي إِلَى العَرَبِ فَإِنِّي رَجُلٌ مِنَ النَّمِـرِ بنِ قَاسِطٍ مِنْ أَهْـلِ المُوصِلِ وَلَكِنْ سُبِيتُ، سَبَتْنِي الرُّومُ غُلاَماً صَغِيراً فَفَرَرْتُ بَعْدَ أَنْ عَقِلْتُ أَهْلِي وَقَوْمِي وَعَرَفْتُ نَسَبِي، وَأَمَّا قَوْلُكَ فِي الطَّعَامِ وَإِسْـرَافِي فِيهِ فَـإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، كَـانَ يَقُولُ: إِنَّ خِيَارَكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَرَدَّ السَّلاَمَ، فَذَلِكَ الَّذِي يَحْمِلُنِي عَلَى أَنْ أُطْعِمَ الطَّعَامَ.

وَتَزَوَّجَ عِدَّةَ نِسَاءٍ، وَلَهُ عَدَدٌ مِنَ الأَوْلاَدِ، وَعُرِفَ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ

---

(١) ليس لك ولد يدعى يحيى.

هُمُ الَّذِينَ رَوَوْا عَنْهُ، وَهُمْ: عُثْمَانُ، وَصَيْفِيٌّ، وَحَمْزَةُ، وَسَعْدٌ، وَعَبَّادٌ، وَحَبِيبٌ، وَصَالِحٌ، وَمُحَمَّدٌ.

إِسْلَامُ صُهَيْبٍ

كَانَتْ هُنَاكَ صِلَةٌ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ البِعْثَةِ وَبَيْنَ صُهَيْبِ بنِ سِنَانٍ، عَنْ صَيْفِيٍّ بنِ صُهَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: صَحِبْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ.

وَبُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ، وَانْتَشَرَ خَبَرُهُ، وَقَبِلَ الدَّعْوَةَ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ، وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَارَ الأَرْقَمِ بنِ أَبِي الأَرْقَمِ، وَدَخَلَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ، وَانْطَلَقَ صُهَيْبٌ لِيَسْمَعَ مِنْ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَمَا انْطَلَقَ عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ. قَالَ عَمَّارٌ: لَقِيتُ صُهَيْبَ بنَ سِنَانٍ عَلَى بَابِ دَارِ الأَرْقَمِ وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيهَا فَقُلْتُ: مَا تُرِيدُ؟ فَقَالَ لِي: مَا تُرِيدُ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ عَلَى مُحَمَّدٍ فَأَسْمَعَ كَلَامَهُ، قَالَ: وَأَنَا أُرِيدُ ذَلِكَ. قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَعَرَضَ عَلَيْنَا الإِسْلَامَ فَأَسْلَمْنَا، ثُمَّ مَكَثْنَا يَوْماً عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَمْسَيْنَا، ثُمَّ خَرَجْنَا وَنَحْنُ

مُسْتَخْفُونَ، فَكَانَ إِسْلَامُ عَمَّارٍ وَصُهَيْبٍ بَعْد بِضْعَةٍ وَثَلَاثِين رَجُلًا.

قَالَ مُجَاهِدُ: أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلَامَ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالُ، وَصُهَيْبُ، وَخَبَّابُ[١].

وَقَالَ الوَاقِدِيُّ: كَانَ عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ يُعَذَّبُ حَتَّى لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ، وَكَانَ صُهَيْبٌ يُعَذَّبُ حَتَّى لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ، فِي قَوْمٍ مِنَ المُسْلِمِينَ حَتَّى نَزَلَتْ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢].

وَقَالَ مُجَاهِدُ: فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنَعَهُ عَمُّهُ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ قَوْمُهُ، وَأُخِذَ الآخَرُونَ - سَمَّى مِنْهُمْ صُهَيْبَاً - فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، حَتَّى بَلَغَ الجُهْدُ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ، فَأَعْطَوْهُمْ مَاسَأَلُوا - يَعْنِي التَلَفُّظ بِالْكُفْرِ - فَجَاءَ كُلَّ رَجُلٍ قَوْمُهُ بِأَنْطَاعٍ فِيْهَا المَاءُ، فَأَلْقَوْهُمْ فِيهَا، إِلَّا بِلَالًا.

---

(١) طبقات ابن سعد، ابن عساكر، أسد الغابة.

(٢) النحل ١١٠.

وَرَوَى أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، حَدَّثَنَا أَشْعَثُ، عَنْ كُرْدُوسٍ، عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَرَّ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ خَبَّابُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَعَمَّارٌ، فَقَالُوا: أَرَضِيتَ بِهَؤُلَاءِ[1]؟ فَنَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ. وَكَذَلِكَ فَتَنَّا . . . . . . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾[2].

هِجْرَةُ صُهَيْبٍ

رُوِيَ أَن صُهَيْباً حِينَ أَرَادَ الهِجْرَةَ إِلَى المَدِينَةِ قَالَ لَهُ أَهْلُ مَكَّةَ: أَتَيْتَنَا هَا هُنَا صُعْلُوكاً حَقِيراً، فَكَثُرَ مَالُكَ عِنْدَنَا وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ ثُمَّ تَنْطَلِقُ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ؟ وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ تَرَكْتُ مَالِي تُخَلُّونَ أَنْتُمْ سَبِيلِي؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَجَعَلَ لَهُمْ مَالَهُ أَجْمَعَ فَبَلَغَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهَيْبٌ.

---

(١) المسند: ١/٤٢٠.

(٢) الأنعام ٥١ ـ ٥٨.

وَرَوَى سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ فقَالَ: أَقْبَلَ صُهَيْبٌ مُهَاجِراً نَحْوَ المَدِينَةِ وَاتَّبَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ وَانْتَثَلَ مَا فِي كِنَانَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْمَاكُمْ رَجُلًا، وَأَيْمِ اللَّهِ لاَ تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَرْمِيَ بِكُلِّ سَهْمٍ مَعْي فِي كِنَانَتِي، ثُمَّ أَضْرِبُكُمْ بِسَيْفِي مَا بَقِيَ فِي يَدِي مِنْهُ شَيْءٌ، فَافْعَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَإِنْ شِئْتُمْ دَلَلْتُكُمْ عَلَى مَالِي وَخَلَّيْتُمْ سَبِيلِي، قَالُوا: نَعَمْ، فَفَعَلَ. فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «رَبِحَ البَيْعُ أَبَا يَحْيَى، رَبِحَ البَيْعُ». قَالَ: وَنَزَلَتْ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ﴾.

وَكَانَ صُهَيْبٌ آخِرَ مَنْ قَدِمَ فِي الهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَكَانَ مَعَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَذَلِكَ لِلنِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِقُبَاءَ، لَمْ يَرِمْ بَعْدُ.

وَلَمَّا قَدِمَ صُهَيْبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ بِقُبَاءَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَبَيْنَ أَيْدِيهِم رُطَبٌ قَدْ جَاءَهُمْ بِهِ كُلْثُومُ بنُ الهِدْمِ، وَصُهَيْبٌ قَدْ رَمِدَ بِالطَّرِيقِ وَأَصَابَتْهُ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ، فَوَقَعَ فِي الرُّطَبِ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَرَى إِلَى صُهَيْبٍ يَأْكُلُ الرُّطَبَ وَهُوَ رَمِدٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: تَأْكُلَ الرُّطَبَ وَأَنْتَ رَمِدٌ؟ فَقَالَ صُهَيْبٌ: وَإِنَّمَا آكُلُهُ بِشِقِ عَيْنِي الصَّحِيحَةِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ صُهَيْبٌ يَقُولُ لأَبِي بَكْرٍ: وَعَدْتَنِي أَنْ نَصْطَحِبَ فَخَرَجْتَ وَتَرَكْتَنِي، وَيَقُولُ: وَعَدْتَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تُصَاحِبَنِي فَانْطَلَقْتَ وَتَـرَكْتَنِي، فَأَخَـذَتْنِي قُرَيْشٌ فَحَبَسُـونِي فَاشْتَرَيْتُ نَفْسِي وَأَهْلِي بِمَالِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَبِحَ البَيْعُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَـاءَ مَرْضَـاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِـالعِبَـادِ﴾(١)، وَقَـالَ صُهَيْبٌ: يَـا رَسُـولَ اللَّهِ مَـا تَزَوَّدْتُ إِلَّا مُدًّا مِنْ دَقِيقٍ عَجَنْتُهُ بِالأَبْوَاءِ حَتَّى قَدِمْتُ إِلَيْكَ.

لَمَّا وَصَلَ صُهَيْبٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى المَدِينَـةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ، وَنَزَلَ العُزَّابُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى سَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ.

وَآخَى رَسُـولُ اللَّهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ صُهَيْبِ بنِ سِنَانٍ وَالحَارِثِ بـنِ الصُّمَّةِ.

وَشَهِـدَ صُهَيْبٌ بَدْراً وَأُحُـداً وَالخَنْدَقَ وَالمَشَـاهِدَ كُلَّهَـا مَـعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) سورة البقرة ٢٠٧.

وَقَدْ أَبْلَى فِي كُلِّ المَعَارِكِ الَّتِي شَهِدَهَا البَلَاءَ الحَسَنَ، وَيُعَدُّ مِنْ بَيْنِ الرِّجَالِ الشُّجْعَانِ فِي القِتَالِ إِذْ كَانَ يَصْرَعُ الأَبْطَالَ، وَتَفِرُّ مِنْ أَمَامِهِ الصَّنَادِيدُ. فَفِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ مَثَلاً قَتَلَ عُثْمَانَ بنَ مَالِكِ بنِ عُبَيْدِاللَّهِ التَّيْمِيَّ، ابْنَ أَخِي طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِاللَّهِ، كَمَا قَتَلَ فِي المَعْرَكَةِ نَفْسِهَا هِشَامَ بنَ أَبِي حُذَيْفَةَ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيَّ.

لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَيَّنَ رِجَالَ الشُّورَى، قَالَ: إِنْ حَدَثَ بِيَ حَدَثٌ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ صُهَيْبٌ ثَلَاثاً، ثُمَّ أَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ عُمَرُ نَظَرَ المُسْلِمُونَ فَإِذَا صُهَيْبٌ يُصَلِّي بِهِمُ المَكْتُوبَاتِ بِأَمْرِ عُمَرَ فَقَدَّمُوا صُهَيْباً فَصَلَّى عَلَى عُمَرَ.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَكَانَةِ صُهَيْبٍ عِنْدَ عُمَرَ وَعِنْدَ المُسْلِمِينَ جَمِيعاً.

وَفَاةُ صُهَيْبٍ

تُوُفِّيَ صُهَيْبٌ فِي شَوَّالَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ، وَهُوَ ابنُ سَبْعِينَ سَنَةً وَذَلِكَ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَدُفِنَ بِالبَقِيعِ. وَكَانَ مِمَّنِ اعْتَزَلَ الفِتْنَةَ.

كَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَجُلاً أَحْمَرَ شَدِيدَ الحُمْرَةِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالقَصِيرِ، وَهُوَ إِلَى القِصَرِ أَقْرَبُ، وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ الرَّأْسِ، يُخَضِّبُ بِالحِنَّاءِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيْهِ: «صُهَيْبُ سَابِقُ الرُّومِ».

رَوَى مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَلاَثِينَ حَدِيثاً، رَوَى لَهُ مُسْلِمٌ مِنْهَا ثَلاَثَةَ أَحَادِيثَ. حَدَّثَ عَنْ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ بَنُوهُ، وَسَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ أَبِي لَيْلَى.

وَكَانَ مَوْصُوفاً بِالكَرَمِ وَالسَّمَاحَةِ.

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٥٣ -

بِلَال بن رَبَاح

رضي الله عنه

بِلَالُ بنُ رَبَاح

وُلِدَ بِلَالٌ فِي التَّاسِعَةِ وَالْأَرْبَعِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَرْبَعِ سَنَوَاتٍ، وَكَانَتْ سِنُّهُ قَرِيبَةً مِنْ سِنِّ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَكَانَ شُعَيبُ بنُ طَلْحَةَ من وَلَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَقُولُ: كَانَ بِلَالُ تِرْبَ أَبِي بَكْرٍ.

وُلِدَ بِلَالٌ فِي مَنْطِقَةِ السَّرَاةِ إِلَى الجَنُوبِ مِنْ مَكَّةَ مِنْ أَبٍ حَبَشِيٍّ، وَهُوَ مِنَ الرَّقِيقِ، وَيُدْعَى رَبَاحاً، وَمِنْ أُمٍّ مِنَ الرَّقِيقِ، وَتُدْعَى حَمَامَةَ، وَلَعَلَّهَا مِنَ الحَبَشَةِ أَيْضاً. ثُمَّ انْتَقَلَتْ هَذِهِ الأُسْرَةُ إِلَى الحِجَازِ، أَوْ نُقِلَتْ، وَكَانَ مَكَانَ إِقَامَتِهَا مَكَّةُ، وَيَبْدُو أَنَّ الزَّوْجَ رَبَاحاً قَدْ مَاتَ، وَكَانَتْ زَوْجُهُ «حَمَامَةُ» عِنْدَ بَنِي جُمَحٍ أَحَدِ بُطُونِ قَبِيلَةِ قُرَيْشٍ المَعْرُوفِينَ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ يَوْمَذَاكَ «أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ»، وَيَبْدُو أَنَّ «حَمَامَةَ» قَدْ تُوُفِّيَتْ، وَبَقِيَ بِلَالٌ فِي بَنِي جُمَحٍ عَبْداً.

كَانَ لِـبِلَالٍ أَخٌ يُدْعَى خَالِدَاً، وَأُخْتٌ تُسَمَّى «غُفَيْـرَةَ» وَقَدْ أَهْمَلَهُمَـا التَّارِيـخُ، وَأَبْـرَزَ أَخـاهمـا بِـلالاً لِصَبْـرِهِ عَلَى الأَذَى وَتَحَمُّلِهِ الشَّـدَائِدَ، وَلِأَنَّـهُ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ حِفْظُ التَّارِيخِ مُكَافَأَةً لَهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا بِجَانِبِ النَّصْرِ الَّذِي حَقَّقَـهُ، وَفِي الآخِرَةِ هُـوَ فِي الجَنَّةِ حَسْبَمَـا أَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَانَ يُكَنَّى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ: أَبَا عَمْرٍو، وَقِيلَ: أَبَا عَبْـدِ الكَرِيمِ.

كَانَ بِلَالُ آدَمَ[1]، شَدِيدَ الأُدْمَةِ، نَـحِيفَاً، طُوَالاً، أَجْنَأَ[2]، لَهُ شَعْرٌ كَثِيرٌ، خَفِيفَ العَارِضَيْنِ، بِهِ شَمْطٌ[3] كَثِيرٌ، وَكَانَ لَا يُغَيِّرُ.

إِسْلَامُ بِلَالٍ

بُعِثَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَانْتَشَـرَتْ أَخْبَارُ الدَّعْوَةِ، وَطَرَقَتْ مَسَامِعَ الضُّعَفَاءِ فَأَسْرَعُوا نَحْوَهَـا، وَقَدْ عَلِمُـوا أَنَّها لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ السَّادَةِ وَالعَبِيدِ، وَلَا تُمَايِزُ بَيْنَ الشُّعُوبِ، وَلَا

---

(١) آدم: أسمر.
(٢) أجنأ: أحدب الظهر.
(٣) الشمط: بياض الرأس يخالط سواده.

بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ وَالفُقَرَاءِ، وَأَسْلَمَ بِلَالٌ مَعَ مَنْ أَسْلَمَ.

وَلَمَّا عَلِمَ بَنُو جُمَحٍ بِإِسْلَامِ بِلَالٍ عَذَّبُوهُ عَذَابًا شَدِيدًا لِيَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ فَمَا أَعْطَاهُمْ قَطُّ كَلِمَةً مِمَّا يُرِيدُونَ، وَكَانَ الَّذِي يُعَذِّبُهُ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ. وَكَانَ إِذَا اشْتَدُّوا عَلَيْهِ فِي العَذَابِ قَالَ: أَحَدٌ، أَحَدٌ، فَيَقُولُونَ لَهُ: قُلْ كَمَا نَقُولُ، فَيَقُولُ: إِنَّ لِسَانِي لَا يُحْسِنُهُ.

عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّه قَالَ: أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلَامَ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَخَبَّابٌ، وَبِلَالٌ، وَصُهَيْبٌ، وَعَمَّارٌ، وَسُمَيَّةُ أُمُّ عَمَّارٍ؛ قَالَ: فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنَعَهُ عَمُّهُ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ قَوْمُهُ، وَأُخِذَ الآخَرُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الحَدِيدِ، ثُمَّ صَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ حَتَّى بَلَغَ الجُهْدُ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ فَأَعْطَوْهُمْ مَا سَأَلُوا، فَجَاءَ كُلَّ رَجُلٍ قَوْمُهُ بِأَنْطَاعِ الأُدْمِ فِيهَا المَاءُ فَأَلْقَوْهُمْ فِيهِ وَحَملُوا بِجَوَانِبِهِ إِلَّا بِلَالًا، فَلَمَّا كَانَ العَشِيُّ جَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَجَعَلَ يَشْتُمُ سُمَيَّةَ وَيَرْفُثُ، ثُمَّ طَعَنَهَا فَقَتَلَهَا فَهِيَ أَوَّلُ شَهِيدٍ اسْتُشْهِدَ فِي الإِسْلَامِ، إِلَّا بِلَالًا فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ حَتَّى مَلُّوهُ، فَجَعَلُوا فِي عُنُقِهِ حَبْلًا، ثُمَّ أَمَرُوا صِبْيَانَهُمْ أَنْ يَشْتَدُّوا بِهِ بَيْنَ أَخْشَبَيْ مَكَّةَ، فَجَعَلَ بِلَالٌ يَقُولُ: أَحَدٌ، أَحَدٌ.

وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ اتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴾[1]، قَالَ، يَقُولُ أَبُو جَهْلٍ: أَيْنَ بِلَالُ؟ أَيْنَ فُلَانُ أَيْنَ فُلَانُ. كُنَّا نَعُدُّهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ الْأَشْرَارِ فَلَا نَرَاهُمْ فِي النَّارِ، أَمْ هُمْ فِي مَكَانٍ لَا نَرَاهُمْ فِيهِ، أَمْ هُمْ فِي النَّارِ لَا نَرَى مَكَانَهُمْ؟.

وَذَاتَ مَرَّةٍ أَخَذَ بِلَالًا أَهْلُهُ فَمَطُّوهُ وَأَلْقَوا عَلَيْهِ مِنَ البَطْحَاءِ وَجِلْدَ بَقَرَةٍ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: رَبُّكَ اللَّاتُ والعُزَّى، وَيَقُولُ: أَحَدٌ، أَحَدٌ، فَأَتَى أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: عَلَامَ تُعَذِّبُونَ هَذَا الإِنْسَانَ؟ فَاشْتَرَاهُ بِسَبْعِ أَوَاقٍ وَأَعْتَقَهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: الشِّرْكَةَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: قَدْ أَعْتَقْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اشْتَرَى بِلَالًا وَهُوَ مَدْفُونٌ فِي الحِجَارَةِ بِخَمْسِ أَوَاقٍ ذَهَبًا، فَقَالُوا: لَوْ أَبَيْتَ إِلَّا أُوقِيَّةً لَبِعْنَاكَهُ، قَالَ: لَوْ أَبَيْتُمْ إِلَّا مِائَةَ أُوقِيَّةٍ لَأَخَذْتُهُ[2].

رَوَى سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ المُشْرِكُونَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ عَنْكَ

---

(١) سورة ص: ٦٢ - ٦٣.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٥٠.

فَلَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، وَكُنْتُ أَنَـا، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَبِـلَالُ، وَرَجُلُ مِنْ هُذَيْلٍ وَآخَرَانِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُـونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ. . . . . .﴾[1].

هِجْرَةُ بِلَالٍ

لَمَّا هَاجَرَ بِلَالُ إِلَى الْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ، وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ بِلَالٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَثْعَمِيِّ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي رُوَيْحَةَ، وَكِـلَاهُمَا مُهَـاجِرٌ، وَعِنْدَمَا دَوَّنَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ الدَّوَاوِينَ بِالشَّامِ خَرَجَ بِـلَالُ إِلَى الشَّامِ فَأَقَامَ بِهَا مُجَاهِدًا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إِلَى مَنْ تَجْعَلُ دِيوَانَكَ يَا بِلَالُ؟ قَالَ: مَعَ أَبِي رُوَيْحَةَ لَا أُفَارِقُهُ أَبَدًا لِلْأُخُوَّةِ الَّتِي كَـانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَقَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ. فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَضَمَّ دِيوَانَ الْحَبَشَةِ إِلَى خَثْعَمَ لِمَكَانِ بِلَالٍ مِنْهُمْ.

وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ آخَى بَيْنَ بِلَالٍ وَعُبَيْدَةَ بنِ الْحَارِثِ بنِ الْمُطَّلِبِ، وَكِلَاهُمَا مُهَاجِرٌ أَيْضًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمَّـا قَدِمَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالُ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

---

(١) الأنعام ٥٢.

كُلّ امْرِيءٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ
وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلاَلٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ وَيَقُولُ:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً
بِـوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِـرٌ وَجَلِيـلُ
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْماً مِيَاهَ مَجَنَّـةٍ
وَهَلْ يَبْدُوَن لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

اللَّهُمَّ العَنْ عُتبَةَ، وَشَيْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الوَبَاءِ(١).

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَـالَ: كَانَ المُسْلِمُـونَ حِينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ، فَيَتَحَيَّنُونَ لِلصَّلاَةِ، وَلَيْسَ يُنَادِي بِهَـا أَحَدٌ، فَتَكَلَّمُوا يَوْماً فِي ذَلِـكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِـذُوا نَاقُـوساً مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَرْنَاً مِثْلَ قَـرْنِ اليَهُودِ، قَالَ عُمَرُ: أَوَ لاَ تَبْعَثُـونَ رَجُلاً يُنَـادِي بِالصَّـلاَةِ؟ فَقَالَ رَسُـولُ

---

(١) رواه البخاري، وأحمد.

اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا بِلَالُ، قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ[1].

عَنْ أَبِي عُمَيْرِ بنِ أَنَسٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عُمُومَةٍ لَهُ مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: «اهْتَمَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلصَّلَاةِ، كَيْفَ يَجْمَعُ النَّاسَ عَلَيْهَا؟ فَقِيلَ: انْصِبْ رَايَةً عِنْدَ حُضُورِ الصَّلَاةِ، فَإِذَا رَأَوْهَا آذَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ. فَذُكِرَ لَهُ القُنْعُ - وَهُوَ شَبُّورُ اليَهُودِ - فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: هُوَ مِنْ أَمْرِ اليَهُودِ، فَذُكِرَ لَهُ النَّاقُوسُ، فَقَالَ: هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى، فَانْصَرَفَ عَبْدُاللَّهِ بنُ زَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ مُهْتَمٌّ لِهَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُرِيَ الأَذَانَ فِي مَنَامِهِ، فَغَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَبَيْنَ نَائِمٍ وَيَقْظَانَ، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَأَرَانِي الأَذَانَ، وَكَانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ قَدْرَآهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَكَتَمَهُ عِشْرِينَ يَوْماً، قَالَ: ثُمَّ أَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنَا؟ فَقَالَ: سَبَقَنِي عَبْدُ اللَّهِ بنُ زَيْدٍ، فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُمْ يَا بِلَالُ، فَانْظُرْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بنُ زَيْدٍ فَفْعَلْ، فَأَذَّنَ بِلَالٌ، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي.

الأَنْصَارَ تَزْعُمُ: لَوْلاَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ زَيْدٍ كَانَ يَوْمَئِذٍ مَرِيضاً لَجَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَذِّناً[1].

كَانَ بِلالٌ إِذَا فَرَغَ مِنَ الأَذَانِ فَأَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَدْ أَذَّنَ وَقَفَ عَلَى البَابِ وَقَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، حَيَّ عَلَى الفَلاَحِ، الصَّلاَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَآهُ بِلاَلٌ ابْتَدَأَ فِي الإِقَامَةِ.

كَانَ النَّجَاشِيُّ قَدْ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلاَثَ عَنَزَاتٍ[2] فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاحِدَةً لِنَفْسِهِ، وَأَعْطَى عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ وَاحِدَةً، وَأَعْطَى عُمَرَ ابنَ الخَطَّابِ وَاحِدَةً، فَكَانَ بِلاَلٌ يَمْشِي بِتِلْكَ العَنَزَةِ الَّتِي أَمْسَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي العِيدَيْنِ يَوْمَ الفِطْرِ وَيَوْمَ الأَضْحَى حَتَّى يَأْتِيَ المُصَلَّى فَيَرْكُزُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيُصَلِّي إِلَيْهَا، ثُمَّ كَانَ يَمْشِي بِهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ كَانَ سَعْدُ القَرِظِ يَمْشِي بِهَا بَيْنَ يَدَيْ

---

(١) أخرجه أبو داود رقم ٤٩٨ في الصلاة باب بدء الأذان.

(٢) العنزة: رُمَيح بين الرمح والعصا، وله زجّ.

عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ وَعُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ فِي العِيَدَيْنِ، فَيَرْكُـزُهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمَا وَيُصَلِّيَانِ إِلَيْهَا.

عَنْ جَـابِـرِ بنِ سَمُـرَةَ: أَنَّ بِـلاَلاً كَـانَ يُؤَذِّنُ حِيَنَ يَـدْحُضُ الشَّمْسَ وَيُؤَخِّـرُ الإقَامَـةَ قَلِيـلاً وَلَكِنْ لاَ يَخْـرُجُ فِي الأَذَانِ عَنِ الوَقْتِ.

وَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَـلاَثَةُ مُؤَذِّنِينَ: بِلاَلٌ، وَأَبُو مَحْذُورَةَ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، فَإِذَا غَابَ بِـلاَلٌ أَذَّنَ أَبُو مَحْذُورَةَ، وَإِذَا غَابَ أَبُو مَحْذُورَةَ أَذَّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ.

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ الفَتْحِ بِلاَلاً أَنْ يُؤَذِّنَ عَلَى ظَهْرِ الكَعْبَةِ، فَأَذَّنَ عَلَى ظَهْرِهَا وَالحَارِثُ بنُ هِشَامٍ وَصَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ قَاعِدَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ: انْظُرْ إِلَى هَـذَا الحَبَشِيِّ، فَقَالَ الآخَرُ: إِنْ يَكْرَهَهُ اللَّهُ يُغَيِّرْهُ.

وَشَهِدَ بِلاَلٌ مَـعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، بَدْراً وَأُحُـدَاً وَالخَنْـدَقَ وَالمَشَـاهِـدَ كُلَّهَـا، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَـزْوَةٍ وَاحِدَةٍ.

رَوَى أَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ حَدِيثاً، جَاءَ أَرْبَعَةٌ مِنْهَا فِي

الصَّحِيَحيْنِ، انْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِحَدِيثَيْنِ، وَمُسْلِمٌ بِحَدِيثٍ، وَاتَّفَقَا عَلَى حَدِيثٍ.

حَدَّثَ عَنْهُ: أَبو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَأُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ، وَأَبُو إِدْرِيسَ الخَوْلَانِيُّ، وَسَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي لَيْلَى وَغَيْرُهُمْ.

وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ: «حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ، فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشَفَةَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ». قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى مِنْ أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُوراً تَامَّاً فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ لِرَبِّي مَا كَتَبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ[1].

عَن ابْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَا بِلَالاً، فَقَالَ: «بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الجَنَّةَ قَطُّ إِلَّا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، إِنِّي دَخَلْتُ الجَنَّةَ البَارِحَةَ، فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، وَأَتَيْتُ عَلَى

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٤٩) في التهجد. وأخرجه مسلم (٢٤٢٨) في الفضائل.

قَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ قَالُوا: لِعُمَرَ». فَقَالَ بِلَالٌ: مَا أَذَّنْتُ قَطُّ إِلَّا صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَمَا أَصَابَنِي حَدَثٌ إِلَّا تَوَضَّأْتُ، وَرَأَيْتُ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ رَكْعَتَيْنِ أَرْكَعُهُمَا، فَقَالَ: «بِهَا»(١).

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «السُّبَّاقُ أَرْبَعَةٌ: أَنَا سَابِقُ العَرَبِ، وَسَلْمَانُ سَابِقُ الفُرْسِ، وَبِلَالٌ سَابِقُ الحَبَشَةِ، وَصُهَيْبٌ سَابِقُ الرُّومِ»(٢).

مَعَ أَبِي بَكْرٍ

لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَذَّنَ بِلَالٌ وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يُقْبَرْ، فَكَانَ إِذَا قَالَ «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُولُ اللَّهِ» انْتَحَبَ النَّاسُ فِي المَسْجِدِ. فَلَمَّا دُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: أَذِّنْ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أَعْتَقْتَنِي لِأَنْ أَكُونَ مَعَكَ فَسَبِيلُ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتَ أَعْتَقْتَنِي لِلَّهِ فَخَلِّنِي وَمَنْ أَعْتَقْتَنِي لَهُ، فَقَال: مَا أَعْتَقْتُكَ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي لَا أُؤَذِّنُ لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٣٥٤، والترمذي (٣٦٩٠)، والطبراني (١٠١٢) في الكبير، وأبو نعيم في الحلية ١/١٥٠.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/١٤٩ و١٨٥، والحاكم ٣/٢٨٥.

وَسَلَّمَ، قَالَ: فَذَاكَ إِلَيْكَ. قَالَ: فَأَقَامَ حَتَّى خَرَجَتْ بُعُوثُ الشَّامِ فَسَارَ مَعَهُمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا.

ورَوَى سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا قَعَدَ عَلَى المِنْبَرِ يَوْمَ الجُمُعَةِ قَالَ لَهُ بِلاَلٌ: يَا أَبَا بَكْرٍ، قَالَ: لَبَّيْكَ، قَالَ: أَعْتَقْتَنِي لِلَّهِ أَوْ لِنَفْسِكَ؟ قَالَ: لِلَّهِ، قَالَ: فَأْذَنْ لِي حَتَّى أَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَذَهَبَ إِلَى الشَّامِ فَمَاتَ ثَمَّ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَاءَ بِلاَلٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَقَالَ لَهُ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَفْضَلُ عَمَلِ المُؤْمِنِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَمَا تَشَاءُ يَا بِلاَلُ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى أَمُوتَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا بِلاَلُ وَحُرْمَتِي وَحَقِّي فَقَدْ كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، فَأَقَامَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ.

بَلَغَ بِلاَلاً أَنَّ نَاساً يُفَضِّلُونَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ يُفَضِّلُونِي عَلَيْهِ وَإِنَّمَا أَنَا حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِهِ.

مَعَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ

لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ جَاءَ بِلاَلٌ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ كَمَا

قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَرَدَّ عَلَيْهِ عُمَرُ كَمَا رَدَّ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، فَأَبَى بِلَالُ عَلَيْهِ: فَقَالَ عُمَرُ فَإِلَى مَنْ تَرَى أَنْ أَجْعَلَ النِّدَاءَ؟ فَقَالَ: إِلَى سَعْدٍ، فَإِنَّهُ قَدْ أَذَّنَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَا عُمَرُ سَعْدَاً فَجَعَلَ الأَذَانَ إِلَيْهِ وَإِلَى عَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

وَيَبْدُو ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ أَنَّ بِلَالاً بَقِيَ فِي المَدِينَةِ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، وَمَعَ عُمَرَ، حَتَّى خَرَجَ عُمَرُ إِلَى الشَّامِ، فَخَرَجَ بِلَالُ مَعَهُ، وَفِي الشَّامِ طَلَبَ بِلَالُ مِنْ عُمَرَ أَنْ يُبْقِيَهُ بِالشَّامِ فَفَعَلَ، فَبَقِيَ هُنَاكَ.

لَما كَانَ عُمَرُ بِالجَابِيَةِ بِالشَّامِ طَلَبَ مِنْهُ المُسْلِمُونَ أَنْ يَسْأَلَ لَهُمْ بِلَالاً يُؤَذِّنَ لَهُمْ فَأَذَّنَ يَوْماً فَلَمْ يُرَ يَوْمٌ كَانَ أَكْثَرَ بَاكِيَاً مِنْ يَوْمِئِذٍ، ذِكْرَاً مِنْهُمْ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كَانَ عُمَرُ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا (يَعْنِي بِلَالاً) .

وَذَكَرَ عُمَرُ فَضْلَ أَبِي بَكْرٍ، فَجَعَلَ يَصِفُ مَنَاقِبَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا سَيِّدُنَا بِلَالُ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِهِ.

زَوَاجُ بِلَالٍ

عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ قَالَ: إِنَّ بَنِي أَبِي البُكَيْرِ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: زَوِّجْ أُخْتَنَا فُلَانَاً، فَقَالَ لَهُمْ: أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ بِلَالٍ؟ ثُمَّ جَاءُوا مَرَّةً أُخْرى فَقَالُوا: يَا رَسُولَ

اللَّهِ أَنْكِحْ أُخْتَنَا فُلاَنَاً، فَقَالَ: أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ بِلاَلٍ؟ ثُمَّ جَاءُوا الثَّالِثَةَ فَقَالُوا: أَنْكِحْ أُخْتَنَا فُلاَنَاً، فَقَالَ: أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ بِلاَلٍ؟ أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قَالَ: فَأَنْكَحُوهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ بِلاَلاً تَزَوَّجَ امْرَأَةً عَرَبِيَّةً مِنْ بَنِي زُهْرَةَ.

وَرَوَى الشَّعْبِيُّ فَقَالَ: خَطَبَ بِلاَلٌ وَأَخُوهُ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ اليَمَنِ فَقَالَ: أَنَا بِلاَلٌ وَهَذَا أَخِي، عَبْدَانِ مِنَ الحَبَشَةِ، كُنَّا ضَالَّيْنِ فَهَدَانَا اللَّهُ، وَكُنَّا عَبْدَيْنِ فَأَعْتَقَنَا اللَّهُ، إِنْ تُنْكِحُونَا فَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنْ تَمْنَعُونَا فَاللَّهُ أَكْبَرُ.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: لَمَّا دَخَلَ عُمَرُ الشَّامَ، سَأَلَ بِلاَلٌ أَنْ يُقِرَّهُ بِهِ فَفَعَلَ، قَالَ: وَأَخِي أَبُو رُوَيْحَةَ الَّذِي آخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَنَزَلَ بِدَارِيَّا فِي خَوْلاَنَ، فَأَقْبَلَ هُوَ وَأَخُوهُ إِلَى قَوْمٍ مِنْ خَوْلاَنَ، فَقَالُوا: إِنَّا قَدْ أَتَيْنَاكُمْ خَاطِبَيْنِ، وَقَدْ كُنَّا كَافِرَيْنِ فَهَدَانَا اللَّهُ، وَمَمْلُوكَيْنِ فَأَعْتَقَنَا اللَّهُ، وَفَقِيرَيْنِ فَأَغْنَانَا اللَّهُ، فَإِنْ تُزَوِّجُونَا فَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنْ تَرُدُّونَا، فَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، فَزَوَّجُوهُمَا.

حَدَّثَ عَمْرُو بنُ مَيْمُونَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: إِنَّ أَخاً لِبِلاَلٍ كَانَ يَنْتَمِي إِلَى العَرَبِ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْهُمْ، فَخَطَبَ امْرَأَةً مِنَ العَرَبِ، فَقَالُوا: إِنْ حَضَرَ بِلاَلٌ زَوَّجْنَاكَ. قَالَ: فَحَضَرَ بِلاَلٌ فَتَشَهَّدَ

وَقَالَ: أَنَا بِلَالُ بنُ رَبَاحٍ وَهَذَا أَخِي، وَهُوَ امْرُؤٌ سَوْءٍ فِي الخُلُقِ وَالدِّينِ، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تُزَوِّجُوهُ وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَدَعُوا فَدَعُوا، فَقَالُوا: مَنْ تَكُونُ أَخَاهُ نُزَوِّجُهُ، فَزَوَّجُوهُ.

وَيَبْدُو ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ أَنَّ بِلَالاً لَمْ يُنْجِبْ.

وَفَاةُ بِلَالٍ

تُوُفِّيَ بِلَالٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِدِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ[1]، وَهُوَ ابنُ بِضْعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ دُفِنَ بِبَابِ كَيْسَانَ[2]. وَقَالَ بَعْضُهُمُ الآخَرُ لَقَدْ تُوُفِّيَ بِدَارَيَّا[3]، وَحُمِلَ إِلَى دِمَشْقَ وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ.

وَذَكَرَ بَعْضُ خَوْلَانَ، أَنَّ قَبْرَهُ بِدَارَيَّا، بِمَقْبَرَةِ خَوْلَانَ.

قِيلَ: لَمَّا احْتَضَرَ بِلَالٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: غَداً نَلْقَى الأَحِبَّةَ مُحَمَّداً وَحِزْبَهُ، فَقَالَتْ زَوْجُهُ: وَا وَيْلَاهُ، فَقَالَ: وَافَرْحَاهُ.

---

(١) الباب الصغير: باب دمشق الجنوبي، وهناك مقبرة بالقرب منه تنسب إليه.

(٢) باب كيسان: منسوب إلى كيسان مولى معاوية، بالقرب من الباب الشرقي.

(٣) داريا: قرية جنوب دمشق تبعد عنها خمسة كيلومترات، واستقر فيها جماعات من قبيلة خولان اليمانية.

عَمَّار بن يَاسِر

رضي الله عنه

عَمَّارُ بنُ يَاسِر

هُوَ عَمَّارُ بنُ يَاسِرِ بنِ عَامِرِ بنِ مَالِكِ بنِ كِنَانَةَ، وَيَعُودُ فِي نَسَبِهِ إِلَى مَذْحِجَ مِنْ كَهْلَانَ بنِ سَبَأٍ وَإِلَى يَعْرُبِ بنِ قَحْطَانَ.

قَدِمَ يَاسِرُ بنُ عَامِرٍ وَأَخَوَاهُ الحَارِثُ وَمَالِكُ مِنَ اليَمَنِ إِلَى مَكَّةَ يَطْلُبُونَ أَخاً لَهُمْ، فَرَجَعَ الحَارِثُ وَمَالِكُ، وَأَقَامَ يَاسِرٌ مَكَّةَ يَطْلُبُونَ أَخاً لَهُمْ، فَرَجَعَ الحَارِثُ وَمَالِكُ، وَأَقَامَ يَاسِرٌ بِمَكَّةَ وَحَالَفَ أَبَا حُذَيْفَةَ بنَ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيَّ. وَزَوَّجَهُ أَبُو حُذَيْفَةَ أَمَةً لَهُ يُقَالُ لَهَا: سُمَيَّةَ بِنْتَ خَيَّاطٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَمَّاراً فَأَعْتَقَهُ أَبُو حُذَيْفَةَ، وَلَمْ يَزَلْ يَاسِرٌ وَعَمَّارٌ مَعَ أَبِي حُذَيْفَةَ حَتَّى مَاتَ.

كَانَ لِعَمَّارٍ أَخٌ أَكْبَرَ مِنْهُ قُتِلَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَيُدْعَى «الحُرَيْثَ» وَأَخٌ آخَرُ أَصْغَرَ مِنْهُ يُدْعَى «عَبْدَاللَّهِ».

وُلِدَ عَمَّارٌ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَالخَمْسِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِعَامٍ وَاحِدٍ، فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ سِنِّهِ، وَيُرْوَى عَنْ عَمَّارٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ تِرْبَاً

لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِسِنِّهِ[1].

وَجَاءَ الإِسْلَامُ وَأَسْلَمَ عَمَّارٌ وَأَبَوَاهُ «يَاسِرٌ» و «سُمَيَّةُ» وَأَخُوهُ عَبْدُاللَّهِ، غَيْرَ أَنَّ عَبْدَاللَّهِ لَمْ يَشْتَهِرْ لِأَنَّ عَمَّاراً قَدْ غَطَّى عَلَيْهِ بِجِهَادِهِ وَصَبْرِهِ وَتَحَمَّلَتْ هَذِهِ الأُسْرَةُ الشَّيْءَ الكَثِيرَ فِي سَبِيلِ إِسْلَامِهَا، وَمَاتَ يَاسِرٌ.

وَخَلَفَ عَلَى سُمَيَّةَ بَعْدَ يَاسِرٍ الأَزْرَقُ الرُّومِيُّ غُلَامُ الحَارِثِ بنِ كَلَدَةَ الثقَفِيُّ، وَأَنْجَبَتْ مِنْهُ سَلَمَةَ بنَ الأَزْرَقِ فَهُوَ أَخُو عَمَّارٍ لِأُمِّهِ.

عَنْ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، آخِذٌ بِيَدِي نَتَمَاشَى فِي البَطْحَاءِ، حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى أَبِي عَمَّارٍ، وَعَمَّارٍ، وَأُمِّهُ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ، فَقَالَ يَاسِرٌ: الدَّهْرُ هَكَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اصْبِرْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِآلِ يَاسِرٍ وَقَدْ فَعَلْتَ»[2].

عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه مَرَّ بِآلِ عَمَّارٍ وَهُمْ

---

(١) أخرجه الحاكم ٣/ ٣٨٥.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٦٢.

يُعَـذَّبُـونَ، فَقَـالَ لَهُمْ: : «أَبْشِـرُوا آلَ عَمَّـارٍ فَـإِنَّ مَـوْعِـدَكُمُ الجَنَّةُ»(١).

عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلاَمَ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَبِلاَلٌ، وَخَبَّابٌ، وَصُهَيْبٌ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّ عَمَّارٍ سُمَيَّةُ. قَالَ: فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنَعَهُ عَمُّهُ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ قَوْمُهُ، وَأُخِذَ الآخَرُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الحَدِيدِ، ثُمَّ صَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ حَتَّى بَلَغَ الجُهْدُ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ فَأَعْطَوْهُمْ مَا سَأَلُوا، فَجَاءَ كُلُّ رَجُلٍ قَوْمَهُ بِأَنْطَاعِ الأُدْمِ فِيْهَا المَاءُ فَأَلْقَوْهُمْ فِيْهِ وَحَمَلُوا بِجَوَانِبِهِ إِلاَّ بِلاَلاً، فَلَمَّا كَانَ العَشِيُّ جَـاءَ أَبُو جَهْـلٍ فَجَعَلَ يَشْتُمُ سُمَيَّـةَ وَيَرْفُثُ، وَجَعَلَ يَطْعَنُ بِحَرْبَتِهِ فِي قُبُلِهَا حَتَّى قَتَلَهَا فَكَانَتْ أَوَّلَ شَهِيدٍ فِي الإِسْلاَمِ، إِلاَّ بِلاَلاً فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُـهُ فِي اللَّهِ حَتَّى مَلُّوهُ، فَجَعَلُوا فِي عُـنُقِـهِ حَبْـلاً، ثُمَّ أَمَـرُوا صِبْيَـانَهُـمْ أَنْ يَشُـدُّوا بَيْنَ أَخْشَبَيْ مَكَّةَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَحَدٌ، أَحَدٌ.

كَانَ عَمَّارٌ آدَمَ، طُوَالاً مُضْطَرِباً، أَشْهَلَ العَيْنِ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، لاَ يُغَيِّرُ شَيْبَهُ، قَلِيلَ الكَلاَمِ، طَوِيلَ السُّكُوتِ، وَكَانَ

---

(١) ذكره الهيثمي ٩/٢٩٣، والحاكم ٣/٣٨٨.

عَامَّةُ قَوْلِهِ: عَائِذٌ بِالرَّحْمَنِ مِنْ فِتْنَةٍ، عَائِذٌ بِالرَّحْمَنِ مِنْ فِتْنَةٍ. فَعُرِضَتْ لَهُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ.

إِسْلَامُ عَمَّارٍ

أَسْرَعَ عَمَّارٌ فِي الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ إِذْ لَمْ يَسْبِقْهُ سِوَى بِضْعَةٍ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا، وَيَقُولُ عَنْ إِسْلَامِهِ: لَقِيتُ صُهَيْبًا عَلَى بَابِ دَارِ الأَرْقَمِ، وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيهَا فَقُلْتُ: مَا تُرِيدُ؟ فَقَالَ لِي: مَا تُرِيدُ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ عَلَى مُحَمَّدٍ فَأَسْمَعَ كَلَامَهُ، قَالَ: وَأَنَا أُرِيدُ ذَلِكَ. قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَعَرَضَ عَلَيْنَا الإِسْلَامَ فَأَسْلَمْنَا، ثُمَّ مَكَثْنَا يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَمْسَيْنَا، ثُمَّ خَرَجْنَا وَنَحْنُ مُسْتَخْفُونَ.

رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَقِيَ عَمَّارًا وَهُوَ يَبْكِي، فَجَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ عَيْنَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: «أَخَذَكَ الكُفَّارُ فَغَطُّوكَ فِي المَاءِ فَقُلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ عَادُوا فَقُل لَهُمْ ذَلِكَ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بنِ عَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ قَالَ: أَخَذَ المُشْرِكُونَ عَمَّارَ بنِ يَاسِرٍ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى نَالَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، فَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: شَرٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا تُرِكْتُ

حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، قَالَ: فَكَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟ قَالَ: مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ، قَالَ: فَإِنْ عَادُوا فَعُدْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ بَعْدَ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ الآيَةَ ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[2] قَدْ نَزَلَتْ فِي عَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ.

وَهَاجَرَ عَمَّارٌ إِلَى الحَبَشَةِ[3] مَعَ المَجْمُوعَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي هَاجَرَتْ مَعَ جَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ فِي هَذِهِ المَجْمُوعَةِ هِشَامُ بنُ أَبِي حُذَيْفَةَ المَخْزُومِيُّ أَيْ ابْنُ حَلِيفِ عَمَّارٍ، وَمَعَ عَدَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ عُمُومَتِهِ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ. وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ رَجَعَ عَمَّارٌ مِنَ الحَبَشَةِ إِلَى مَكَّةَ مَعَ مَنْ رَجَعَ، وَقَدْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى تَحَمُّلِ الأَذَى وَالصَّبْرِ عَلَى الشَّدَائِدِ، وَفَضَّلَ ذَلِكَ لِقُرْبِهِ مِنْ رَسُولِ

(١) سورة النحل الآية ١٠٦.
(٢) سورة الزمر الآية ٩.
(٣) اختلف في هجرته.

اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى البُعْدِ وَالحَيَاةِ الَّتِي لاَ عَذَابَ فِيْهَا وَلاَ شِدَّةَ.

وَهَاجَرَ عَمَّارٌ إِلَى المَدِينَةِ وَنَزَلَ عَلَى مُبَشِّرِ بنِ المُنْذِرِ، وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ عَمَّارٍ وَحُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ.

وَلَمَّا بَنَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَسْجِدَهُ، جَعَلَ القَوْمُ يَحْمِلُونَ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْمِلُ هُوَ وَعَمَّارٌ، وَجَعَلَ عَمَّارٌ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

نَحْنُ المُسْلِمُونَ نَبْتَنِي المَسَاجِدَا

وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: المَسَاجِدَا.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: لَمَّا أَخَذَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في بِنَاءِ المَسْجِدِ جَعَلْنَا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً، وَجَعَلَ عَمَّارٌ يَحْمِلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَجِئْتُ فَحَدَّثَنِي أَصْحَابِي أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَعَلَ يَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْ رَأْسِهِ، وَيَقُولُ: «وَيْحَكَ ابْنَ سُمَيَّةَ تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ».

وَشَهِدَ بَدْراً وَأُحُداً وَالخَنْدَقَ وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ يُعَدُّ مِنْ أَبْطَالِ المَعَارِكِ فَقَدْ قَتَلَ

يَوْمَ بَدْرٍ الحَارِثَ بنَ زَمْعَةَ الأَسَدِيَّ، وَأَبَا قَيْسٍ بنِ الفَاكِهِ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيَّ، وَعَلِيَّ بنَ أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ الجُمَحِيَّ إِضَافَةً إِلَى أَحَدِ بَنِي عَمْرِو بنِ تَمِيمٍ مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي مَخْزُومٍ وَهُوَ فَاتِكٌ شُجَاعٌ.

وَفِي حَمْرَاءِ الأَسَدِ وَقَبْلَ عَوْدَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى المَدِينَةِ، قَبَضَ المُسْلِمُونَ مِنَ المُشْرِكِينَ عَلَى أَبِي عَزَّةَ الجُمَحِيِّ فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ كَانَ قَدْ خَانَ العَهْدَ حَيْثُ أُسِرَ فِي بَدْرٍ، وَمَنَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ الكَرِيمُ، ثُمَّ عَادَ إِلَى فِعْلَتِهِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمَّا قُبِضَ عَلَيْهِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقِلْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ: «وَاللَّهِ لاَ تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ بِمَكَّة بَعْدَهَا، وَتَقُولُ خدَعْتُ مُحَمَّداً مَرَّتَيْنِ، اضْرِبْ عُنُقَهُ يَا زُبَيْرُ» فَضَرَبَ عُنُقَهُ. كَمَا قَبَضَ المُسْلِمُونَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بنِ المُغِيرَةِ بنِ أَبِي العَاصِ الأُمَوِيِّ، فَلَجَأَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ فَاسْتَأْمَنَ لَهُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّنَهُ، عَلَى أَنَّهُ إِنْ وُجِدَ بَعْدَ ثَلاَثٍ قُتِلَ، فَأَقَامَ بَعْدَ ثَلاَثٍ وَتَوَارَى، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زَيْدَ بنَ حَارِثَةَ وَعَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ وَقَالَ لَهُمَا: إِنَّكُمَا سَتَجِدَانِهِ بِمَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا فَوَجَدَاهُ فَقَتَلاَهُ.

وَفِي السَّيْـرِ إِلَى تَبُـوكَ وَالاسْتِعْـدَادِ لَـهُ اجْتَمَـعَ رَهْطٌ مِنَ المُنَـافِقِينَ، وَبَـدَأَ الحَـدِيثُ عَنِ الغَزْوِ، وَأَرَادُوا تَـوْهِينَ صَفِّ المُسْلِمِينَ وَإِضْعَافِ أَمْرِهِمْ وَإِرْجَـافاً، فَقَـالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَتَحْسَبُونَ جِلاَدَ بَنِـي الأَصْفَـرِ كَقِتَالِ العَـرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، وَاللَّهِ لَكَأَنَّا بِكُمْ غَدَاً مُقَرَّنِينَ فِي الجِبَالِ . فَأَحَسَّ أَحَدُهُمْ سُوءَ هَذِهِ المَقَالَةَ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقَاضَى عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا مِائَةَ جَلْدَةٍ، وَأَنَّا نَنْفَلِتُ أَنْ يَنْزِلَ فِينَا قُـرْآنٌ لِمَقَـالَتِكُمْ هَـذِهِ. وَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُـولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمٍ ، فَقَـالَ لِعمَّارِ بنِ يَاسِرٍ: أَدْرِكِ القَوْمَ فَـإِنَّهُمْ قَدِ احْتَـرَقُوا، فَسَلْهُمْ عَمَّـا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ: بَلَى ، قُلْتُمْ كَذَا وَكَـذَا. فَانْـطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمَّـارٌ، فَقَالَ ذَلِـكَ لَهُمْ؛ فَأَتَـوْا رَسُـولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَـلَّ: ﴿يَحْذَرُ المُنَـافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ، قُـلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْـرِجٌ مَا تَحْـذَرُونَ. وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُـولُنَّ إِنَّمَا كُنَّـا نَخُـوضُ وَنَلْعَبُ، قُلْ أَبِـاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. لاَ تَعْتَـذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ، إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[١] .

---

(١) سورة التوبة ٦٤ ـ ٦٦.

قَالَ الحَسَنُ: قَالَ عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ: قَدْ قَاتَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، الإِنْسَ وَالجِنَّ، فَقِيلَ لَـهُ: مَـا هَـذَا؟ قَاتَلْتَ الإِنْسَ فَكَيْفَ قَاتَلْتَ الجِنَّ؟ قَالَ: نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَنْزِلاً فَأَخَذْتُ قِـرْبَتِي وَدَلْوِي لِأَسْتَقِيَ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ آتٍ يَمْنَعُكَ مِنَ المَاءِ. فَلَمَّـا كُنْتُ عَلَى رَأْسِ البِئْرِ إِذَا رَجُـلٌ أَسْوَدُ كَأَنَّهُ مَرَسٌ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا تَسْتَقِي اليَـوْمَ مِنْهَا ذَنُـوباً وَاحِـدَاً، فَأَخَذْتُهُ وَأَخَذَنِي فَصَرَعْتُهُ، ثُمَّ أَخَذْتُ حَجَرَاً فَكَسَـرْتُ بِهِ أَنْفَـهُ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ مَلأْتُ قِرْبَتِي فَأَتَيْتُ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَـالَ: هَلْ أَتَـاكَ عَلَى المَـاءِ مِنْ أَحَـدٍ؟ فَقُلْتُ: عَبْـدٌ أَسْوَدُ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ بِهِ؟ فَأَخْبَرْتُـهُ، قَالَ: أَتَـدْرِي مَنْ هُوَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: ذَاكَ الشَّيْطَانُ، جَاءَ يَمْنَعُكَ مِنَ المَاءِ.

وَقَدْ أَقْطَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ مَوْضِعَ دَارِهِ بِالمَدِينَةِ.

أَتَى رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَـالَ لَهُ: إِنَّ عَمَّـارَاً وَقَعَ عَلَيْـهِ حَائِطٌ فَمَـاتَ، قَالَ: مَـا مَاتَ عَمَّـارٌ، فَجَـاءَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، إِلَى عَمَّـارٍ فَوَجَـدَهُ وَعَلَيْهِ آثَارُ التُّرَابِ فَأَخَذَ يَنْفُضُ عَنْهُ التُّرَابَ وَيَقُولُ لَهُ: تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ.

قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لِعَمَّارٍ: أَيُّهَا الأَجْدَعُ، فَقَالَ عَمَّارٌ: خَيْرُ أُذُنَيَّ سَبَبْتَ، إِنَّهَا أُصِيبَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مَعَ أَبِي بَكْرٍ

لَمَّا آلَ أَمْرُ المُسْلِمِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ عَمَّارُ لَهُ سَنَداً قَوِيّاً يَتَّجِهُ حَيْثُ وَجَّهَهُ، وَيُطِيعُه بِمَا أَمَرَهُ، وَيَنْطَلِقُ حَيْثُ أَرْسَلَهُ. وَلَمَّا خَرَجَتِ الجُيُوشُ لِقِتَالِ المُرْتَدِّينَ انْتَظَمَ فِيهَا، وَكَانَتْ وِجْهَتُهُ أَرْضَ اليَمَامَةِ، وَمَا أَنِ التَقَى الجَمْعَان حَتَّى قَاتَلَ قِتَالَ الأَبْطَالِ فَلاَ يُرَى إِلاَّ فِي مُقَدِّمَةِ الصُّفُوفِ، يَقُولُ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رَأَيْتُ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ يَوْمَ اليَمَامَةِ عَلَى صَخْرَةٍ، وَقَدْ أَشْرَفَ يَصِيحُ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ.... أَمِنَ الجَنَّةِ تَفِرُّونَ؟ أَنَا عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ هَلُمُّوا إِلَيَّ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا أُذُنُهُ مَقْطُوعَةٌ تَتَأَرْجَحُ، وَهُوَ يُقَاتِلُ أَشَدَّ القِتَالِ.

مَعَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ

وَلَّى عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ عَلَى الكُوفَةِ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ، وَأَرْسَلَ كِتَاباً إِلَى أَهْلِ ذَلِكَ المِصْرَ، وَقَدْ جَاءَ فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ أَمِيراً وَابْنَ مَسْعُودٍ مُعَلِّماً وَوَزِيراً، وَقَدْ

جَعلْتُ ابْـنَ مَسْعُـودٍ عَلَى بَيْتِ مَالِكِمْ، وَإِنَّهُمَا لَمِنَ النُّجَباءِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَاسْمَعُوا لَهُمَا وَأَطِيعُوا وَاقْتَـدُوا وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِابْنِ أُمِّ عَبْدٍ عَلَى نَفْسِي، وَبَعَثْتُ عُثْمَانَ بنَ حُنَيْفٍ عَلَى السَّوَادِ، وَرَزَقْتُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ شَاةً فَأَجْعَـلُ شَطْرَهَا وَبَـطْنَها لِعَمَّارٍ، وَلِعَبْدِاللَّهِ رُبْعَهَا وَلِعُثْمَانَ رُبْعَهَا.

وَكَانَ عَمَّارٌ يَقْرَأُ كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى المِنْبَرِ سُورَةَ (يَسٓ).

وَقَرأَ مَرَّةً (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ) وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ فَنَزَلَ فَسَجَدَ.

يَقُولُ طَارِقُ بنُ شِهَابٍ: إِنَّ أَهْلَ البَصْرَةِ غَزَوْا نَهَاوَنْدَ فَأَمَدَّهُمْ أَهْلُ الكُوفَةِ وَعَلَيْهِمْ عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ، فَظَفِرُوا، فَأَرَادَ أَهْلُ البَصْرَةِ أَنْ لَا يَقْسِمُـوا لِأَهْلِ الكُوفَـةِ شَيْئَاً. فَقَـالَ رَجُلٌ تَمِيمِيٌّ: أَيُّهَـا الأَجْدَعُ! تُرِيدُ أَنْ تُشَارِكَنَا فِي غَنَائِمِنَا؟ فَقَالَ عَمَّارٌ: خَيْرُ أُذُنَيَّ سَبَبْتَ، فَإِنَّهَا أُصِيبَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَتَبَ ذَلِكَ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، فَكَتَبَ عُمَـرُ: إِنَّ الغَنِيمَةَ لِمَنْ شَهِدَ الوَقْعَةَ.

وَيَقُولُ ابْنُ أَبِي الهُذَيْلِ: رَأَيْتُ عَمَّارَ بنَ يَـاسِرٍ اشْتَـرَى قَتّـاً بِدِرْهِمٍ، فَاسْتَزَادَ حَبْلاً فَأَبِيَ فَجَابَذَهُ حَتَّى قَاسَمَهُ نِصْفَيْنِ وَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَهُوَ أَمِيرُ الكُوفَةِ.

كَانَ التَّوَاضُعُ صِفَةَ عَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَـلْ هُوَ

السِّمَةُ الأَسَاسِيَّةُ لِصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَمَّارُ أَحَدُهُمْ، وَهُوَ مَا وَصَفَ بِهِ عُمَرُ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَى الكُوفَةِ عَمَّاراً، وَعَبْدَاللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ، وَعُثْمَانَ بنَ حُنَيْفٍ إِذْ قَالَ عَنْهُمْ: مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، كَمَا طَالَبَ أَهْلَ الكُوفَةِ بِأَنْ يَقْتَدُوا بِهِمْ، فَهُمْ جَدِيرُونَ أَنْ يُقْتَدَى بِهِمْ فِي كُلِّ سُلُوكِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ.

سُئِلَ عَمَّارُ عَنْ مَسأَلَةٍ فَقَالَ: هَلْ كَانَ هَذَا بَعْدُ؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَدَعُونَا حَتَّى يَكُونَ، فَإِنَ كَانَ تَجَشَّمْنَاهُ لَكُمْ.

وَسَأَلَ عُمَرُ جَرِيَراً عَنْ عَمَّارٍ، فَقَالَ: هُوَ غَيْرُ كَافٍ وَلاَ عَالِمٍ بِالسِّيَاسَةِ.

وَسَأَلَ عُمَرُ بَعْضَ أَهْلِ الكُوفَةِ عَنْ عَمَّارٍ فَأَثْنَوا عَلَيْهِ وَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَنْتَ أَمَّرْتَهُ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَمَّرَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا كَمَا يُقَالُ، فَوَاللَّهِ لأَنَا أَمَّرْتُهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ كَانَ صَوَاباً، فَمِنْ قِبَلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَطَأً إِنَّهُ مِنْ قِبَلِي.

وَوَشَى رَجُلٌ مِنَ الكُوفَةِ بِعَمَّارٍ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ لَهُ عَمَّارُ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً، فَأَكْثَرَ اللَّهُ مَالَكَ وَوَلَدَكَ، وَجَعَلَكَ مُوَطَّأَ العَقِبَيْنِ.

وَسَعَوْا بِعَمَّارٍ إِلَى عُمَرَ فِي أَشْيَاءَ كَرِهَهَا لَهُ، فَعَزَلَهُ وَلَمْ يُؤَنِّبْهُ.

وَقَالَ عُمَرُ لِعَمَّارٍ: أَسَاءَكَ عَزْلُنَا إِيَّاكَ؟ قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذَاكَ لَقَدْ سَـاءَنِي حِينَ اسْتَعْمَلْتَنِي وَسَاءَنِي حِينَ عَزَلْتَنِي.

مَعَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ

كانَ عَمَّارُ مَوْضِعَ احْتِرَامِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ وَمَكَانَ ثِقَتِهِ، وَكَذَا كَانَتْ نَظْرَةُ عَمَّارٍ إِلَى أَمِيرِهِ وَخَلِيفَتِهِ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ.

وَلَمَّا بَدَأَتِ الفِتْنَةُ حَاوَلَ الخَلِيفَةُ عُـثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنْ يُسْكِتَ إِشَـاعَاتِ المُخَـرِّبِينَ بِلِينِهِ وَحِكْمَتِـهِ، فَكَتَبَ لِأَهْلِ الكُوفَةِ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمْ مَنِ اخْتَرْتُمْ، وَأَعْفَيْتُكُمْ مِنْ سَـعِيـدٍ، وَاللَّهِ لأَفْـرُشَنَّكُمْ عِـرْضِي، وَلأَبْـذُلَنَّ لَكُمْ صَبْـرِي، وَلأَسْتَصْلِحَنَّكُمْ بِجُهْدِي، فَلاَ تَـدَعُوا شَيْـئاً أَحْبَبْتُمُوهُ لاَ يُعْصَى اللَّهُ فِيْهِ إِلَّا سَأَلْتُمُوهُ، وَلاَ شَيْئاً لاَ يُعْصَى اللَّهُ فِيْـهِ إِلَّا اسْتَعْفَيْتُمْ مِنْهُ، أَنْزِلُ فِيْهِ عِنْدَمَا أَحْبَبْتُمْ حَتَّى لاَ يَكُونَ لَكُمْ عَلَيَّ حُجَّةٌ.

لَمْ يَفِدْ لِينُ الخَلِيفَةِ المُخَرِّبِينَ شَيْئاً بَلْ زَادُوا فِي تَصَرُّفَـاتِهِمْ وَكَـلاَمِهِمْ، فَـأَرْسَـلَ الخَلِيفَـةُ إِلَى الأَمْصَـارِ بَعْضَ الصَّحَـابَـةِ يَسْتَطْلِعُونَ آرَاءَ النَّاسِ، وَيَعْرِفُونَ أَخْبَارَ المُسْلِمِينَ وَمَـوْقِفَهُمْ، فَقَدْ بَعَثَ مُحَمَّدَ بنَ مَسْلَمَـةَ إِلَى الكُوفَـةِ، وَأُسَامَـةَ بنَ زَيْدٍ إِلَى البَصْرَةِ، وَعَبْدَاللَّهِ بنَ عُمَـرَ إِلَى الشَّامِ، وَعَمَّـارَ بنَ يَاسِـرٍ إِلَى مِصْرَ، وَرِجَالاً آخَرِينَ سِوَاهُمْ، فَرَجَعَ الجَمِيعُ وَلَمْ يُنْكِرُوا شَيْئاً

إِلَّا عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ فَقَدْ تَأَخَّرَ وَاسْتَمَعَ إِلَى مَا كَانَ يُشَاعُ.

أَخَذَ عَمَّارُ يُنْكِرُ عَلَى الخَلِيفَةِ أُمُوراً لَوْ كَفَّ عَنْهَا لَكَانَ أَحْسَنَ، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

مَعَ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ

وَقَفَ عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ كَمَا وَقَفَ مَعَ الخُلَفَاءِ قَبْلَهُ، فَلَمَّا اشْتَدَّتِ الفِتْنَةُ وَاسْتَشْرَتْ آثَارُهَا ازْدَادَ اقْتِرَاباً مِنْهُ لَعَلَّ بِمُسَاعَدَتِهِ وَمُعَاوَنَةِ الآخرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ يَسْتَطِيعُونَ اجْتِثَاثَ الفِتْنَةِ وَأَسْبَابِهَا، وَبَذَلَ جُهْدَهُ وَقَدَّمَ إِمْكَانَاتِهِ كَافَّةً لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً غَيْرَ أَنَّهُ حَصَلَ عَلَى الأَجْرِ وَبِمَا صَدَقَ وَأَخْلَصَ.

شَهِدَ عَمَّارُ وَقْعَةَ الجَمَلِ بِجَانِبِ عَلِيٍّ، وَنَظَرَ إِلَى الَّذِين كَانُوا فِي الصَّفِ المُقَابِلِ فَتَأَثَّرَ أَشَدَّ التَّأَثُّرِ. نَظَرَ إِلَى أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: إِنَّ أُمَّنَا (يَعْنِي عَائِشَةَ) قَدْ مَضَتْ لِسَبِيلِهَا، وَإِنَّهَا لَزَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ابْتَلَانَا بِهَا لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ نُطِيعُ أَوْ إِيَّاهَا[1]. إِنَّهُ لَوَعْيٌ عَظِيمٌ، وَنَظَرٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٧٢) وأحمد (٤/٢٦٥) باب فضل الصحابة، وقد ذكر عمار ذلك في الخطبة التي خطبها أمام أهل الكوفة عندما أرسله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع الحسن بن علي إلى أهل الكوفة ليستنفرهم.

ثَاقِبٌ فَقَدْ أَعْطَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حَقَّهَا، وَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا أُمَّهُ وَأُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّهَا زَوْجُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، لَكِنَّهَا أَخْطَأَتْ فَهِيَ لَيْسَتْ مَعْصُومَةً، وَعَدَّ هَذَا ابْتَلاءً مِنَ اللَّهِ، لِيَنْظُرَ هَلْ يُعْبَدُ اللَّهُ حَقّاً فَيُطَاعُ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ أَمْ هَلْ تُطَاعُ عَائِشَةُ بِصِفَتِهَا زَوْجَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَحَبَّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ، وَأَنَّهَا ابْنَةُ الصِّدِّيقِ؟.

وَانْتَهَتْ وَقْعَةُ الجَمَلِ إِلَى مَا انْتَهَتْ إِلَيْهِ فَقَالَ عَمَّارٌ لِعَلِيٍّ: مَا تَقُولُ فِي أَبْنَاءِ مَنْ قَتَلْنَا؟ قَالَ: لاَ سَبِيلَ عَلَيْهِمْ. قَالَ: لَوْ قُلْتَ غَيْرَ ذَا لَخَالَفْنَاكَ.

وَيُرْوَى أَنَّ عَمَّاراً قَالَ لِعَلِيٍّ يَوْمَ الجَمَلِ: مَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ بِهَؤُلاَءِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: حَتَّى نَنْظُرَ لِمَنْ تَصِيرُ عَائِشَةُ، فَقَالَ عَمَّارٌ: وَنَقْسِمُ عَائِشَةَ؟ قَالَ: فَكَيْفَ نَقْسِمُ هَؤُلاَءِ؟ قَالَ: لَوْ قُلْتَ غَيْرَ ذَا مَا بَايَعْنَاكَ.

وَيُلاَحَظُ وَعْيُ عَمَّارٍ هُنَا مَرَّةً ثَانِيَةً، فَالخَلِيفَةُ يَجِبُ أَنْ يُطَاعَ وَلَكِنْ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَإِذَا خَالَفَ الأَمِيرُ يَجِبُ نُصْحُهُ فَإِنْ أَبَى وَأَصَرَّ يَجِبُ مُخَالَفَتُهُ، وَإِنْ وَقَعَ خِلاَفٌ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَأَدَّى إِلَى قِتَالٍ، فَإِنَّ هَذَا القِتَالَ يَخْتَلِفُ تَمَاماً عَنْ قِتَالِ الأَعْدَاءِ،

فَلاَ سَبِيلَ إِلَى السَّبْيِ ، وَلاَ إِلَى الإِجْهَازِ عَلَى الجَرِيحِ ، وَلاَ إِلَى مُلاَحَقَةِ الفَارِّ، وَإِنَّما القِتَالُ فَقَطْ مِنْ أَجْلِ إِعَادَةِ المُعْتَدِي إِلَى رُشْدِهِ، وَإِرْجَاعِ البَاغِي عَنْ غَيِّهِ حَتَّى يَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ. ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾[1]. فَالقِتَالُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ قَدْ يَقَعُ وَالبَغْيُ قَدْ يَحْدُثُ وَلَكِنْ لاَ يُنْفَى الإِيمَانُ عَنْ كِلاَ الطَّرَفَيْنِ صَاحِبِ الحَقِّ وَالبَاغِي، وَلاَ بُدَّ لِلْبَاغِي أَنْ يَعُودَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ مَادَامَ مُؤْمِناً. وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ إِسْلاَمِيَّةٌ يَعْمَلُ بِمُوجِبِهَا الخَلِيفَةُ فَإِنْ عَدَلَ عَنْهَا يُمْكِنُ مُخَالَفَتُهُ وَيُمْكِنُ رَفْضُ بَيْعَتِهِ لِأَنَّهُ عَدَّلَ وَبَدَّلَ.

وَشَهِدَ عَمَّارٌ صِفِّينَ، وَقَاتَلَ قِتَالَ الأَبْطَالِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ جَاوَزَ التِّسْعِينَ. وَقَالَ يَوْمَهَا وَقَدْ شَعَرَ أَنَّهُ سَيُقْتَلُ: ائْتُونِي بِشُرْبَةِ لَبَنٍ، فَشَرِبَ ثُمَّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ آخِرَ شَرْبَةٍ تَشْرَبُهَا مِنَ الدُّنْيَا شَرْبَةَ لَبَنٍ» ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقُتِلَ.

وَكَانَ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ يُقَاتِلُ: أَزِفَتِ الجِنَانُ، وَزُوِّجَتِ

---

(١) سورة الحجرات الآية ٩.

الحُورُ العِينُ، اليَوْمَ نَلْقَى حَبِيبَنَا مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَتَلَهُ ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ أَبُو الغَادِيَةِ الَّذِي يَقُولُ: سَمِعْتُ عَمَّاراً يَقَعُ فِي عُثْمَانَ يَشْتُمُهُ، فَتَوَعَّدْتُهُ بِالقَتْلِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ صِفِّينَ، جَعَلَ عَمَّارُ يَحْمِلُ عَلَى النَّاسِ، فَقِيلَ هَذَا عَمَّارُ فَطَعَنْتُهُ فِي رُكْبَتِهِ، فَوَقَعَ فَقَتَلْتُهُ، فَقِيلَ قُتِلَ عَمَّارٌ. وَأُخْبِرَ عَمْرُو بنُ العَاصِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ قَاتِلَهُ وَسَالِبَهُ فِي النَّارِ».

لَمَّا قُتِلَ عَمَّارُ دَخَلَ عَمْرُو بنُ حَزْمٍ عَلَى عَمْرِو بنِ العَاصِ فَقَالَ: قُتِلَ عَمَّارٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ». فَقَامَ عَمروُ فَزِعاً إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: قُتِلَ عَمَّارُ. قَالَ: قُتِلَ عَمَّارُ فَمَاذَا كَانَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ» قَالَ: أَنَحْنُ قَتَلْنَاهُ؟ وَإِنَّما قَتَلَهُ عَلِيٌّ وَأَصْحَابُهُ، جَاءُوا بِهِ حَتَّى أَلْقَوْهُ بَيْنَ رِمَاحِنَا.

قُتِلَ عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ وَهَاشِمُ بنُ عُتْبَةَ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ أَيَّامِ صِفِّينَ فِي غُرَّةِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلاثِينَ لِلْهِجْرَةِ، عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَصَلَّى عَلَيْهِمَا عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً، وَدُفِنَا فِي صِفِّينَ.

رَأى أَبُو مَيْسَرَةَ عَمْرُو بنُ شُرَحْبِيلَ فِي المَنَامِ رَوْضَةً خَضْرَاءَ فِيْهَا قِبَابٌ مَضْرُوبَةٌ فِيْهَا عَمَّارُ وَقِبَابٌ مَضْرُوبَةٌ فِيْهَا ذُو الكَلَاعِ ـ وَكَان مِمَّنْ قُتِلَ مَعَ مُعَاوِيَةَ ـ قَالَ: قُلْتَ: كَيْفَ هَذَا وَقَدِ اقْتَتَلُوا؟ قَالَ: فَقِيلَ لِي: وَجَدُوا رَبًّا وَاسِعَ المَغْفِرَةِ.

كَانَ عَمَّارُ يُكَنَّى أَبَا اليَقْظَانِ، وَقَدْ نَاهَزَ التِّسْعِينَ، وَقِيلَ أَكْثَرُ، وَلَكِنَّهُ تِرْبُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِذَا فَإِنَّ عُمْرَهُ كَانَ تِسْعِينَ عَاماً عِنْدَمَا قُتِلَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- ٥٥ -

عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ

رضي الله عنهُ

عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ

وُلِدَ عَامِرُ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ وَالثَّلاَثِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعَةَ عَشَرَ عَاماً. فَلَمَّا بُعِثَ الرَّسُولُ الكَرِيمُ كَانَ عَامِرُ فِي مُقْتَبَلِ العُمْرِ حَيْثُ كَانَتْ سِنُّهُ ثَلاَثَةً وَعِشْرِينَ عَاماً.

كَانَ عَامِرٌ غُلاَمَاً لِلطُّفَيْلِ بنِ الحَارِثِ أَخِي أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِأُمِّهَا أُمِّ رُومَانَ.

عَاشَ عَامِرٌ فِي ذَلِكَ المُجْتَمَعِ الجَاهِلِيِّ، فَطَحَنَهُ طَحْناً، فَالرِقُّ المَضْرُوبُ عَلَيْهِ قَدْ أَمَاتَ فِي نَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَوْضُوعُ الطَّبَقَاتِ قَدْ ذَوَّبَ كُلَّ أَمَلٍ لَهُ، وَأَيُّ آمَالٍ لِمِثْلِ هَذَا الشَّابِ فَهُوَ فِي أَدْنَى الطَّبَقَاتِ بَلْ لاَ يُصَنَّفُ فِي دَرَجَاتِ سُلَّمِهَا، وَإِنَّمَا يَعِيشُ هَمَلاً خَارِجَ عَدَادِ كُلِّ تَصْنِيفٍ، يَحَيَا لِخِدْمَةِ الآخَرِينَ، وَيَكِدُّ فِي سَبِيلِهِمْ، وَيَفْنَى لِيَنْعَمَ الآخَرُونَ بِمَا يُقَدِّمُ.

إِنَّهُ يَعِيشُ دُونَ أَمَلٍ، وَيَحْيَا مِنْ غَيْرِ تَفْكِيرٍ، يَتَحَرَّكُ كَمَا

يُؤمَرُ، وَيَنْطَلِقُ كَمَا يُوجَّهُ. يَرى الغَنِيَّ يَأْكُلُ الفَقِيرَ وَيُسَاعِدُهُ النَّاسُ عَلَى جَرِيمَتِهِ بَلْ وَيُثْنُونَ عَلَى فِعْلَتِهِ. وَيَهْضِمُ القَوِيُّ حَقَّ الضَّعِيفِ، وَيُحَسِّنُ المُجْتَمَعُ لَهُ عَمَلَهُ. وَيَتَصَرَّفُ السَّادَةُ بِمَوَالِيهِمْ وَخَدَمِهِمْ كَمَا يَتَصَرَّفُ المَرْءُ فِي حَاجَةٍ مِنْ حَاجَاتِهِ، وَهَذَا هُوَ النِّظَامُ السَّائِدُ وَالمُتَعَارَفُ عَلَيْهِ وَالمَعْمُولُ بِهِ. وَيَسْتَقِرُّ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ لاَ رَجَاءَ يُؤَمَّلُ عَلَيْهِ، وَلاَ أَمَلَ فِي الإِصْلاَحِ، وَيَرى أَنْ تَمُوتَ نَفْسُهُ أَفْضَلَ مِنَ العَذَابِ الَّذِي يُعَانِيهِ مِنَ التَّفْكِيرِ. وَيَنْقَطِعُ التَّفْكِيرُ، وَيَسْكُتُ الحَدِيثُ مَعَ النَّفْسِ، وَتُخَيِّمُ ظُلْمَةُ عَلَى دُنْيَاهُ فَلاَ يَرَى فِي عَيْنَيْهِ المُبْصِرَتَيْنِ سِوَى أَوْهَامٍ وأشباحٍ تَتَحَرَّكُ فِي الظَّلاَمِ.

وَيَدُورُ هَمْسٌ فِي أَنْدِيَةِ قُرَيْشٍ وَبَيْنَ رِجَالاَتِهَا عَنْ رَجُلٍ يُدْعَى مُحَمَّداً، وَعَنِ الإِسْلاَمِ فَيُحَاوِلُ أَلاَّ يُلْقِيَ بَالاً فَهُوَ قَابِعٌ فِي ظُلْمَةِ نَفْسِهِ وَفِي زَاوِيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أَحْدَاثِ المُجْتَمَعِ طَالَمَا قَدْ وُجِدَ هَكَذَا وَلاَ عَلاَقَةَ لَهُ بِمَا يَتَحَدَّثُ بِهِ السَّادَةُ وَبِمَا يُفَكِّرُ بِهِ طَوَاغِيتُ الوَادِي وَكُلُّ مَا عَلَيْهِ أَنْ يُؤَدِّيَ طَلَبَاتِ سَيِّدِهِ. غَيْرَ أَنَّ الهَمْسَ يَرْتَفِعُ وَيَعْلُو حَتَّى يَنْقَلِبَ إِلَى صَخَبٍ وَيَدْخُلَ الحَدِيثُ إِلَى كُلِّ دَارٍ، وَيَدُورُ الحَدِيثُ عَلَى الأَلْسُنِ كُلِّهَا، وَيَنْدَفِعُ بِآذَانِهِ نَحْوَ السَّمَاعِ حُبّاً فِي الاسْتِطْلاَعِ، فَيَقْرَعُ سَمْعَهُ كَلِمَاتٌ غَرِيبَةٌ

عَنِ المُجْتَمَعِ ، لَمْ يَتَعَوَّدْ سَمَاعَهَا وَلَمْ يَتَوَقَّعِ انْتِشَارَهَا، إِنَّهَا الدَّعْوَةُ إِلَى دِينٍ جَدِيدٍ اسْمُهُ الإِسْلاَمُ.

يَصِلُ إِلَى سَمْعِهِ أَنَّ الإِسْلاَمَ يُرِيدُ أَنْ يَقْضِيَ عَلَى النِّظَامِ الجَاهِلِيِّ القَائِمِ ، وَيَجْتَثَّهُ مِنْ جُذُورِهِ أَيْنَمَا وُجِدَ وَفِي أَيَّةِ رُقْعَةٍ مِنَ العَالَمِ. وَلَكِنْ مَاذَا تَعْنِي كَلِمَةُ «العَالَمِ» عِنْدَ هَذَا الشَّابِّ المَسْحُوقِ فِي هَذَا المُحِيطِ الضَّيِّقِ وَالَّذِي لاَ يَعْرِفُ سِوَاهُ.

وَيَدْفَعُهُ فُضُولُهُ بَلْ يَدْفَعُهُ الأَمَلُ الَّذِي يَتَوَلَّدُ مِنْ جَدِيدٍ، وَالحُلْمُ الَّذِي يَنْبَعِثُ فِي النَّفْسِ فَجْأَةً وَلاَ يَدْرِي مِنْ أَيْنَ؟ كُلُّ هَذَا يَجْعَلُهُ فِي شَوْقٍ إِلَى السَّمَاعِ وَتَقَصِّي الأَخْبَارِ وَيَسْمَعُ أَنَّ هَذَا الدِّينَ الجَدِيدَ يَعُدُّ النَّاسَ مُتَسَاوِينَ، فَهُمْ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ المِشْطِ، لاَ فَرْقَ بَيْنَ غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ، وَلاَ قَوِيٍّ وَضَعِيفٍ، وَلاَ بَيْنَ صَاحِبِ أُسْرَةٍ وَأَبْتَرَ، وَلاَ تَمَايُزَ فِي الأَنْسَابِ، وَالقَبَائِلِ ، وَالأَجْنَاسِ ، وَالعُرُوقِ، وَالأَلْوَانِ، وَاللُّغَاتِ، فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، وَلَكِنَّ التَّمَايُزَ إِنَّمَا هُوَ فِي صَالِحِ الأَعْمَالِ. وَالفَقِيرُ الَّذِي يَخْدُمُ الغَنِيَّ أَوْ يَعْمَلُ عِنْدَهُ، وَالمَوْلَى الَّذِي أَجْبَرَتْهُ أَوْضَاعُهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ سَيِّدٍ، فَمَا لِلْغَنِيِّ وَلاَ لِلسَّيِّدِ مِنْ سَبِيلٍ عَلَى مَنْ يَعْمَلُ عِنْدَهُ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ فَضْلٍ ، وَإِنَّمَا الفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ فَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي نَمَّى مَالَ الأَوَّلِ

وَأَعْطَاهُ فَصَارَ غَنِيّاً، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي أَعَطَى الثَّانِيَ مِنْ نِعَمِهِ وَهَيَّأَ لَهُ مَا جَعَلَهُ سَيِّداً.

وَقَعَتْ هَذِهِ التَّعَالِيمُ فِي أُذُنِ عَامِرٍ، فَوَعَاهَا فِكْرُهُ مُبَاشَرَةً، وَأَدْرَكَهَا قَلْبُهُ، وَتَقَبَّلَتْهَا نَفْسُهُ، وَآمَنَ بِهَا فَهِيَ الَّتِي طَالَما شَغَلَتْ تَفْكِيرَهُ، وَتَوَلَّدَ الأَمَلُ عِنْدَهُ مِنْ جَدِيدٍ، وَعَاوَدَتْهُ أَحْلاَمُ الشَّبَابِ، وَانْطَلَقَ فَجْأَةً نَحْوَ صَاحِبِ الدَّعْوَةِ، مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِاللَّهِ، وَاسْتَمَعَ مِنْهُ، وَآمَنَ بِاللَّهِ، وَشَهِدَ لِمُحَمَّدٍ بِالرِّسَالَةِ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَارَ الأَرْقَمِ بنِ أَبِي الأَرْقَمِ وَقَبْلَ أَنْ يَدْعُوَ فِيهَا.

اطْمَأَنَّتْ نَفسُ عَامِرٍ، وَأَيْقَنَ أَنَّ النُّورَ سَيَنْبَلِجُ قَرِيباً وأَنَّ الصُّبْحَ مُشْرِقٌ لاَ مَحَالَةَ، وَأَنَّ الظَّلاَمَ زَائِلٌ لاَ بُدَّ، وَسَيُقْضَى عَلَى الجَاهِلِيَّةِ وَطَوَاغِيتِهَا وَسَتَتَحَطَّمُ أَصْنَامُهَا، وَسَيُعْبَدُ اللَّهُ لاَ يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ، وَسَيَشْعُرُ النَّاسُ بِقِيمَةِ الحَيَاةِ، وَسَيَحِسُّونَ بِالإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي هُمْ جُزْءٌ مِنْهَا، وَسَيُدْرِكُ هُوَ هَذَا ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَعِيشَ وَيُدْرِكَهَا، فَتَفَتَّحَتْ بَرَاعِمُ الأَمَلِ وَأَشْرَقَ عَلَيْهَا النُّورُ.

وَانْتَشَرَ خَبَرُ إِسْلاَمِ عَامِرٍ وَشَاعَ بَيْنَ الكُفَّارِ، فَأَخَذُوا يَتَفَنَّنُونَ فِي عَذَابِهِ، وَسَيِّدُهُ الطُّفَيْلُ بنُ الحَارِثِ لاَ يُبَالِي بِمَا يَلْحَقُ مَوْلاَهُ مِنَ الأَذَى، وَرُبَّمَا كَانَ فِي طَلِيعَةِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ عَذَابَهُ

لِيَفْتِنُوهُ عَنْ دِينِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُعْطِهِمْ شَيْئاً مِمَّا أَرَادُوا، إِذْ تَحَمَّلَ العَذَابَ بِصَبْرٍ، وَصَبَرَ عَلَى الشِّدَّةِ بِقُوَّةٍ، فَكَانَ يُحِسُّ أَنَّ الأَذَى البَدَنِيَ أَسْهَلَ بِكَثِيرٍ مِنَ العَذَابِ النَّفْسِيِّ الَّذِي كَانَ يُعَانِيهِ مِنْ قَبْلُ، كَمَا كَانَ يَشْعُرُ فِي كُلِّ حِينٍ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ يُثَبِّتُهُ وَيُرْشِدُهُ.

وَشَعَرَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بِمَسْؤُولِيَّتِهِ تِجَاهَ أَخِيهِ فِي الإِسْلَامِ فَاشْتَرَى عَامِراً مِنْ سَيِّدِهِ الطُّفَيْلِ بنِ الحَارِثِ، ثُمَّ أَعْتَقَهُ، وَكَانَ لِهَذَا الفِعْلِ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي نَفْسِ عَامِرٍ حَيْثُ شَعَرَ بِنَسَائِمِ الحُرِّيَّةِ تَدْخُلُ إِلَى بَيْتِهِ الجَدِيدِ إِذْ غَدَا حُرّاً لَا وِصَايَةَ لِسَيِّدٍ عَلَيْهِ، مُسَاوِياً لِبَقِيَّةِ رِجَالَاتِ البَلَدِ الَّذِي يَعِيشُ فِيْهِ وَأَبْنَاءِ المُجْتَمَعِ الَّذِي يُحِيطُ بِهِ، هَذَا مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ شَعَرَ بِصِدْقِ تَعَالِيمِ الإِسْلَامِ، فَقَدِ اشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِمَالِهِ لَا لِيَكُونَ عَبْداً لَهُ وَإِنَّمَا لِيُصْبِحَ أَخاً لَهُ، وَلَمْ يَعُدَّ ذَلِكَ مِنَّةً وَإِنَّمَا وَاجِباً.

وَاسْتَمَرَّ العَذَابُ البَدَنِيُّ رَغْمَ حُرِّيَّةِ عَامِرٍ وَلَكِنَّهُ عَذَابٌ يَهُونُ أَمَامَ العَذَابِ النَّفْسِيِّ الَّذِي كَانَ فِيْهِ، وَهَاجَرَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ إِلَى الحَبَشَةِ هَرَباً بِدِينِهِمْ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ عَادَ بَعْضُهُمْ، وَكَانَتِ الدَّعْوَةُ تَتَقَدَّمُ بِاسْتِمْرَارٍ وَتَدْخُلُهَا عَنَاصِرُ جَدِيدَةٌ فِيْهَا مِنَ القُوَّةِ وَهَذَا مَا جَعَلَ أَمْرَهَا يَشْتَدُّ. ثُمَّ كَانَتْ بَيْعَتَا العَقَبَةِ وَأَخَذَ المُسْلِمُونَ يُهَاجِرُونَ إِلَى المَدِينَةِ فَرْداً إِثْرَ فَرْدٍ وَجَمَاعَةً إِثْرَ جَمَاعَةٍ

حَتَّى لَـمْ يَبْقَ فِي مَكَّـةَ سِـوَى رَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعَلِيٍّ ابنِ أَبِي طَالِبٍ، وَصُهَيْبٍ، وَعَامِرِ بنِ فُهَيْـرَةَ وَقَلِيلٍ مِنَ الـمُسْلِمِينَ وَبَـعْضِ المُسْتَضْعَفِينَ الَّـذِينَ لاَ يَجِدُونَ سَبِيلاً أَوْ مَنْ حَبَسَهُمْ قَوْمُهُمْ.

وَأُذِنَ لِـرَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، بِـالهِجْـرَةِ، فَهَاجَرَ، وَصَحِبَ مَعَهُ أَبَا بَكْرٍ، وَأَعْطَى عَلِيّاً مُهِمَّةَ بَقَائِهِ مَكَانَهُ فِي الفِرَاشِ لِلتَّعْمِيَةِ عَلَى قُرَيْشٍ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ وَلأَدَاءِ الأَمَانَـاتِ بَعْدَهَا، أَمَّا عَامِرٌ فَقَدْ كَانَتْ لَهُ مُهِمَّةٌ خَاصَّةٌ وَيُعِدُّهُ أَبُو بَكْرٍ لَهَا.

لَقَدْ كَانَتْ مُهِمَّـةُ عَامِـرٍ خَطِيـرَةً، إِذَ خَرَجَ الـرَّكْبُ المُهَاجِرُ: رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، وَصَـاحِبُـهُ أَبُـو بَكْـرٍ، وَاسْتَيْقَظَتْ قُرَيْشٌ فَإِذَا بِالمُهَاجِرَيْنِ قَدْ خَرَجَا، وَرِجَـالُهَا وَاقِفِينَ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْتَظِرُونَهُ لِلْفَتْكِ بِهِ، فَأَسْرَعَتْ تَقْتَفِي الأَثَرَ. وَكَانَ المُهَاجِرَيْنِ قَدْ وَصَلاَ إِلَى غَارِ ثَوْرٍ بِأَسْفَلَ مَكَّةَ فَدَخَلاَهُ، وَأَقَامَا فِيْهِ ثَلاَثاً، وَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ مِائَةَ نَاقَةٍ لِمَنْ يَرُدُّ مُحَمَّدَاً إِلَيْهَـا. وَكَانَ عَبْـدُاللَّهِ بنُ أَبِي بَكْرٍ يَقْضِي نَهَارَهُ فِي قُرَيْشٍ يَسْمَعُ أَخْبَارَهَا، وَمَا تَأْتَمِرُ بِهِ وَمَا تَقُولُ فِي حَقِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَاحِبِهِ، ثُمَّ يَـأْتِيهِمَا إِذَا أَمْسَى فَيُخْبِرُهُمَا الخَبَرَ، وَيَبِيتُ مَعَهُمَا فَـإِذَا انْبَلَجَ الفَجْرُ خَـرَجَ

إِلَى مَكَّةَ وَكَأَنَّهُ قَدْ بَاتَ فِيهَا مَعَ أَهْلِهَا، وَأَمَّا عَامِرٌ فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ أَبِي بَكْرٍ مَعَ رُعْيَانِ أَهْلِ مَكَّةَ فَإِذَا أَمْسَى سَارَ بِغَنَمِهِ نَحْو الغَارِ وَيَبِيتُ مَعَهَا هُنَاكَ، يُقَدِّمُ اللَّبَنَ وَاللَّحْمَ لِمَنْ فِيهِ، وَفِي الصَّباحِ يَتْبَعُ بِأَغْنَامِهِ أَثَرَ عَبْدِاللَّهِ بنِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى يُعَفِّيَ عَلَيْهِ، وَبقِيَ عَلَى ذَلِكَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ.

إِنَّهَا مُهِمَّةٌ خَطِرَةٌ حَيْثُ يَتَّصِلُ بِطَرِيدَيْنِ فَارَّيْنِ مِنْ وَجْهِ طَوَاغِيتِ قُرَيْشٍ، يُقَدِّمُ لَهُمَا سُبُلَ الحَيَاةِ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، قُرَيْشٌ تَجْعَلُ مِائَةَ نَاقَةٍ لِمَنْ يُعِيدُ إِلَيْهَا مُحَمَّداً وَعَامِرٌ يَعْرِفُ مَكَانَهُ وَيَتَّصِلُ بِهِ وَيَمُدُّهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ هُوَ وَصَاحِبُهُ وَلاَ يُرْشِدُهَا عَلَيْهِ، إِنَّ هَذِهِ لَجَرِيمَةٌ كُبْرَى فِي نَظَرِ قُرَيْشٍ يُعَاقَبُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا بِأَقْسَى العُقُوبَاتِ غَيْرَ أَنَّ عَامِراً لاَ يُهِمُّهُ مَا تَفْعَلُ قُرَيْشٌ، وَلاَ يُبَالِي بِتَصَرُّفَاتِهَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَمُقِرٌّ لِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالرِّسَالَةِ.

وَبَعْدَ الأَيَّامِ الثَّلاثَةِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الغَارِ، وَكَانَتْ قَدْ جَاءَتْهُمَا الرَّوَاحِلُ مَعَ الدَّلِيلِ عَبْدِاللَّهِ بنِ أُرَيْقِطٍ فَسَارَا مَعَ الدَّلِيلِ، وَسَارَ مَعَهُمْ عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ، وَوَصَلَ الرَّكْبُ إِلَى المَدِينَةِ، وَنَزَلَ عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ عَلَى سَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ. وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ

عَامِرِ بنِ فُهَيْرَةَ وَالحَارِثِ بنِ أَوْسٍ بنِ مُعَاذٍ.

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ اشْتَكَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ، وَعَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ، وَكَانَ عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ إِذَا أَصَابَتْهُ الحُمَّى يَقُولُ:

إِنِّي وَجَدْتُ المَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ
إِنَّ الجَبَانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ
كُلُّ امْرِىءٍ مُجَاهِدٌ بِطَوْقِهِ
كَالثَّوْرِ يَحْمِي جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ

وَشَهِدَ عَامِرُبَنُ فُهَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَدْراً وَأُحُداً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبْلَى فِيهِمَا البَلَاءَ الحَسَنَ.

عَاشَ عَامِرٌ فِي المَدِينَةِ سَعِيدَاً فِي المُجْتَمَعِ الَّذِي كَانَ يَحْلَمْ بِهِ، مُجْتَمَعِ المُسَاوَاةِ، مُجْتَمَعِ الحُرِّيَّةِ، مُجْتَمَعِ الإِخَاءِ، مُجْتَمَعِ العَدَالَةِ. المُجْتَمَعِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مُتَغَطْرِسٌ جَبَّارٌ، وَلَا مُتَسَلِّطٌ كَذَّابٌ، لَيْسَ فِيهِ مَنْ يَتَفَاخَرُ بَعَصَبِيَّتِهِ، وَلَا مَنْ يَتَعَالَى بِمَالِهِ، لَيْسَ فِيهِ رَجُلٌ مُهْمَلٌ، وَلَا فَقِيرٌ مَعْدَمٌ. إِنَّهُ مُجْتَمَعٌ مُتَعَاوِنٌ يُحِبُّ بَعْضُهُ بَعْضَاً كَمَا يُحِبُّ كُلٌّ لِنَفْسِهِ

وَأُسْرَتِهِ، فَهُوَ كِتْلَةٌ مُتَرَاصَّةٌ، يَسُودُ فِيْهِ العَدْلُ وَيَعُمُّ الوِئَامُ.

وَفِي سَاعَاتِ الرُّجُوعِ إِلَى النَّفْسِ يَتَذَكَّرُ الأَيَّامَ الخَوَالِي وَمَا كَـانَ يَعِيشُ فِيْهِ مِنْ بُؤْسٍ، وَضِيقٍ نَفْسِيٍّ، يَـرَى غَطْرَسَـةَ أَبِي جَهْلٍ وَوَقَاحَةَ أُبَيٍّ بنِ خَلَفٍ، وَلُؤْمَ عُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَنَظْرَةَ المُجْتَمَعِ الجَاهِلِيِّ إِلَيْهِ فَتَنْقَبِضُ نَفْسُهُ وَيَشْعُرُ بِمَرَارَةِ المَاضِي، وَيَرْجِعُ فَيَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى مَا هُوَ فِيْهِ مِنْ أَمْنٍ فِي مُجْتَمَعِهِ، وَأُخُوَّةٍ فِي مُحِيطِهِ، وَنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، وَيَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَخَلَّصَهُ مِنْ تِلْكَ البِيئَةِ الفَاسِدَةِ.

وَيَعُودُ إِلَى اللِّقَاءِ بِالإِخْوَةِ فَيَقْطَعُ ذَلِكَ تَفْكِيـرَهُ وَيُنْسِيهِ ذَلِـكَ المَاضِي البَئِيسَ، وَيَشْعُرُ بِـالسَّعَادَةِ وَيَـدْعُو اللَّهَ أَنْ يُـدِيمَ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَأَنْ يُنْهِيَ وَضْـعَ الـظَّالِمِينَ فِي الأَرْضِ، المُشْرِكِينَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى، وَالمُتَأَلِّهِينَ عَلَى النَّاسِ.

وَإِذَا كَانَتْ غَزْوَةٌ أَوْ سَرِيَّةٌ انْضَمَّ إِلَى أَفْرَادِهَا عَسَى أَنْ يَحْصَلَ عَلَى الشَّهَادَةِ، وَيَظْفَرَ بِالجَنَّةِ.

الشَّهَادَةُ

طَمِعَ الأَعْرَابُ فِي الـمُسْلِمِينَ بـعْدَ أَنْ أَصَابَهُمْ مَـا أَصَابَهُمْ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، حَتَّى القَبَائِلِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي لَمْ تَسْتَطِعِ الدِّفَاعَ عَنْ نَفْسِهَا رَغِبَتْ فِي أَخْذِ أَسْرَى مِنَ المُسْلِمِينَ بِالحِيلَةِ

وَالمَكْـرِ، لِتَبِيعَهُمْ إِلَى قُرَيْشٍ فِي مَكَّـة فَتَنَالَ عِنْـدَهَـا الحُـظْوَة وَتَحْصَلَ عَلَى المَالِ مُقَابِلَ بَيْعِ أُولَئِكَ الأَسْرَى، وَاجْتَهَدَ الأَعْرَابُ فِي حِيَلِهِمْ وَمَكْرِهِمْ.

لَقَـدْ غُـدِرَ بِسِتَّـةٍ مِنْ أَصْحَـابِ رَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي يَوْمِ الرَّجِيعِ فِي نِهَايَةِ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ. وَأَعْقَبَتْهُ حَادِثَةُ بِئْرِ مَعُونَةَ فِي شَهْرِ صَفرَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى رَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِـالمَدِينَـةِ أَبُو بَـرَاءٍ عَامِرُ بنُ مَالِكِ بنِ جَعْفَرٍ مُلَاعِبُ الأَسِنَّةِ، فَعَرَضَ رَسُـولُ اللَّهِ، عَلَيْهِ الإِسْلَامَ وَدَعَـاهُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يُسْلِمْ وَلَمْ يَبْعُـدْ مِنَ الإِسْلَامِ، وَقَـالَ: يَا مُحَمَّـدُ، لَوْ بَعَثْتَ رِجَـالاً مِنْ أَصْحَـابِـكَ إِلَى أَهْـلِ نَـجْدٍ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى أَمْرِكَ، رَجَـوْتُ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لَـكَ، فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِمْ أَهْـلَ نَجْدٍ، قَالَ أَبُو بَرَاءٍ: أَنَا لَهُمْ جَارٌ، فَابْعَثْهُمْ فَلْيَدْعُوا النَّاسَ إِلَى أَمْرِكَ.

فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المُنْذِرَ بنَ عَمْرٍو فِي أَرْبَعِينَ رَجُـلاً مِنْ خِيَارِ المُسْلِمِينَ فِيهِمْ عَـامِـرُ بنُ فُهَيْـرَةَ، وَحَرَامُ بـنُ مِـلْحَانَ، فَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ، وَهِـيَ بَيْنَ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ وَحَـرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ، وَهِيَ إِلَى حَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ أَقْرَبُ.

فَلَمَّا نَزَلُوهَا بَعَثُوا حَرَامَ بنَ مِلْحَانَ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ عَامِرِ بنِ الطُّفَيْلِ، فَلَمَّا أَتَاهُ لَمْ يَنْظُرْ فِي كِتَابِهِ حَتَّى عَدَا عَلَى الرَّجُلِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ اسْتَصْرَخَ عَلَيْهِمْ بَنِي عَامِرٍ، فَأَبَوْا أَنْ يُجِيبُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَقَالُوا: لَنْ نُخْفِرَ أَبَا بَرَاء، وَقَدْ عَقَدَ لَهُمْ عَقْداً وَجِوَاراً، فَاسْتَصْرَخَ عَلَيْهِمْ قَبَائِلَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ، فَخَرَجُوا حَتَّى غَشُوا القَوْمَ، فَأَحَاطُوا بِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ أَخَذُوا سُيُوفَهُمْ، ثُمَّ قَاتَلُوهُمْ حَتَّى قُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ، إِلَّا كَعْبَ بنَ زَيْدٍ فَإِنَّهُمْ تَرَكُوهُ وَبِهِ رَمَقٌ فَارْتُثَّ مِنْ بَيْنِ القَتْلَى، فَعَاشَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ يَوْمَ الخَنْدَقِ.

وَكَانَ يَرْعَى لِهَؤُلَاءِ المُسْلِمِينَ عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَالمُنْذِرُ بنُ مُحَمَّدٍ، فَلَمْ يُنْبِئْهُمَا بِمُصَابِ أَصْحَابِهِمَا إِلَّا الطَّيْرُ تَحُومُ عَلَى العَسْكَرِ، فَقَالَا: وَاللَّهِ إِنَّ لِهَذِهِ الطَّيْرِ لَشَأْناً، فَأَقْبَلَا لِيَنْظُرَا، فَإِذَا القَوْمُ فِي دِمَائِهِمْ، وَإِذَا الخَيْلُ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ وَاقِفَةٌ، فَقَالَ المُنْذِرُ لِعَمْرٍو: مَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى أَنْ نَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنُخْبِرَهُ الخَبَرَ، فَقَالَ المُنْذِرُ: لَكِنِّي مَا كُنْتُ لِأَرْغَبَ بِنَفْسِي عَنْ مَوْطِنٍ قُتِلَ فِيهِ المُنْذِرُ بنُ عَمْرٍو، وَمَا كُنْتُ لِتُخْبِرُنِي عَنْهُ الرِّجَالُ، ثُمَّ قَاتَلَ القَوْمَ حَتَّى قُتِلَ، وَأَخَذُوا

عَمْرو بنَ أُمَيَّةَ أَسِيراً، فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مِنْ مُضَرٍ، أَطْلَقَهُ عَامِرُ بنُ الطُّفَيْلِ، وَجَزَّ نَاصِيَتَهُ، وَأَعْتَقَهُ[1].

كَانَ عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ يَقُولُ: إِنَّ عَامِرَ بنَ الطُّفَيْلِ يَقُولُ: مَنْ رَجُلٌ مِنْهُمْ لَمَّا قُتِلَ رَأَيْتُهُ رُفِعَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، حَتَّى رَأَيْتُ السَّمَاءَ مِنْ دُونِهِ؟ قَالُوا: عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ[1].

وَيُرْوَى أَنَّ عَامِرَ بنَ الطُّفَيْلِ قَدِمَ المَدِينَةَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَالَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: مَنْ رَجُلٌ يَا مُحَمَّدُ لَمَّا طَعَنْتُهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ؟ فَقَالَ: هُوَ عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ[2].

وَلَمْ يُوجَدْ جَسَدُ عَامِرِ بنِ فُهَيْرَةَ، وَيَرَوْنَ أَنَّ المَلاَئِكَةَ هِيَ دَفَنَتْهُ[3].

وَيُرْوَى أَنَّ جَبَّارَ بنَ سُلْمَى الكَلْبِيَّ طَعَنَ عَامِرَ بنَ فُهَيْرَةَ يَوْمَئِذٍ فَأَنْفَذَهُ، فَقَالَ عَامِرٌ: فُزْتُ وَاللَّهِ! قَالَ: وَذُهِبَ بِعَامِرٍ عُلُوّاً فِي السَّمَاءِ حَتَّى مَا أَرَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ وَارَتْ جُثَّتَهُ وَأُنْزِلَ عِلِّيِّينَ. وَسَأَلَ جَبَّارُ بنُ سُلْمَى: مَا قَوْلُهُ فُزْتُ وَاللَّهِ، قَالُوا: الجَنَّةَ. قَالَ: فَأَسْلَمَ جَبَّارُ

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) طبقات ابن سعد.

لِمَا رَأَى مِنْ أَمْرِ عَامِرِ بنِ فُهَيْرَةَ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ[١].

وَيُرْوَى أَنَّ جَبَّاراً كَانَ يَقُولُ: إِنَّ مِمَّا دَعَانِي إِلَى الإِسْلاَمِ أَنِّي طَعَنْتُ رَجُلاً مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ بَالرُّمْحِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى سِنَانِ الرُّمْحِ حِينَ خَرَجَ مِنْ صَدْرِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فُزْتُ وَاللَّهِ! فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا فَازَ! أَلَسْتُ قَدْ قَتَلْتُ الرَّجُلَ! حَتَّى سَأَلْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ قَوْلِهِ، فَقَالُوا: لِلشَّهَادَةِ؛ فَقُلْتُ: فَازَ لَعَمْرُ اللَّهِ[٢].

وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ اسْتُشْهِدَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَرْبَعِينَ سَنَةً.

---

(١) طبقات ابن سعد.

(٢) سيرة ابن هشام.

- ٥٦ -

مَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَد

رضيَ اللهُ عنهما

مُقَدِّمَةٌ

لَمْ يُبْرِزِ التَّارِيخُ كُلَّ رِجَالَاتِ الإِسْلَامِ رَغْمَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَانَ أُمَّةً وَحْدَهُ فِي إِيمَانِهِ، فِي رُجُولَتِهِ، فِي صَبْرِهِ، وَلَكِنَّ التَّارِيخَ خَصَّ أَفْرَاداً دُونَ غَيْرِهِمْ نَتِيجَةَ المَرْحَلَةِ الَّتِي عَاشُوا فِيهَا، مَعَ العِلْمِ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ بَيْنَهُمْ مَنْ يُرِيدُ الشُّهْرَةَ أَوْ يَعْمَلُ لَهَا، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً يَعْمَلُونَ لِلَّهِ، وَيَرْجُونَ أَنْ يَكُونَ العَمَلُ خَالِصاً لَهُ.

أَوَّلًا: فِي مَرْحَلَةِ بِدْءِ الدَّعْوَةِ يُبْرِزُ التَّارِيخُ عَادَةً ثَلَاثَةَ عَنَاصِرَ وَهِيَ:

١ - الَّتِي تَقِفُ بِجَانِبِ صَاحِبِ الدَّعْوَةِ بِصَلَابَةٍ لَا تُكْسَرُ وَقَنَاةٍ لَا تَلِينُ، أَمْثَالِ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَالحَمْزَةِ وَأَكْثَرِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَذَاكَ.

٢ - الَّتِي تُنْفِقُ جُلَّ مَالِهَا فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ أَمْثَالِ: أبي بَكْرٍ، وَعُثْمَانَ، وَعَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ.

٣ ـ الَّتِي تَتَحَمَّلُ الأَذَى الشَّدِيدَ، وَتَصْبِرُ، وَتَبْقَى عُنْوَانَ الصَّبْرِ أَمْثَالِ: بِلَالٍ، وَعَمَّارٍ، وَسُمَيَّةَ.

وَقَدْ ظَهَرَتْ هَذِهِ العَنَاصِرُ فِي مَرْحَلَةِ بِدْءِ الدَّعْوَةِ عَلَى غَيْرِهَا وَلَمْ يَبْرُزْ مِنَ الآخَرِينَ إِلَّا مَا كَانَ بِسَبَبِ هِجْرَةٍ كَجَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ، أَوْ سَبْقٍ كَعَلِيٍّ وَزَيْدٍ، أَوْ لِحَادِثَةٍ خَاصَّةٍ كَعُثْمَانَ بنَ مَظْعُونٍ.

ثَانِياً: أَمَّا فِي مَرْحَلَةِ تَأْسِيسِ الدَّوْلَةِ وَالصِّرَاعِ مَعَ الأَعْدَاءِ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلَ اللَّهِ فَتَبْرُزُ أَرْبَعَةُ عَنَاصِرَ، وَهِيَ:

١ ـ الأَشِدَّاءُ الَّذِينَ يَقِفُونَ فِي وَجْهِ العَدُوِّ وَيَصُدُّونَهُ، وَيَكِيلُونَ لَهُ الضَّرَبَاتِ، سَوَاءٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَقِفُونَ بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَالجِبَالِ الرَّوَاسِي يَحْمُونَهُ بِأَنْفُسِهِمْ، وَيَدْفَعُونَ عَنْهُ بِصُدُورِهِمْ، وَيَتَلَقَّوْنَ الضَّرَبَاتِ المُسَدَّدَةَ إِلَيْهِ بِنُحُورِهِمْ أَمْثَالِ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَعَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بنِ مُعَاذٍ، وَأَبِي دُجَانَةَ وَطَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَنُسَيبَةَ بنْتِ كَعْبٍ أَمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَجُولُونَ فِي سَاحَةِ المَعْرَكَةِ يَصْرَعُونَ الأَبْطَالَ، وَيُجَنْدِلُونَ الرِّجَالَ، أَمْثَالِ: الحَمْزَةِ، وَعَلِيٍّ، وَالزُّبَيْرِ، وَسَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَزَيْدِ بنِ حَارِثَةَ، وَمُحَمَّدِ بنِ مَسْلَمَة و. . . .

٢ ـ القَادَةُ الَّذِينَ أُوكِلَتْ إِلَيْهِمْ مُهِمَّةٌ لِلْقِيَامِ بِقِيَادَةِ سَرِيَّةٍ مِنَ السَّرَايَا أَمْثَالِ: سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَالحَمْزَةِ بنِ عَبْدِالمُطَّلِبِ، وَعُبَيْدَة بنِ الحَارِثِ، وَزَيْدِ بنِ حَارِثَةَ، وَبَشِيرِ بنِ سَعْدٍ.

٣ ـ الأَثْرِيَاءُ الَّذِينَ وَهَبُوا الدَّعْوَةَ كُلَّ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ أَمْوَالٍ فَجَعَلُوهَا تَحْتَ تَصَرُّفِ القَائِدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَصَرَّفُ بِهَا كَيْفَ يَشَاءُ لِصَالِحِ الدَّعْوَةِ فِي الجِهَادِ وَالعَمَلِ أَمْثَالِ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، وَعَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بنِ عُبَادَةَ، وَسَعْدِ بنِ مُعَاذٍ وَسَعْدِ بنِ الرَّبِيعِ، وَسَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ و.....

٤ ـ الشُّعَرَاءُ الَّذِينَ يُنَافِحُونَ عَنِ الدَّعْوَةِ وَيَرُدُّونَ عَلَى خُصُومِهَا، وَيَفْخَرُونَ بِإِسْلاَمِهِمْ وَبِمِنْهَجِهِ وَبِرَسُولِهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمْثَالِ: حَسَّانِ بنِ ثَابِتٍ، وَعَبْدِاللَّهِ بنِ رَوَاحَةَ.

ثَالِثاً: أَمَّا مَرْحَلَةُ التَّوَسُّعِ، وَهِيَ المَرْحَلَةُ الَّتِي امْتَدَّتْ مِنْ بَعْدِ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ حَتَّى نِهَايَةِ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتُعَدُّ تَتِمَّةً لِلْمَرْحَلَةِ السَّابِقَةِ، وَلَكِنْ زَادَ عَلَيْهَا ظُهُورُ بَعْضِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ وَتَسَلَّمُوا مُهِمَّاتٍ قِيَادِيَّةٍ لِمَا

لَهُمْ مِنْ خِبْـرَاتٍ عَسْكَرِيَّـةٍ وَمَعْـرِفَـةٍ فِي شُؤُونِ الحَـرْبِ مِثْـلِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، وَعَمْرِو بنِ العَاصِ .

رَابِعَاً: وَفِي مَرْحَلَةِ الفَتْحِ والامْتِدَادِ فِي العَهْدِ الرَّاشِدِيِّ فَقَدْ بَرَزَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَسَلَّمُوا مَناصِبَ سِيَاسِيَّةٍ كَالخُلَفَاءِ وَالَّذِينَ كَانُوا فِي مَوْضِعِ الاسْتِشَارَةِ أَمْثَالِ: أَبِي عُبَيْـدَةَ بنِ الجَرَّاحِ ، وَعَبْـدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، وَالزُّبَيْرِ بنِ العَـوَّامِ ، وَطَلْحَةَ بنِ عُبَيْـدِاللَّهِ، وَسَعْـدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَسَعِيـدِ بنِ زَيْدٍ، وَأُسَيْـدِ بنِ حُضَيْـرٍ، وَزَيْـدِ بنِ ثَابِتٍ، وَمُحَمَّـدِ بنِ مَسْلَمَةَ، وَأُسَـامَةَ بنِ زَيْـدٍ، وَأَبِي مُـوسَى الأَشْعَرِيِّ و. . . . وَكَـذَلِكَ القَـادَةُ الَّذِينَ أُوكِلَتْ إِلَيْهِمْ مُهِمَّةُ قِتَالِ الأَعْدَاءِ مِنْ مُرْتَدِّينَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ وَأَعْدَاءٍ خَارِجَ الجَزِيرَةِ مِثْلِ : عُبَيْدَةَ بنِ الجَرّاحِ ، وَأُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ، وَخَالِدِ بنِ الـوَلِيـدِ، وَعَمْـرِو بنِ العَـاصِ ، وَيَـزِيـدَ بنِ أَبِي سُفْيَـانَ، وَشُـرَحْبِيلَ بنِ حَسَنَـةَ، وَخَالِـدِ بنِ سَعِيدٍ، وَعِيَـاضِ بنِ غَنْمٍ ، وَالنُّعْمَـانِ بـنِ مُقْـرِّنٍ، وَالقَعْقَـاعِ بنِ عَمْـرِو التَّمِيمِيِّ وَأَخِيـهِ عَـاصِمٍ ، وَالمُهَاجِـرِ بنِ أَبِي أُمَيَّةَ، وَعِكْـرِمَـةَ بنِ أَبِي جهـلٍ ، وَهَـاشِمِ بنِ عُتْبَةَ بنِ أَبِي وَقَّـاصٍ و. . . . . وَهَكَذَا انْحَصَـرَتْ شُهْرَةُ الرِّجالِ فِي الإِدَارَةِ وَقِيادَةِ الجُيُوشِ .

خَامِساً: أَمَّا مَرْحَلَةُ الامْتِدَادِ فِي العَهْدِ الأُمَوِيِّ فَإِنَّـهُ قَدْ بَـرَزَ

الـخُـلَفَـاءُ والـقُـوَّادُ أَمْثَـالِ: مُـوسَـى بـنُ نُـصَـيْـرِ، وَمَسْلَمَةُ بنُ عَبْدِالمَلِكِ، وَمُحَمَّدُ بنُ القَاسِمِ الثَّقَفِيُّ، وَقُتَيْبَةُ بنُ مُسْلِمٍ البَاهِلِيُّ، وَحَبِيبُ بنُ مَسْلَمَةَ و. . . . .

وَبَرَزَ الوُلَاةُ وَخاصَّةً وُلَاةَ العِـرَاقَيْنِ لِشِدَّةِ أَهْلِهِمَا وَمِنْ هَؤُلَاءِ الـوُلَاةِ زِيَادُ بنُ أَبِيـهِ، وَعُبَيْـدُاللَّهِ بنُ زِيَـادٍ، وَالمُخْتَـارُ الثَّقَفِيُّ، وَمُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْرِ، وَالحَجَّاجُ بنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ، وَالمُهَلَّبُ بنُ أَبِي صُفْرَةَ، وَابْنُهُ يَزِيدُ، وَخَـالِدُ بنُ عَبْـدِاللَّهِ القَسْرِيُّ، وَأَخُـوهُ أَسَـدٌ، كَمَا عُـرِفَ مِنَ الوُلَاةِ نَصْـرُ بنُ سَيَّـار وَالِي خُـرَاسَـانَ، وَكَذَلِكَ وُلَاةُ إِفْرِيقِيَّةَ وَالأَنْدَلُسَ نَتِيجَةَ الفُتُوحَاتِ أمثال: عُقْبَةَ بنِ نَـافِـعٍ، وَحَسَّـانَ بنِ النُّعْمَـانِ، وَمُـوسَى بنِ نُصَيْـرٍ، وَابْنِـهِ عَبْدِالعَـزِيـزِ بنِ مُـوسَى، والسَّمْـحِ بنِ مَـالِـكٍ الخَـوْلَانيّ، وَعَنْبَسَةَ بنِ سُحَيْمٍ الكَلْبِيِّ، وَعَبْدِالرَّحْمَنِ الغَافِقِيِّ.

كَمَـا ظَهَـرَ العُلَمَـاءُ نَتِيجَـةَ تَـدْوِينِ الحَـدِيثِ، والتَّفْسِيـرِ، والاشْتِغَالِ بِعُلُومِ الفِقْهِ، فَظَهَرَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ، وَالزُّهْـرِيُّ، وَالقَاسِمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ و. . . .

وَظَهَرَ الشُّعَرَاءُ وَبَرَزَ مِنْهُمْ أَصْحَابُ النَقَائِضِ أَمْثَالِ جَـرِيرٍ، وَالفَـرَزْدَقِ وَالأَخْطَلِ، وَأُولَئِـكَ الَّذِينَ اعْتَـادُوا مَدْحَ الخُلَفَـاءِ، وَهِجاءَ خُصُومِهِمْ أَو الوَصْفَ وَالغَزَلَ.

سَادِسَاً: وَلَمَّا تَوَقَّفَتِ الفُتُوحَاتُ فِي عَهْدِ العَبَّاسِيينَ لَمْ يَعُدْ أَثَرٌ لِلوُلَاةِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَوَلَّوْنَ أُمُورَ الفَتْحِ وَالجِهَادِ فِي وِلَايَاتِهِمْ، كَمَا لَمْ يَعُدْ يَسْتَدْعِي الأَمْرُ لِظُهُورِ القَادَةِ، وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ الأَمْرُ عَلَى الخُلَفَاءِ وَبَعْضِ العَسْكَرِيينَ الَّذِينَ يُسَيْطِرُونَ عَلَى مَرْكَزِ الخِلَافَةِ، وَبَعْضِ الوُلَاةِ الَّذِينَ يَسْتقِلّونَ فِي وِلَايَاتِهِمْ وَيُؤَسِّسُونَ دُوَيْلَاتٍ خَاصَّةً بِأُسَرِهِمْ، وَالَّذِينَ وَقَفُوا فِي وَجْهِ الغُزَاةِ الصَّلِيبِيينَ وَالمَغُولَ، أَمْثَالِ: مَحْمُودِ الغَزْنَوِيِّ، وَطَاهِرِ بنِ الحُسَيْنِ، وَمَحْمُودِ نُورِالدِّينِ زِنْكِي، وَوَالِدِهِ عِمَادِ الدِّينِ، وَصَلَاحِ الدِّينِ الأَيُّوبِيِّ، وَسَيْفِ الدِّينِ قُطُزْ، وَالظَّاهِرِ بِيبَرسِ، وَمُحَمَّدِ بنِ قَلَاوُونَ، وَالظَّاهِرِ بَرْقُوقٍ و. . . وَهَذَا مَا عُرِفَ بِالتَّارِيخِ السِّيَاسِيِّ.

أَمَّا العُلَمَاءُ، وَالشُّعَرَاءُ فَقَدْ بَرَزَ أَعْدَادٌ مِنْهُمْ وَدُرِجُوا فِي عَدَادِ مَوْضُوعَاتِ التَّارِيخِ الحَضَارِيِّ. وَمَهْمَا قِيلَ فَإِنَّ دِرَاسَةَ التَّارِيخِ السِّيَاسِيِّ هُوَ الغَالِبُ، وَأَنَّهُ لَا يُعْطِي صُورَةً صَحِيحَةً عَنْ وَاقِعِ المُجْتَمَعِ وَهَذَا مَا يُلحُّ عَلَيْهِ وَيُؤَكِّدُهُ عُلَمَاءُ الاجْتِمَاعِ وَحَتَّى لَوْ أَضَفْنَا إِلَيْهِ التَّارِيخَ الحَضَارِيَّ فَلَنْ تَتَكَامَلَ الصُّورَةُ الصَّحِيحَةُ عَنِ المُجْتَمَعِ، وَهَذَا مَا يَجْعَلُ النَّاسَ يَعُدُّونَ الدِّرَاسَةَ التَّارِيخِيَّةَ بِصُورَتِهَا القَائِمَةِ نَاقِصَةً وَلَا تُحَقِّقُ الغَرَضَ المَطْلُوبَ مِنْهَا بِشَكْلٍ تَامٍّ وَمُفِيدٍ، وَلَنْ تُؤْخَذَ مِنْهَا العِبْرَةُ بِصُورَةٍ دَقِيقَةٍ.

إِنَّهُ لَنْ يَبْرُزَ فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنَ المَرَاحِلِ سِوَى مَا ذَكَرْنَا رَغْمَ أَنَّ بَعْضَ الرِّجَالِ قَدْ يَقُومُونَ بِدَوْرٍ فَعَّالٍ جِداً وَلَكِنْ لَنْ يَظْهَرُوا عَلَى السَّطْحِ وَلاَ يُعْرَفُونَ مِنْ قِبَلِ أَكْثَرِ النَّاسِ ، وَإِنَّمَا تَقْتَصِرُ مَعْرِفَتُهُمْ عَلَى فِئَةٍ مُعَيَّنَةٍ وَهِيَ الَّتِي تُحَاوِلَ التَّعَمُّقَ فِي الدِّرَاسَةِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا. وَمِنْ هَؤُلاَءِ مَرْثَدُ بنُ أَبِي مَرْثَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَقَدْ عَاشَ فِي مَرْحَلَتَيْ بَدْءِ الدَّعْوَةِ وَتَأْسِيسِ الدَّوْلَةِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ العَنَاصِرِ الَّتِي عَدَدْنَاهَا، مَعَ أَنَّهُ قَدْ أَدَّى دَوْراً كَبِيراً وَفَعَّالاً فِي كِلاَ المَرْحَلَتَيْنِ.

إِنَّ صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَعْمَلُوا لِيَظْهَرُوا، بَلْ لاَ يُحِبُّونَ الظُّهُورَ، وَلاَ يُرِيدُونَهُ، وَإِنَّمَا يَعْمَلُونَ لِلَّهِ، وَيَرْغَبُونَ أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا خَالِصَةً لَهُ، وَلَكِنْ كَانَتْ بَعْضُ أَدْوَارِهِم الَّتِي يُؤَدُّونَهَا يَحْفَظُهَا التَّارِيخُ لَهُمْ فَيَبْرُزُونَ وَيُعْرَفُونَ بِهَا، وَلِقِيمَةِ الأَدْوَارِ وَكَثْرَتِهَا يَطْغَى بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، أَوْ يُنْسَى بَعْضُهَا. وَمِنَ الَّذِينَ عَاشُوا بِبُنْيَانِهِم الضَّخْمِ بِجِوَارِ أَبْنِيَةِ إِخْوَانِهِمْ الشَّامِخَةِ مَرْثَدُ بنُ أَبِي مَرْثَد الغَنَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

مَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَدٍ

هُوَ مَرْثَدُ بنُ كَنَّازِ بنِ الحُصَيْنِ بنِ يَرْبُوعٍ مِنْ مُضَرٍ، وَاشْتَهَر كَنَّازٌ بِكِنْيَتِهِ وَعُرِفَ بِهَا، وَقَدْ نَزَلَ مَكَّةَ، وَأَقَامَ فِيْهَا، وَحَالَفَ الحَمْزَةَ بنَ عَبْدِالمُطَّلِبِ الهَاشِمِيَّ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ تِرْبَاً لَهُ. وَكَانَ رَجُلًا طُوَالاً كَثِيرَ شَعْرِ الرَّأْسِ، وَتَزَوَّجَ وَأَنْجَبَ، وَكَانَ مَرْثَدُ أَكْبَرَ أَوْلَادِهِ، وَبِهِ يُكَنَّى، وَاشْتَهَرَ بِذَلِكَ، حَتَّى كَادَ أَنْ يُنْسَى اسْمُهُ.

أَسْلَمَ كَنَّازٌ بَعْدَ إِسْلَامِ الحَمْزَةِ بِقَلِيلٍ، وَلَمْ يَنَلِ الكَثِيرَ مِنَ العَذَابِ لِمَكَانَتِهِ مِنَ الحَمْزَةِ، وَلِمَكَانَةِ الحَمْزَةِ مِنْ قُرَيْشٍ وَقُوَّتِهِ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ.

وَهَاجَرَ كَنَّازٌ إِلَى المَدِينَةِ وَنَزَلَ مَعَ ابْنِهِ مَرْثَدٍ عَلَى كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ، كَمَا يُقَالُ: إِنَّهُمَا نَزَلَا عَلَى سَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ. وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ أَبِي مَرْثَدٍ وَبَيْنَ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ وَشَهِدَ بَدْرَاً وَأُحُدَاً وَالخَنْدَقَ وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ مِنَ الغَزَوَاتِ، وَإِنَّمَا كَانَ مِن أَوَائِلِ الَّذِينَ يَنْطَلِقُون مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلْجِهَادِ، وَتُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

وَمَاتَ كَنَّازٌ بِالمَدِينَةِ فِي خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابنُ سِتٍّ وَسِتِّينَ سَنَةً.

وُلِدَ مَرْثَدُ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ وَالعِشْرِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَأَسْلَمَ مَعَ أَبِيهِ فِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ لِلْبِعْثَةِ، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَذَاكَ ما يَقْرُبُ مِنَ العِشْرِينَ سَنَةً. وَكَانَ حَلِيفَ الحَمْزَةِ كَأَبِيهِ.

هَاجَرَ مَرْثَدُ مَعَ أَبِيهِ وَنَزَلَا عَلَى كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ، وَقِيلَ بَلْ عَلَى سَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ. وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْسِ بنِ الصَّامِتِ أَخِي عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ.

وَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ خَرَجَ فِيهَا، وَكَانَ ثَانِي فَارِسَيْنِ مَعَ المُسْلِمِينَ إِذْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ سِوَاهُمَا هُوَ وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ. وَكَانَتْ فَرَسُهُ الَّتِي مَعَهُ يَوْمَذَاكَ تُدْعَى السَّبَلَ.

وَشَهِدَ أُحُداً وَكَانَ مِنْ رِجَالَاتِهَا.

الشَّهَادَةُ

طَمِعَتِ الأَعْرَابُ فِي المُسْلِمِينَ بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ، فَقَدِمَ رَهْطٌ مِنْ عَضَلٍ وَالقَارَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالمَدِينَةِ، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فِينَا إِسْلَاماً فَابْعَثْ مَعَنَا نَفَراً

مِنْ أَصْحَابِكَ يُفَقِّهُونَنَا فِي الدِّينِ، وَيُقْرِئُونَنَا القُرْآنَ، وَيُعَلِّمُونَنَا شَرَائِعَ الإِسْلَامِ. وَفِي الوَاقِعِ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الغَدْرَ وَلَا يَرْغَبُونَ فِي الإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُمْ لَجَؤُوا إِلَى الحِيلَةِ وَالخِدَاعِ نَتِيجَةَ جُبْنِهِمْ.

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَفَراً مِنْ أَصْحَابِهِ(١)، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ مَرْثَدَ بنَ أَبِي مَرْثَدٍ، وَقِيلَ: بَلْ عَاصِمَ بنَ ثَابِتٍ كَانَ أَمِيرَ القَوْمِ. وَخَرَجَ الصَّحَابَةُ مِنَ المَدِينَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا عَلَى الرَّجِيعِ، مَاءٍ لِهُذَيْلٍ بِنَاحِيَةِ الحِجَازِ، عَلَى صُدُورِ الهَدْأَةِ غَدَرُوا بِهِمْ، وَاسْتَصْرَخُوا عَلَيْهِمْ هُذَيْلاً، وَبَيْنَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ فِي رِحَالِهِمْ آمِنِينَ، إِذْ بِالأَعْدَاءِ يُحِيطُونَ بِهِمْ وَبِأَيْدِيهِمُ السُّيُوفَ، فَامْتَشَقَ الصَّحَابَةُ سُيُوفَهُمْ لِيُقَاتِلُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّا وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ قَتْلَكُمْ، وَلَكِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُصِيبَ شَيْئاً مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَلَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ لَا نَقْتُلَكُمْ. وَوَجَدَ الصَّحَابَةُ أَنْفُسَهُمْ قِلَّةً قَلِيلَةً أَمَامَ كَثْرَةٍ كَثِيرَةٍ، فَمَالَتْ نُفُوسُ بَعْضِهِمْ إِلَى الحَيَاةِ.

أَمَّا مَرْثَدُ بنُ أَبِي مَرْثَدٍ، وَعَاصِمُ بنُ ثَابِتٍ، وَخَالِدُ بنُ البُكَيْرِ

---

(١) قيل ستة نفر، وقيل عشرة.

فَقَـالُوا: وَاللَّهِ لاَ نَقْبَـلُ مِـنْ مُشْرِكٍ عَهْـدَاً وَلاَ عَقْـدَاً، فَحَمَلُوا بِسُيُوفِهِمْ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَقَاتَلُوا حَتَّى قُتِلُوا.

وَأَمَّا زَيْدُ بنُ الدَّثِنَةِ، وَخُـبَيْبُ بنُ عَدِيٍّ، وَعَبْدُاللَّهِ بنُ طَارِقٍ فَلاَنُوا وَرَقُّوا وَرَغِبُوا فِي الحَيَاةِ، فَأَعْطَـوْا بِأَيْدِيهِمْ، فَأَسَرُوهُمْ، وَخَرَجُوا بِهِمْ لِيَبِيعُوهُمْ فِي مَكَّةَ، وَفِي الظَّهْرَانِ أُفْلِتَ عَبْدَاللَّهِ بنُ طَارِقٍ مِنْ قَيْـدِهِ، وَأَخَذَ سَيْفَـهُ وَابْتَعَـدَ عَـنِ القَـوْمِ فَـرَمَوْهُ بِـالحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ، وَبِيـعَ خُبَيْبُ وَزَيْدُ بِـأَسِيرَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ كَانَا بِمَكَّةَ، وَقُتِلاَ بَحَادِثَتَيْنِ مُرَوِّعَتَيْنِ.

اسْتُشْهِـدَ مَرْثَـدُ بـنُ أَبِي مَـرْثَـدٍ فِي أَوَاخِـرِ السَّنَـةِ الثَّـالِثَـةِ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَذَاكَ إِحْدَى وَثَلاَثِينَ سَنَةً. وَعَـاشَ أَبُوهُ بَعْدَهُ تِسْعَ سَنَوَاتٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سَلمانُ الفارِسيُّ

رضي الله عنه

نَشْأَةُ سَلْمَانَ(١)

لَعَلَّ أَفْضَلَ مَا نَتَحَدَّثُ فِيهِ عَنْ نَشْأَةِ سَلْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هُوَ مَا رَوَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ: كُنْتُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا (جَيٌّ)، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ أَرْضِهِ، وَكُنْتُ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ، فَمَا زَالَ فِي حُبِّهِ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي البَيْتِ كَمَا تُحْبَسُ الجَارِيَةُ، قَالَ: فَاجْتَهَدْتُ فِي المَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَاطِنَ النَّارِ الَّتِي نُوقِدُهَا لاَ نَتْرُكُهَا تَخْبُو. وَكَانَتْ لأَبِي ضَيْعَةٌ فِي بَعْضِ عَمَلِهِ، وَكَانَ يُعَالِجُ بُنْيَاناً لَهُ فِي دَارِهِ فَدَعَانِي فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ إِنَّهُ قَدْ شَغَلَنِي بُنْيَانِي، كَمَا تَرَى، فَانْطَلِقْ إِلَى ضَيْعَتِي فَلاَ تَحْتَبِسْ عَلَيَّ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ شَغَلْتَنِي عَنْ كُلِّ ضَيْعَةٍ، وَكُنْتَ أَهَمَّ عِنْدِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، فَخَرَجْتُ فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ لِلنَّصَارَى فَسَمِعْتُ صَلاَتَهُمْ فِيهَا، فَدَخَلْتُ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ فَلَمْ أَزَلْ

---

(١) قيل إن اسم سلمان: (ماهويه) وقيل: (مايه)، وقِيلَ: بُهبود بن بذخشان من ولد الملك (منوجهر). وقيل من ولد الملك (آب).

عِنْـدَهُمْ، وَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ صَـلاَتِهِمْ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا الَّذِيْ نَحْنُ عَلَيْـهِ، فَمَا بَـرِحْتُهُمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، وَمَا ذَهَبْتُ إِلَى ضَيْعَةِ أَبِي وَلاَ رَجَعْتُ إِلَيْهِ حَتَّى بَعَثَ الطَّلَبَ فِي أَثَرِي، وَقَدْ قُلْتُ لِلنَّصَارَى حِيْنَ أَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَصَلاَتِهِمْ، أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الـدِّينِ؟ قَالُوا: بِالشَّـامِ.

قَالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ أَيْنَ كُنْتَ؟ قَدْ كُنْتُ عَهِدْتُ إِلَيْكَ وَتَقَدَّمْتُ أَلاَّ تَحْتَبِسْ، قَـالَ: قُلْتُ: إِنِّي مَرَرْتُ عَلَى نَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَصَلاَتِهِمْ وَرَأَيْتُ أَنَّ دِينَهُمْ خَيْـرٌ مِنْ دِينِنَا. قَـالَ: فَقَالَ لِي: أَيْ بُنَيَّ، دِينُكَ وَدِينُ آبائِكَ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِمْ. قَالَ: قُلْتُ: كَلاَّ وَاللَّهِ. قَالَ: فَخَـافَنِي فَجَعَلَ فِي رِجْلِي حَـدِيدَاً وَحَبَسَنِي، وَأَرْسَلْتُ إِلَى النَّصَارَى أُخْبِرُهُمْ أَنِّي قَـدْ رَضِيتُ أَمْرَهُمْ، وَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ فَـآذِنُونِي. فَقَـدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ التُّجَّـارِ فَـأَرْسَلُوا إِلَيَّ، فَـأَرْسَلْتُ إِلَيْهِمْ: إِنْ أَرَادُوا الـرُّجُوعَ فَآذِنُونِي، فَلَمَّـا أَرَادُوا الرُّجُـوعَ أَرْسَلُوا إِلَيَّ، فَـرَمَيْتُ الحَدِيدَ مِنْ رِجْلِي، ثُمَّ خَـرَجْتُ فَانْـطَلَقْتُ مَعَهُمْ إِلَى الشَّامِ.

فَلَمَّا قَدِمْتُ سَأَلْتُ عَنْ عَالِمِهِمْ، فَقِيـلَ لِي: صَاحِبُ الكَنِيسَـةِ أُسْقُفُهُمْ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَـرْتُهُ خَبَـرِي، وَقُلْتُ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَكُـونَ مَعَكَ أَخْـدِمُكَ وَأُصَلِّي مَعَـكَ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ، فَـإِنِّي قَدْ

رَغِبْتُ فِي دِينِكَ، قَالَ: أَقِمْ. فَكُنْتُ مَعَهُ، وَكَانَ رَجُلَ سُوءٍ فِي دِينِهِ، وَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيْهَا فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ الأَمْوَالَ اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ دَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ، ثُمَّ مَاتَ فَاجْتَمَعُوا لِيَدْفِنُوهُ، قَالَ: قُلْتُ: تَعْلَمُونَ أَنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا كَانَ رَجُلَ سُوءٍ، فَأَخْبَرْتُهُمْ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِي صَدَقَتِهِمْ، قَالَ: قَالُوا: مَا عَلَامَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى ذَلِكَ. فَأَخْرَجْتُهُ، فَإِذَا هِيَ سَبْعُ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَباً وَوَرِقاً، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللَّهِ لَا نُغَيِّبُهُ أَبَداً. ثُمَّ صَلَبُوهُ عَلَى خَشَبَةٍ، وَرَجَمُوهُ بِالحِجَارَةِ، وَجَاءُوا بِآخَرَ فَجَعَلُوهُ مَكَانَهُ. قَالَ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الخَمْسَ كَانَ خَيْراً مِنْهُ وَأَعْظَمَ رَغْبَةً فِي الآخِرَةِ، وَلَا أَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَدْأَبَ لَيْلًا وَلَا نَهَاراً مِنْهُ، وَأَحْبَبْتُهُ حُبّاً مَا عَلِمْتُ أَنِّي أَحْبَبْتُ شَيْئاً كَانَ قَبْلَهُ، فَلَمَّا حَضَرَهُ قَدَرُهُ قُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ حَضَرَكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا تَرَى، فَمَاذَا تَأْمُرُنِي، وَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، مَا أَرَى أَحَداً مِنَ النَّاسِ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِالمُوصِلِ، فَأَمَّا النَّاسَ فَقَدْ بَدَّلُوا وَهَلَكُوا. فَلَمَّا تُوفِّيَ أَتَيْتُ صَاحِبَ المُوصِلِ فَأَخْبَرْتُهُ بِعَهْدِهِ إِلَى أَنْ أَلْحَقَ بِهِ وَأَكُونَ مَعَهُ، قَالَ: أَقِمْ. فَأَقَمْتُ مَعَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أُقِيمَ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ قَدْ حَضَرَكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا تَرَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ قَالَ: أَيْ

بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَـمُ أَحَداً عَلَى أَمْرِنَا إِلَّا رَجُلاً بِـ (نَصِيبِينَ)[1]، وَهُوَ فُلَانٌ فَالْـحَقْ بِـهِ. قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلَى رَجُلٍ عَلَى مِثْـلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ صَاحِبَاهُ، فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَأَقَمْتُ مَعَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أُقِيمَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قُـلْتُ لَـهُ: إِنَّ فُلَاناً كَانَ قَدْ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، وَفُلَانٌ إِلَى فُـلَانٍ، وَفُلَانٌ إِلَيْـكَ، فَإِلَى مَنْ تُـوصِي بِي؟ قَـالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَـداً مِنَ النَّاسِ عَلَى مَـا نَحْنُ عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلاً بِعَمُّورِيَّةَ[2] مِنْ أَرْضِ الرُّومِ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ فَالْحَقْ، فَلَمَّا تُوفِّيَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَـرِي وَخَبَـرَ مَنْ أَوْصَى بِي حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَيْــهِ فَقَـالَ: أَقِمْ. فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُـهُ، فَمَكَثْتُ عِنْـدَهُ مَـا شَـاءَ اللَّهُ أَنْ أَمْكُثَ، وَكَـانَ لِي شَيْءٌ حَتَّى اتَّخَـذْتُ بَقَرَاتٍ وَغُنَيْمَةً، ثُمَّ حَضَـرَتْهُ الـوَفَاةُ فَقُلْتُ لَـهُ: إِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّهُ أَصْبَحَ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ[3]، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانٌ

---

(١) نصيبين: مدينة في الجزيرة الفراتية بين ديار ربيعة وديار بكر، وهي اليوم في تركيا على حدودها مع سوريا.

(٢) عمورية: مدينة قديمة، اندثرت الان، تقع جنوب غربي انقرة وعلى مقربةٍ منها.

(٣) يبدو أنه لم يبق على النصرانية الحقيقية إلا هؤلاء الرجال الذين ذكرهم سلمان، رضي الله عنه وقد انتهوا، وعمّ تحريف الإنجيل وتبديله، والعمل =

نَبِيٌّ يُبْعَثُ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ الحَنِيفِيَّةِ، يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ مُهَاجِرِهِ، وَقَرَارُهُ ذَاتُ نَخْلٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَخْلُصَ إِلَيْهِ فَاخْلُصْ. وَإِنَّ بِهِ آيَاتٍ لَا تَخْفَى، إِنَّهُ لَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَإِنَّ بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتَهُ. قَالَ: وَمَاتَ.

وَمَرَّ بِي رَكْبٌ مِنْ (كَلْب)، فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ، فَأَخْبَرُونِي عَنْهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغَنَمِي عَلَى أَنْ تَحْمِلُونِي حَتَّى تَقْدُمُوا بِي أَرْضَكُمْ، قَالُوا: نَعَمْ، فَاحْتَمَلُونِي حَتَّى قَدِمُوا بِي وَادِي القُرَى، فَظَلَمُونِي فَبَاعُونِي عَبْداً مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودٍ، فَرَأَيْتُ بِهَا النَّخْلَ وَطَمِعْتُ أَنْ تَكُونَ البَلْدَةَ الَّتِي وُصِفَتْ لِيَ، وَمَا حَقَّتْ لِيَ، وَلَكِنِّي قَدْ طَمِعْتُ حِينَ رَأَيْتُ النَّخْلَ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ حَتَّى قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَابْتَاعَنِي مِنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ بِي حَتَّى قَدِمْتُ المَدِينَةَ. فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، وَأَيْقَنْتُ أَنَّهَا البَلْدَةُ الَّتِي وُصِفَتْ لِي. فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ أَعْمَلُ فِي نَخْلِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَفِيَ عَلَيَّ أَمْرُهُ حَتَّى قَدِمَ المَدِينَةَ وَنَزَلَ بِقِبَاءَ فِي بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ نَخْلَةٍ وَصَاحِبِي جَالِسٌ تَحْتِي إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ

= بهوى النفس، ومُهّد السبيل لظهور رسول الله، محمد، صلى الله عليه وسلم، لإنقاذ البشرية مما حلّ بها، بعد البعد عن منهج أنبياء الله.

يَهُودٍ مِنْ بَنِي عَمِّهِ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: أَيْ فُلَانُ، قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَيْلَةَ إِنَّهُمْ لَيَتَقَاصَفُونَ عَلَى رَجُلٍ بِقِبَاءَ قَدِمَ مِنْ مَكَّةَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ. قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنْ هُوَ إِلَّا أَنْ قَالَهَا فَأَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ فَرَجَفَتِ النَّخْلَةُ حَتَّى ظَنَنْتُ لَأَسْقُطَنَّ عَلَى صَاحِبِي، ثُمَّ نَزَلْتُ سَرِيعاً أَقُولُ: مَاذَا تَقُولُ، مَا هَذَا الْخَبَرُ؟ قَالَ: فَرَفَعَ سَيِّدِي يَدَهُ فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا؟ أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ. قُلْتَ: لَا شَيْءَ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَهُ هَذَا الْخَبَرَ الَّذِي سَمِعْتُهُ يُذْكَرُ. قَالَ: أَقْبِلْ عَلَى شَأْنِكَ. قَالَ: فَأَقْبَلْتُ عَلَى عَمَلِي وَلَهِيتُ مِنْهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ جَمَعْتُ مَا كَانَ عِنْدِي، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ بِقِبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقُلْتُ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ لَيْسَ بِيَدِكَ شَيْءٌ وَأَنَّ مَعَكَ أَصْحَاباً لَكَ، وَأَنَّكُمْ أَهْلُ حَاجَةٍ وَغُرْبَةٍ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ وَضَعْتُهُ لِلصَّدَقَةِ، فَلَمَّا ذُكِرَ لِي مَكَانُكُمْ رَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ النَّاسِ بِهِ فَجِئْتُكُمْ بِهِ، ثُمَّ وَضَعْتُهُ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُوا وَأَمْسَكَ هُوَ. قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاللَّهِ وَاحِدَةٌ. ثُمَّ رَجَعْتُ وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الْمَدِينَةِ، وَجَمَعْتُ شَيْئاً، ثُمَّ جِئْتُهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ

أُحِبُّ أَنْ أُكْرِمُكَ بِهِ مِنْ هَدِيَّةٍ أَهَدَيْتُهَا كَرَامَةً لَكَ لَيْسَتْ بِصَدَقَةٍ. فَأَكَلَ وَأَكَلَ أَصْحَابُهُ. قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ أُخْرَى. قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ فَمَكَثْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ قَدْ تَبعَ جِنَازَةً وَحَوْلَهُ أَصْحَابُهُ، وَعَلَيْهِ شَمْلَتَانِ مُؤْتَزِراً بِوَاحِدَةٍ مُرْتَدِياً بِالأُخْرَى. قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ عَدَلْتُ لِأَنْظُرَ فِي ظَهْرِهِ، فَعَرَفَ أَنِّي أُرِيدُ ذَلِكَ وَأَسْتَثْبِتُهُ قَالَ: فَقَالَ[1] بِرِدَائِهِ فَأَلْقَاهُ عَنْ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ كَمَا وَصَفَ لِي صَاحِبِي. قَالَ: فَأَكْبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُ الخَاتَمَ مِنْ ظَهْرِهِ وَأَبْكِي. قَالَ: فَقَالَ: تَحَوَّلْ عَنْكَ، فَتَحَوَّلْتُ فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَحَدَّثْتُهُ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، فَأَحَبَّ أَنْ يَسْمَعَهُ أَصْحَابُهُ. ثُمَّ أَسْلَمْتُ وَشَغَلَنِي الرِّقُّ وَمَا كُنْتُ فِيهِ حَتَّى فَاتَنِي بَدْرٌ وَأُحُدٌ، ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَاتِبْ. فَسَأَلْتُ صَاحِبِي ذَلِكَ، فَلَمْ أَزَلْ حَتَّى كَاتَبَنِي عَلَى أَنْ أُحْيِيَ لَهُ بِثَلَاثِمِائَةِ نَخْلَةٍ، وَأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً مِن وَرِقٍ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعِينُوا أَخَاكُمْ بِالنَّخْلِ، فَأَعَانَنِي كُلُّ رَجُلٍ بِقَدْرِهِ، بِالثَّلَاثِينَ، وَالعِشْرِينَ، وَالخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالعَشْرِ، ثُمَّ قَالَ: يَا سَلْمَانُ اذْهَبْ فَفَقِّرْ[2] لَهَا، فَإِذَا

(١) قال: يقيل: اضطجع.

(٢) فقر: احفر.

أَنْتَ أَرَدْتَ أَنْ تَضَعَهَا فَلَا تَضَعْهَا حَتَّى تَأْتِيَنِي فَتُؤْذِنَنِي فَأَكُونَ أَنَا الَّذِي أَضَعُهَا بِيَدِيْ. فَقُمْتُ فِي تَفْقِيرِي فَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى فَقَّرْنَا شَرَباً ثَلَاثَمِائَةِ شَرَبَةٍ، وَجَاءَ كُلُّ رَجُلٍ بِمَا أَعَانَنِي بِهِ مِن النَّخْلِ. ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ يَضَعُهَا بِيَدِهِ، وَجَعَلَ يُسَوِّي عَلَيْهَا شِرْبَهَا وَيُبَرِّكُ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَمِيعاً، فَلَا وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهُ وَدِيَّةٌ(١)، وَبَقِيَتِ الدَّرَاهِمُ. فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ يَوْمٍ فِي أَصْحَابِهِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِمِثْلِ الْبَيْضَةِ مِنْ ذَهَبٍ أَصَابَهَا مِنْ بَعْضِ الْمَعَادِنِ فَتَصَدَّقَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمِسْكِينُ الْمُكَاتِبُ؟ ادْعُوهُ لِي. فَدُعِيتُ لَهُ فَجِئْتُ، فَقَالَ: اذْهَبْ بِهَذِهِ فَأَدِّهَا عَنْكَ مِمَّا عَلَيْكَ مِنَ الْمَالِ. قَالَ: وَقُلْتُ: وَأَيْنَ يَقَعُ هَذَا مِمَّا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي عَنْكَ، قَالَ سَلْمَانُ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَزَنْتُ لَهُ مِنْهَا أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً حَتَّى وَفَّيْتُهُ الَّذِيْ لَهُ. وَأُعْتِقَ سَلْمَانُ وَشَهِدَ الْخَنْدَقَ وَبَقِيَّةَ مَشَاهِدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حُرّاً مُسْلِماً حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ.

---

(١) وديَّة: غرسة، فسيلة.

سَلْمَانُ العَـالِـمُ

بَعْـدَ أَنْ أُعْتِقَ سَلْمَـانُ وَتَـرَكَ دَارَ سَيِّـدِهِ انْتَقَـلَ إِلَى دَارِ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَنَزَلَ فِيْهَا حَيْثَ آخى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُمَا، وَفِي رِوَايَـةٍ أَنَّ المُؤَاخَاةَ كَانَتْ بَيْنَ سَلْمَانَ وَحُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ، وَالأُولَى أَصَحُّ. وَإِذَا كَانَ بَعْضُهُمْ يُنْكِرُ كُلَّ مُؤَاخَاةٍ بَعْدَ بَدْرٍ، وَيَقُولُونَ: قَطَعَتْ بَدْرٌ المَوَارِيثَ، وَيَوْمَئِذٍ كَانَ سَلْمَانُ فِي الرِّقِّ، وَقَدْ أُعْتِقَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَأَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَإِنَّمَا كَانَتْ غَزْوَةُ الخَنْـدَقِ، وَهَـذِهِ النَّـظْرَةُ غَيْـرُ صَحِيحَـةٍ، فَـالمُؤَاخَـاةُ لَمْ تَكُنْ لِلْمَوَارِيثِ فَقَطُ وَهُوَ مَا أُلْغِيَ بَعْدَ بَدْرٍ وَإِنَّمَا كَانَتِ المُؤَاخَاةُ أَبْعَدَ مِنَ المَوَارِيثِ وَمِنَ النَّظْرَةِ المَادِيَّةِ كُلِّهَا، فَهِيَ لِجَعْلِ المُسْلِمِينَ جَمِيعَـاً كُتْلَةً وَاحِـدَةً مُتَـرَاصَّـةً لاَ يُمْكِنُ اخْتِـرَاقُـهَا فَـالمُجْتَمَـعُ الإِسْلاَمِيُّ لِذَلِكَ كَانَ مُتَمَاسِكَاً بَعْضُهُ مَعَ بَعْضٍ.

نَزَلَ سَلْمَانُ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ مَنَعَهُ سَلْمَانُ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَصُومَ مَنَعَهُ فَقَالَ: أَتَمْنَعُنِي أَنْ أَصُومَ لِرَبِّي، وَأُصَلِّيَ لِرَبِّي؟ فَقَالَ: إِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقَّـاً، وَإِنَّ لأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقَّاً، فَصُـمْ وَأَفْـطِرْ وَصَـلِّ وَنَمْ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَـالَ: لَقَدْ أُشْبِـعَ سَلْمَانُ عِلْمَاً.

دَخَلَ سَلْمَانُ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ فَقِيلَ لَهُ: هُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ: مَا لَهُ؟ قَالُوا: إِنَّهُ إِذَا كَانَ لَيْلَةَ الجُمُعَة أَحْيَاهَا، وَيَصُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَأَمَرَهُمْ سَلْمَانُ، فَصَنَعُوا طَعَاماً فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ، ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: إِنِّي صَائِمٌ. فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَكَلَ، ثُمَّ أَتَيَا النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَا لَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عُوَيْمِرُ سَلْمَانُ أَعْلَمُ مِنْكَ، وَهُوَ يَضْرِبُ عَلَى فَخِذِ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عُوَيْمِرُ سَلْمَانُ أَعْلَمُ مِنْكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَا تَخُصَّ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ بِقِيَامٍ بَيْنَ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ بِصِيَامٍ بَيْنَ الأَيَّامِ .

وَأَتَى سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَشَكَتْ إِلَيْهِ أُمُّ الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ النَّهَارَ، فَبَاتَ عِنْدَهُ فَلَمَّا أَرَادَ القِيَامَ حَبَسَهُ حَتَّى نَامَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ صَنَعَ لَهُ طَعَاماً فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَفْطَرَ، فَأَتَى أَبُو الدَّرْدَاءِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ: عُوَيْمِرُ سَلْمَانُ أَعْلَمُ مِنْكَ، لَا تُحَقِّقْ فَتُقْطَعَ وَلَا تَحْبِسْ فَتُسْبَقَ، اقْصِدْ تُبْلِغْ سَيْرَ الرُّكَابَاتِ تَطَأُ فِيهَا البَرْدَيْنِ وَالخَفْقَتَيْنِ مِنَ اللَّيْلِ .

سَلْمَانُ فِي غَزْوَةِ الخَنْدَقِ

لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَيْرُ الأَحْزَابِ إِلَى المَدِينَةِ اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ، فَأَشَارَ سَلْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

بِحَفْرِ الخَنْدَقِ مِنَ الجِهَةِ الشَّمَالِيَّـةِ، حَيْثُ المَدِينَـةُ مَحْمِيَّةٌ مِنَ الجِهَـاتِ الأُخْرَى بِالحَرَّاتِ البُرْكَانِيَّةِ الَّتِي يَصْعُبُ القِتَـالُ فِيْهَا لِكَثْرَةِ الأَحْجَارِ فِيْهَا أَوْ بِالأَصَحِّ تَصْعُبُ مُهَاجَمَةُ المَدِينَـةِ مِنْهَا، وَقَدْ أَعْجَبَتِ الخِطَّةُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَـدَأَ بِتَنْفِيذِهَا.

خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الخَنْدَقَ مِنْ أُجُمِ الشَّيْخَيْنِ طَرَفِ بَنِي حَارِثَةَ إِلَى شَمَالِ جَبَلِ سَلْعٍ، وَقَطَعَ لِكُلِّ عَشَرَةٍ أَرْبَعِينَ ذِرَاعاً، فَاحْتَجَّ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ فِي سَلْمَانَ، وَكَـانَ رَجُلاً قَـوِيّاً، فَقَـالَ المُهَاجِـرُونَ: سَلْمَـانُ مِنَّـا، وَقَـالَتِ الأَنْصَارُ: لَا بَلْ مِنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَلْمَانُ مِنَّا آلَ البَيْتِ.

وَبَـدَأَ الحَـفْرُ، وَكَـانَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعْمَـلُ بِنَفْسِهِ مَـعَ الصَّحَابَـةِ الكِرَامِ. قَـالَ عَمْـرُو بنُ عَـوْفٍ: فَدَخَلْتُ أَنَا، وَسَلْمَانُ، وَحُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ، وَالنُّعْمَانُ بنُ مُقْرِنٍ المُزَنِيُّ وَسِتَّةٌ مِنَ الأَنْصَـارِ تَحْتَ أَصْلِ ذُبَـابٍ، فَضَرَبْنَـا حَتَّى بَلَغْنَا النَدَى، فَأَخْرَجَ اللَّهُ صَخْرَةً بَيْضَاءَ مَرْوَةً مِنْ بَطْنِ الخَنْدَقِ، فَكَسَرَتْ حَدِيدَنَا وَشَقَّتْ عَلَيْنَا، فَقُلْتُ لِسَلْمَانَ: ارْقَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ ضَارِبٌ عَلَيْهِ قُبَّةً تُرْكِيَّةً، فَرَقَى

إِلَيْهِ سَلْمَانُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَخْرَةٌ بَيْضَاءُ خَرَجَتْ مِنْ بَطْنِ الخَنْدَقِ فَكَسَرَتْ حَدِيدَنَا وَشَقَّتْ عَلَيْنَا، فَـإِمَّا أَنْ نَعْـدِلَ عَنْهَا، وَالمَعْدِلُ قَرِيبٌ، أَوْ تَأْمُرَنَا فِيْهَا بِـأَمْرِكَ فَـإِنَّا لاَ نُحِبُّ أَنْ نُجَـاوِزَ خَطَّكَ، فَقَالَ: أَرِنِي مِعْولَكَ يَا سَلْمَانُ. فَقَبَضَ مِعْوَلَهُ ثُمَّ هَبَطَ عَلَيْنَا، فَكُنَّا عَلَى شِقَّةِ الخَنْدَقِ، فَنَـزَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتْحاً فَضَرَبَ ضَرْبَةً صَدَعَهَا وَبَرَقَ مِنْهَا بَرْقَةٌ أَضَاءَ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، تَكْبِيرَ فَتْحٍ ، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَبَـرَقَ مِنْهَا بَـرْقَةٌ أَضَـاءَ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا حَتَّى كَأَنَّ مِصْبَاحاً فِي جَوْفِ بَيْتٍ مُظْلِمٍ ، فَكَبَّـرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَكْبِـيرَ فَتْحٍ ، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ فَكَسَّرَهَا وَبَـرَقَ مِنْهَا بَـرْقَةٌ أَضَـاءَ مَـا بِيْنَ لاَبَتَيْهَـا، فَكَبَّرَ تَكْبِيرَ فَتْحٍ فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ رَقَى حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مَقْعَدِ سَلْمَانَ. قَالَ سَلْمَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ شَيْئاً مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، فَالْتَفَتَ إِلَى القَوْمِ فَقَالَ: هَـلْ رَأَيْتُمْ؟ قَالُـوا: نَعَمْ بِأَبِينَـا وَأُمِّنَا أَنْتَ يَـا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَضْرِبُ فَخَرَجَ بَرْقٌ كَالمَوْجِ فَتُكَبِّرُ فَنُكَبِّرُ لاَ نَرَى ضِيَاءً غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ: صَدَقْتُمْ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الأُولَى فَبَرَقَ الَّذِيْ رَأَيْتُمْ فَأَضَاءَ لِي قُصُورَ الحِيرَةِ ومَدَائِنَ كِسْرَى كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الكِلاَبِ، وَأَخْبَرَنِي جِبْرَائِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الثَّانِيَةَ فَبَرَقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ أَضَاءَ لِي مَعَهَا قُصُورَ الحُمْرِ مِنْ

أَرْضِ الرُّومِ كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الكِلَابِ، وَأَخْبَرَنِي جِبْرَائِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، ثُمَّ ضَرَبْتُ الثَّالِثَةَ فَبَرَقَ الَّذِيْ رَأَيْتُمْ أَضَاءَ لِي مَعَهَا قُصُورَ صَنْعَاءَ كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الكِلَابِ، وَأَخْبَرَنِي جِبْرَائِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا يُبْلِّغُهُمُ النَّصْرَ فَأَبْشِرُوا (يُرَدِّدُهَا ثَلَاثَاً)، فَاسْتَبْشَرَ المُسْلِمُونَ، وَقَالُوا: مَوْعُودُ صَادِقٍ بَارٍّ وَعَدَنَا النَّصْرَ بَعْدَ الحَصْرِ وَالفُتُوحَ.

وَمَا جَاءَ الأَحْزَابُ حَتَّى انْتَهَى الحَفْرُ فِي الخَنْدَقِ، وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ قَالُوا: مَكِيدَةٌ مَا عَرَفَتْهَا العَرَبُ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ رِجَالُ الأَحْزَابِ اجْتِيَازَهُ وَبَقُوا خَلْفَهُ حَتَّى أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيْحَاً وَهَزَمَهُمْ، وَنَصَرَ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ.

فِي الجِهَادِ

شَهِدَ سَلْمَانُ غَزْوَةَ الخَنْدَقِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُلَّ المَشَاهِدِ الَّتِي بَعْدَهَا، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ مِنَ الغَزَوَاتِ.

وَلَمَّا انْطَلَقَتِ الفُتُوحُ خَارِجَ جَزِيرَةِ العَرَبِ أَيَّامَ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَارَ مَعَ المُجَاهِدِينَ فِي العِرَاقِ، وَسَكَنَ الكُوفَةَ، عَلَى حِيْنَ سَكَنَ أَخُوهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ الشَّامَ.

كَتَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى سَلْمَانَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ

اللَّـهَ رَزَقَنِي بَعْـدَكَ مَالاً وَوَلَـدَاً، وَنَـزَلْتُ الأَرْضَ المُقَـدَّسَـةَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَلْمَانُ: إِعْلَمْ أَنَّ الخَيْرَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ المَالِ وَالوَلَدِ، وَلَكِنَّ الخَيْرَ أَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ يَنْفَعَكَ عِلْمُكَ، وَإِنَّ الأَرْضَ لاَ تَعْمَلُ لِأَحَدٍ، اعْمَلْ كَأَنَّـكَ تَـرَى، وَاعْـدُدْ نَفْسَكَ مِنَ المَوْتَى[1].

وَرَوَى يَحْيَى بنُ سَعِيدٍ أَنَّ أَبَا الـدَّرْدَاءِ كَتَبَ إِلَى سَلْمَانَ: هَلُمَّ إِلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ الأَرْضَ لاَ تُقَدِّسُ أَحَدَاً، وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ المَرْءَ عَمَلُهُ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ جُعِلْتَ طَبِيباً، فَإِنْ كُنْتَ تُبْرِىءُ فَنِعِمَّـا لَكَ، وَإِنْ كُنْتَ مُتَـطَبِّبَاً فَاحْذَرْ أَنْ تَقْتُلَ إِنْسَانَاً فَتَدْخُلَ النَّارَ. فَكَانَ أَبُـوالدَّرْدَاءِ إِذَا قَضَى بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ أَدْبَرَا عَنْهُ، نَظَرَ إِلَيْهِمَا، وَقَالَ: مُتَطَبِّبٌ وَاللَّهِ، ارْجِعَا أَعِيدَا عَلَيَّ قِصَّتَكُمَا[2].

وَجَـاءَ الأَشْعَثُ بنُ قَيْسٍ، وَجَرِيـرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ فَـدَخَلاَ عَلَى سَلْمَـانَ فِي خُصٍّ، فَسَلَّمَـا وَحَيَّيَـاهُ، ثُمَّ قَـالاَ: أَنْتَ صَـاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي. فَارْتَـابَا، فَقَالَ: إِنَّمَا صَاحِبُهُ مَنْ دَخَلَ مَعَهُ الجَنَّةَ. قَالاَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَبِي

---

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ في الوصية. بـاب جامـع القضاء، وأبـو نعيم في «الحلية» ١/ ٢٠٥.

الدَّرْدَاءِ، قَالَ: فَأَيْنَ هَدِيَّتُهُ؟ قَالاَ: مَا مَعَنَا هَدِيَّةٌ. قَالَ: اتَّقِيَا اللَّهَ وَأَدِّيَا الأَمَانَةَ، مَا أَتَانِي أَحَدٌ مِنْ عِنْدِهِ إِلاَّ بِهَدِيَّةٍ، قَالاَ: لاَ تَرْفَعْ عَلَيْنَا هَذَا، إِنَّ لَنَا أَمْوَالاً فَاحْتَكِمْ، قَالَ: مَا أُرِيدُ إِلاَّ الهَدِيَّةَ، قَالاَ: وَاللَّهِ مَا بَعَثَ مَعَنَا بِشَيْءٍ إِلاَّ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ فِيكُمْ رَجُلاً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا خَلاَ بِهِ لَمْ يَبْغِ غَيْرَهُ، فَإِذَا أَتَيْتُمَاهُ، فَأَقْرِئَا مِنِّي السَّلاَمَ. قَالَ: فَأَيُّ هَدِيَّةٍ كُنْتُ أُرِيدُ مِنْكُمَا غَيْرَ هَذِهِ؟ وَأَيُّ هَدِيَّةٍ أَفْضَلُ مِنْهَا؟.

وَشَهِدَ سَلْمَانُ كَثِيراً مِنَ المَعَارِكِ الَّتِي جَرَتْ فِي العِرَاقِ، وَقَادَ بَعْضَ السَّرَايَا، وَتَوَلَّى إِمْرَةَ المَدَائِنِ، وَتُوُفِّيَ فِيهَا.

سَلْمَانُ الأَمِيرُ

بَعْدَ فَتْحِ المَدَائِنِ عَامَ سِتَّةَ عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ أَقَامَ فِيهَا سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ مُدَّةً فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ تَوَلَّى إِمْرَتَهَا سَلْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَكَانَ نِعْمَ الأَمِيرُ، وَنِعْمَ القُدْوَةُ.

قَالَ هُذَيْمٌ: رَأَيْتُ سَلْمَانَ الفَارِسِيَّ عَلَى حِمَارٍ عُرِيٍّ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ سُنْبُلاَنِيٌّ[1] قَصِيرٌ، ضَيِّقٌ، الأَسْفَلِ ـ وَكَانَ رَجُلاً طَوِيلَ السَّاقَيْنِ، كَثِيرَ الشَّعْرِ ـ وَقَدِ ارْتَفَعَ القَمِيصُ حَتَّى بَلَغَ قَرِيباً مِنْ

(١) سنبلاني: سابغ.

رُكْبَتَيْهِ، قَالَ: وَرَأَيْتُ الصِّبْيَانَ يَحْضُرُونَ خَلْفَهُ، فَقُلْتُ: أَلَا تَنَحَّوْنَ عَنِ الأَمِيرِ؟ فَقَالَ: دَعْهُمْ فَإِنَّ الخَيْرَ وَالشَّرَّ فِيمَا بَعْدَ اليَوْمِ[1].

قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ القَيْسِ: كُنْتُ مَعَ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى سَرِيَّةٍ فَمَرَّ بِفِتْيَانٍ مِنَ الجُنْدِ فَضَحِكُوا وَقَالُوا: هَذَا أَمِيرُكُمْ؟ فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِاللَّهِ أَلَا تَرَى هَؤُلَاءِ مَا يَقُولُونَ؟ قَالَ: دَعْهُمْ فَإِنَّمَا الخَيْرُ وَالشَّرُّ فِيمَا بَعْدَ اليَوْمِ، إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَأْكُلَ مِنَ التُّرَابِ فَكُلْ مِنْهُ، وَلَا تَكُونَنَّ أَمِيراً عَلَى اثْنَيْنِ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ وَالمُضْطَرِّ فَإِنَّهَا لَا تُحْجَبُ[2].

وَقَالَ ثَابِتٌ: كَانَ سَلْمَانُ أَمِيراً عَلَى المَدَائِنِ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ مَعَهُ حِمْلُ تِينٍ، وَعَلَى سَلْمَانَ أَنْدَوَرْدُ وَعَبَاءَةٌ، فَقَالَ لِسَلْمَانَ: تَعَالَ احْمِلْ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ سَلْمَانَ، فَحَمَلَ سَلْمَانُ، فَرَآهُ النَّاسُ فَعَرَفُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا الأَمِيرُ، قَالَ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: حَتَّى أَبْلُغَ مَنْزِلَكَ.

وَذَكَرَ أَحَدُهُمْ فَقَالَ: أَتَيْتُ السُّوقَ فَاشْتَرَيْتُ عَلَفاً بِدِرْهَمٍ فَرَأَيْتُ سَلْمَانَ وَلَا أَعْرِفُهُ، فَسَخَّرْتُهُ فَحَمَّلْتُ عَلَيْهِ العَلَفَ، فَمَرَّ بِقَوْمٍ فَقَالُوا: نَحْمِلُ عَنْكَ يَا أَبَا عَبْدِاللَّهِ، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟

---

(١) طبقات ابن سعد.

(٢) طبقات ابن سعد.

قَالُوا: هَذَا سَلْمَانُ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: لَمْ أَعْرِفْكَ، ضَعْهُ عَافَاكَ اللَّهُ، فَأَبَى حَتَّى أَتَى بِهِ مَنْزِلِي فَقَالَ: قَدْ نَوَيْتُ فِيهِ نِيَّةً فَلاَ أَضَعُهُ حَتَّى أَبْلُغَ مَنْزِلَكَ.

وَهَذَا هُوَ الأَمِيرُ بِحَقٍّ إِذَا سَارَ بَيْنَ النَّاسِ لاَ يُعْرَفُ بِمَوْكِبِهِ، وَإِذَا كُلِّفَ لاَ يَتَعَالَى بِمَنْصِبِهِ، وَيَخْدُمُ النَّاسَ بِعَمَلِهِ كَمَا يَخْدُمُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ لِيَكُونَ قُدْوَةً لَهُمْ فِي مُسَاعَدَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً.

وَقِيلَ: رَأَيْتُ سَلْمَانَ الفَارِسِيَّ بِالمَدَائِنِ فِي بَعْضِ طُرُقِهَا يَمْشِي فَزَحَمَتْهُ حَمَلَةٌ مِنْ قَصَبٍ فَأَوْجَعَتْهُ، فَتَأَخَّرَ إِلَى صَاحِبِها الَّذِي يَسُوقُهَا فَأَخَذَ بِعَضُدِهِ فَحَرَّكَهُ، ثُمَّ قَالَ: لاَ مِتُّ حَتَّى تُدْرِكَ إِمَارَةَ الشَّبَابِ.

سَلْمَانُ الزَّاهِدُ

كَانَ عَطَاءُ سَلْمَانَ أَرْبَعَةَ آلاَفٍ، وَكَانَ عَطَاءُ عَبْدِاللَّهِ بنِ عُمَرَ ثَلاَثَةُ آلاَفٍ وَخَمْسُمِائَةٍ، فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ هَذَا الفَارِسِيِّ فِي أَرْبَعَةِ آلاَفٍ وَابْنُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ فِي ثَلاَثَةِ آلاَفٍ وَخَمْسُمِائَةٍ؟ قَالُوا: إِنَّ سَلْمَانَ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَشْهَداً لَمْ يَشْهَدْهُ ابنُ عُمَرَ.

وَكَانَ سَلْمَانُ أَمِيراً عَلَى ثَلاَثِينَ أَلْفاً وَيَخْطُبُ فِي عَبَاءَةٍ، يَفْتَرِشُ نِصْفَهَا، وَيَلْبِسُ نِصْفَهَا، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ عَطَاؤُهُ أَمْضَاهُ

وَيأْكُلُ مِنْ سَفِيفِ يَدِهِ.

وَحَدَّثَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقَـالَ: إِنَّ سَلْمَانَ الفَارِسِيَّ كَانَ يَسْتَظِلُّ بِالفَيْءِ حَيْثُ مَا دَارَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَلاَ نَبْنِي لَكَ بَيْتاً تَسْتَظِلُّ بِهِ مِنَ الحَرِّ وَتَسْكُنُ فِيْهِ مِنَ البَرْدِ؟ فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: نَعَمْ. فَلَمَّا أَدْبَرَ القَائِلُ صَاحَ بِهِ سَلْمَانُ فَسَأَلَهُ، كَيْفَ تَبْنِيهِ؟ فَقَالَ: أَبْنِيـهِ إِنْ قُمْتَ فِيْهِ أَصَـابَ رَأْسَكَ، وَإِنْ اضْطَجَعْتَ فِيْهِ أَصَابَ رِجْلَكَ، فَقَالَ سَلْمَانُ: نَعَمْ[1].

قَـالَ النُّعْمَـانُ بنُ حُمَيْـدٍ: دَخَلْتُ مَـعَ خَـالِي عَلَى سَلْمَـانَ بِـالمَدَائِنِ يَعْمَـلُ الخُوصَ، فَسَمِـعْتُـهُ يَقُـولُ: أَشْتَرِي خُـوصَاً بِدِرْهَمٍ فَأَعْمَلُهُ فَأَبِيعُهُ بِثَلاَثَـةِ دَرَاهِمَ، فَأُعِيدُ دِرْهَمَاً فِيْهِ، وَأُنْفِقُ دِرْهَمَـاً عَلَى عِيَـالِي، وَأَتَصَـدَّقُ بِـدِرْهَمٍ، وَلَوْ أَنَّ عُمَـرَ بنَ الخَطَّابِ نَهَانِي مَا انْتَهَيْتُ[2].

وَقَـالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ بُـرَيْدَةَ: كَـانَ سَلْمَـانُ إِذَا أَصَـابَ الفَيْءَ اشْتَرَى بِهِ لَحْمَاً ثُمَّ دَعَا المُحَدِّثِينَ فَأَكَلُوهُ مَعَهُ[3].

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: كَانَ سَلْمَانُ إِذَا وُضِعَ الطَّعَامُ بَيْنَ يَدَيْهِ

---

(١) طبقات ابن سعد.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

قَالَ: الحَمْدُلِلَّهِ كَفَانَا المَؤُونَةَ وَأَحْسَنَ الرِّزْقِ[1].

وَقَالَ الحَارِثُ بنُ سُوَيْدٍ: كَانَ سَلْمَانُ إِذَا أَكَلَ قَالَ: الحَمْدُلِلَّهِ الَّذِيْ كَفَانَا المَؤُونَةَ وَأَوْسَعَ عَلَيْنَا فِي الرِّزْقِ[2].

وَعَنْ أَبِي لَيْلَى الكِنْدِيِّ قَالَ: قَالَ غُلاَمٌ لِسَلْمَانَ: كَاتِبْنِي، قَالَ: أَلَكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ؟ قَالَ: أَسْأَلُ النَّاسَ، قَالَ: تُرِيدُ أَنْ تُطْعِمَنِي غُسَالَةَ النَّاسِ[3].

وَعَنْ جَرِيرِ بنِ عَبْدِاللَّهِ البَجَلِيِّ قَالَ: نَزَلْتُ بِالصِّفَاحِ[4] فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الحَرِّ، فَإِذَا رَجُلٌ نَائِمٌ فِي حَرِّ الشَّمْسِ يَسْتَظِلُّ بِشَجَرَةٍ، مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الطَّعَامِ، وَمِزْوَدَةٌ تَحْتَ رَأْسِهِ، مُلْتَفٌّ بِعَبَاءَةٍ، فَأَمَرْتُهُ أَنْ يُظَلِّلَ عَلَيْهِ، وَنَزَلْنا فَانْتَبَهَ فَإِذَا هُوَ سَلْمَانُ. فَقُلْتُ لَهُ: ظَلَّلْنَا عَلَيْكَ وَمَا عَرَفْنَاكَ. قَالَ: يَا جَرِيرُ تَوَاضَعْ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ مَنْ تَوَاضَعَ يَرْفَعُهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَتَعَظَّمْ فِي الدُّنْيَا يَضَعُهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَوْ حَرَصْتَ أَنْ تَجِدَ عُوداً يَابِساً فِي الجَنَّةِ لَمْ تَجِدْهُ. قُلْتُ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: أُصُولُ الشَّجَرِ ذَهَبٌ

(١) طبقات ابن سعد.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الصفاح: موضع بين مكة والطائف.

وَفِضَّةٌ، وَأَعلاَهَا الثِّمَارُ، يَا جَرِيرُ! تَدْرِي مَا ظُلْمَةُ النَّارِ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: ظُلْمُ النَّاسِ[1].

وَعَنْ طَارِقِ بنِ شَهَابٍ عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: إِذَا كَانَ اللَّيْلُ كَانَ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى ثَلاَثِ مَنَازِلْ: فَمِنْهُمْ مَنْ لَـهُ وَلاَ عَلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَلَيْهِ وَلاَ لَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لاَ عَلَيْهِ وَلاَ لَهُ، فَقُلْتُ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: أَمَّا مَنْ لَـهُ وَلاَ عَلَيْهِ، فَـرَجُلٌ اغْتَنَمَ غَفْلَةَ النَّـاسِ وَظُلْمَةَ اللَّيْلِ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى، فَذَاكَ لَهُ وَلاَ عَلَيْهِ، وَرَجُـلٌ اغْتَنَمَ غَفْلَةَ النَّاسِ وَظُلْمَةَ اللَّيْلِ، فَمَشَى فِي مَعَاصِي اللَّهِ، فَذَاكَ عَلَيْهِ وَلاَ لَهُ، وَرَجُلٌ نَامَ حَتَّى أَصْبَحَ، فَذَاكَ لاَ لَهُ وَلاَ عَلَيْهِ.

قَـالَ طَارِقٌ: فَقُلْتُ: لأَصْحَبَنَّ هَـذَا فَضُـرِبَ عَلَى النَّـاسِ بَعْثٌ، فَخَرَجَ فِيهِمْ، فَصَحِبْتُهُ وَكُنْتُ لاَ أَفْضُلُهُ فِي عَمَلٍ، إِذَا أَنَا عَجَنْتُ خَبَزَ، وَإِنْ خَبَزْتُ طَبَخَ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً فَبِتْنَا فِيهِ، وَكَـانَتْ لِطَارِقٍ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ يَقُومُهَا، فَكُنْتُ أَتَيَقَّظُ لَهَا فَأَجِدُهُ نَائِماً، فَأَقُولُ: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنِّي نَائِمٌ، فَأَنَامُ ثُمَّ أَقُومُ فَأَجِدُهُ نَائِماً فَأَنَامُ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْـدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُـوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَـدِيرٌ.

---

(١) سير أعلام النبلاء.

حَتَّى إِذَا كَانَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ قَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَكَعَ أَرْبَعَ رُكْعَاتٍ. فَلَمَّا صَلَّيْنَا الفَجْرَ قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِاللَّهِ، كَانَتْ لِي سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ أَقُومُهَا وَكُنْتُ أَتَيَقَّظُ لَهَا فَأَجِدُكَ نَائِماً، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، فَمَاذَا كُنْتَ تَسْمَعُنِي أَقُولُ؟ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي تِلْكَ الصَّلاَةُ، إِنَّ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتَنَبْتَ المَقْتَلَةَ، يَا ابْنَ أَخِي عَلَيْكَ بالقصد، فإنّه أبلغ[1].

وَرَوَى الأَعْمَشُ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: ذَهَبْتُ أَنَا وَصَاحِبٌ لِي إِلَى سَلْمَانَ، فَقَالَ: لَوْلاَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَهَانَا عَنِ التَّكَلُّفِ، لَتَكَلَّفْتُ لَكُمْ، فَجَاءَنَا بِخُبْزٍ وَمِلْحٍ. فَقَالَ صَاحِبِي: لَوْ كَانَ فِي مِلْحِنَا صَعْتَرٌ. فَبَعَثَ سَلْمَانُ بِمِطْهَرَتِهِ فَرَهَنَهَا فَجَاءَ بِصَعْتَرٍ، فَلَمَّا أَكَلْنَا، قَالَ صَاحِبِي: الحَمْدُلِلَّهِ الَّذِيْ أَقْنَعَنَا بِمَا رَزَقَنَا، فَقَالَ سَلْمَانُ: لَوْ قَنِعْتَ لَمْ تَكُنْ مِطْهَرَتِي مَرْهُونَةً[2].

وَرَوَى نَافِعُ بنُ جُبَيْرٍ أَنَّ سَلْمَانَ الْتَمَسَ مَكَاناً يُصَلِّي فِيْهِ، فَقَالَتْ ظلهُ عِلْجَةٌ: التَمِسْ قَلْباً طَاهِراً، وَصَلِّ حَيْثُ شِئْتَ. فَقَالَ: فَقُهْتِ[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/٥٥٠.

(٢) أخرجه الطبراني (٦٠٨٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزائد ٨/١٧٩.

(٣) أخرجه أبو نعيم في (الحلية) ١/٢٠٦.

وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى سَلْمَانَ، وَهُوَ يَعْجِنُ، فَقَالَ: أَيْنَ الخَادِمُ؟ قَالَ: بَعَثْنَاهَا لِحَاجَةٍ فَكَرِهْنَا أَنْ نَجْمَعَ عَلَيْهَا عَمَلَيْنِ.

وَفَاةُ سَلْمَانَ

دَخَلَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ عَلَى سَلْمَانَ يَعُودُهُ، قَالَ: فَبَكَى سَلْمَانُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا عَبْدِاللَّهِ؟ تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، وَتَلْقَى أَصْحَابَكَ، وَتَرِدُ عَلَيْهِ الحَوْضَ. قَالَ سَلْمَانُ: وَاللَّهِ مَا أَبْكِي جَزَعاً مِنَ المَوْتِ وَلاَ حِرْصاً عَلَى الدُّنْيَا، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَهِدَ إِلَيْنَا عَهْداً، فَقَالَ: لِتَكُنْ بُلْغَةُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا مِثْلَ زَادِ الرَّاكِبِ، وَحَوْلِي هَذِهِ الأَسَاوِدُ، قَالَ: وَإِنَّمَا حَوْلَهُ جَفْنَةٌ أَوْ مَطْهَرَةٌ أَوْ إِجَّانَةٌ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا أَبَا عَبْدِاللَّهِ، اعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ نَأْخُذُهُ بَعْدَكَ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ، اذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ هَمِّكَ إِذَا هُمِمْتَ، وَعِنْدَ حُكْمِكَ إِذَا حَكَمْتَ، وَعِنْدَ يَدِكَ إِذَا قَسَمْتَ.

وَقَالَ أَصْحَابُ سَلْمَانَ لِسَلْمَانَ: أَوْصِنَا، فَقَالَ: مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ حَاجّاً أَوْ مُعْتَمِراً أَوْ غَازِياً أَوْ فِي نَفْلِ القِرَاءَةِ فَلْيَمُتْ، وَلاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ فَاجِراً أَوْ خَائِناً.

وَعَنْ بُقَيْرَةَ امْرَأَةِ سَلْمَانَ قَالَتْ: لَمَّا حَضَرَتْ سَلْمَانَ الوَفَاةُ دَعَانِي وَهُوَ فِي عُلِّيَّةٍ لَهُ لَهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ فَقَالَ: افْتَحِي هَذِهِ الأَبْوَابَ يَا بُقَيْرَةُ، فَإِنَّ لِيَ اليَوْمَ زُوَّاراً، لَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ هَذِهِ الأَبْوَابِ يَدْخُلُونَ عَلَيَّ، ثُمَّ دَعَا بِمِسْكٍ لَهُ فَقَالَ: أَدِيفِيهِ فِي تَّنُورٍ، فَفَعَلْتُ، ثُمَّ قَالَ: انْضَحِيهِ فَوْقَ فِرَاشِي ثُمَّ انْزِلِي فَامْكُثِي فَسَوْفَ تَطْلَعِينَ فَتَرَيْ عَلَى فِرَاشِي، فَاطَّلَعْتُ فَإِذَا هُوَ قَدْ أُخِذَ رُوحُهُ، فَكَأَنَّمَا هُوَ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِهِ(١).

وَعَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيِّبِ، عَنْ عَبْدِاللَّهِ بنِ سَلَّامٍ أَنَّ سَلْمَانَ قَالَ لَهُ: أَيْ أُخَيَّ، أَيُّنَا مَاتَ قَبْلَ صَاحِبِهِ فَلْيَتَرَاءَ لَهُ. قَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ سَلَّامٍ: أَوَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ نَسْمَةَ المُؤْمِنِ مُخَلَّاةٌ تَذْهَبُ فِي الأَرْضِ حَيْثُ شَاءَتْ، وَنَسْمَةُ الكَافِرِ فِي سِجْنٍ. فَمَاتَ سَلْمَانُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَبَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ قَائِلٌ بِنِصْفِ النَّهَارِ عَلَى سَرِيرٍ لِي فَأَغْفَيْتُ إِغْفَاءَةً إِذْ جَاءَ سَلْمَانُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ أَبَا عَبْدِاللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ قَالَ: خَيْراً وَعَلَيْكَ بِالتَّوَكُّلِ فَنِعْمَ الشَّيْءُ التَّوَكُّلُ، وَعَلَيْكَ بِالتَّوَكُّلِ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/٢٠٨، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٣٤٤. وذكره ابن سعد في الطبقات ٤/١/٦٦.

فَنِعْمَ الشَّيْءُ التَّوَكُّلُ، وَعَلَيْكَ بِالتَّوَكُّلِ فَنِعْمَ الشَّيْءُ التَّوَكُّلُ.

تُوفِّيَ سَلْمَانُ بِالمَدَائِنِ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، وَلَمْ يَتْرُكْ سِوَى بِضْعَةٍ وَعِشْرِينَ دِرْهَماً نُفَيْقَةً كَانَتْ عِنْدَهُ.

عَاشَ سَلْمَانُ مَا يَقْرُبُ مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً، فَقَدْ جَاءَ إِلَى الحِجَازِ وَعُمْرُهُ يُقَارِبُ الأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَتُوفِّيَ فِي أَوَائِلِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ قَبْلَ سَنَةِ ثَلَاثِينَ مِنَ الهِجْرَةِ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا زِيَارَةُ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ لَهُ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ المَوْتِ، وَقَدْ تَوَلَّى سَعْدُ الإِمَارَةَ فِي أَوَائِلِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ الَّتِي بَدَأَتْ فِي مَطْلَعِ عَامِ ٢٤ لِلْهِجْرَةِ، وَذَلِكَ بِنَاءً عَلَى وَصِيَّةِ الخَلِيفَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ الَّذِيْ كَانَ قَدْ عَزَلَهُ، وَأَوْصَى بِاسْتِعْمَالِهِ، فَاسْتَعْمَلَهُ عُثْمَانُ عَلَى إِمَارَةِ الكُوفَةِ فِي أَوَّلِ عَهْدِهِ.

أَمَّا مَا يَقُولُونَ: إِنَّه عَاشَ ثَلَاثَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَمِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً فَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، وَلَا سَنَدَ لَهُ.

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٥٨ -

أَبُو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ

جُنْدُبُ بنُ جُنَادَةَ

رضي الله عنه

أَبُو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ
جُنْدُبُ بنُ جُنَادَةَ

كَمَا لاَ تَخْلُو مَنْطِقَةٌ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّهَا لاَ تَعْدَمُ قَبِيلَةٌ أَصْحَابَ عُقُولٍ يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ ، وَيَرَوْنَ الخَطأَ وَيَعْرِفُونَهُ وَيَبْتَعِدُونَ عَنْهُ وَلَوْ خَالَفُوا النَّاسَ جَمِيعاً، وَمَا أَعْتَقِدُ عَقْلاً أَحطَّ مِنْ عَقْلٍ يَتَّخِذُ مِنَ الحِجَارَةِ أَصْنَاماً يَعْبُدُهَا وَيُقَدِّمُ لَهَا القَرَابِينَ، يُحَوِّلُ الحَجَرَ بِنَفْسِهِ إِلَى تِمْثَالٍ ثُمَّ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَجْعَلَهُ إِلَهاً يَظَلُّ لَهُ عَاكِفاً، وَيَعْرِفُ أَنَّهُ كَانَ بِالأَمْسِ حَجَراً يَبُولُ عَلَيْهِ، ثُمَّ صَيَّرَهُ إِلَهاً يُطَيِّبُهُ وَيَعْلَمُ تَمَامَ العِلْمِ أَنَّهُ لاَ يَنْفَعُ وَلاَ يَضُرُّ.

وَكَمَا رَفَضَ عِبَادَةَ الأَصْنَامِ فِي قُرَيْشٍ وَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ الأَسَدِيُّ وَزَيْدُ بنُ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ العَدَوِيُّ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ لِمَا رَأَوْا فِيهَا مِنِ امْتِهَانٍ لِلْعَقْلِ وَانْحِطَاطٍ لِلْفِكْرِ كَذَلِكَ الأَمْرُ نَفْسُهُ فِي قَبِيلَةِ غِفَارٍ أَبُو ذَرٍّ جُنْدُبُ بنُ جُنَادَةَ.

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: وَقَدْ صَلَّيْتُ يَا ابْنَ أَخِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلاَثِ سِنِينَ. قُلْتُ: لِمَنْ، قَالَ:

لِلَّهِ، قُلْتُ: أَيْنَ تَوَجَّهُ؟ قَالَ: حَيْثُ وَجَّهَنِيَ اللَّهُ، أُصَلِّي عِشَاءً حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ أُلْقِيتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ حَتَّى تَعْلُونِيَ الشَّمْسُ.

كَانَ أَبُو ذَرٍّ مِنْ قَبِيلَةِ «غِفَار» إِحْدَى بُطُونِ كِنَانَةَ، وَتُقِيمُ فِي تِهَامَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ عَلَى طَرِيقِ التِّجَارَةِ القُرَيْشِيَّةِ إِلَى الشَّامِ.

كَانَ أَبُو ذَرٍّ آدَمَ ضَخْماً جَسِيماً طَوِيلاً، أَسْوَدَ، كَثَّ اللِّحْيَةِ، وَكَانَ شُجَاعاً، وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ رَجُلاً يُصِيبُ، يَنْفَرِدُ وَحْدَهُ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ، وَيُغِيرُ عَلَى الصِّرَمِ فِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ أَوْ قَدَمَيْهِ، كَأَنَّهُ السَّبُعُ، فَيَطْرُقُ الحَيَّ، وَيَأْخُذُ مَا أَخَذَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ قَذَفَ فِي قَلْبِهِ الإِسْلَامَ، وَسَمِعَ مَقَالَةَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ يَدْعُو مُخْتَفِياً، فَأَقْبَلَ يَسْأَلُ عَنْهُ.

وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رَأْساً فِي الزُّهْدِ، وَالصِّدْقِ، وَالعِلْمِ وَالعَمَلِ، قَوَّالاً بِالحَقِّ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، عَلَى حِدَّةٍ فِيهِ.

إِسْلَامُ أَبِي ذَرٍّ

قَالَ أُنَيْسٌ لِأَخِيهِ أَبِي ذَرٍّ: إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ، فَاكْفِنِي. فَانْطَلَقَ أُنَيْسٌ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَرَاثَ[1] عَلَيَّ ثُمَّ جَاءَ. فَقُلْتُ:

(١) راث: أبطأ وتأخّر.

مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: لَقِيتُ رَجُلاً بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ، يَزْعُمُ أَنَّهُ مُرْسَلٌ. قُلْتُ: فَمَاذَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ. قَالَ: وَكَانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعَرَاءِ. فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الكَهَنَةِ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى قَوْلِ الشُّعَرَاءِ، فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، قُلْتُ: فَاكْفِنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرُ. قَالَ: نَعَمْ، وَكُنْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى حَذَرٍ فَإِنَّهُمْ قَدْ شَنَعُوا لَهُ وَتَجَهَّمُوا لَهُ، فَأَتَيْتُ مَكَّةَ، فَتَضَعَّفْتُ[1] رَجُلاً مِنْهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِىءَ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَقَالَ: الصَّابِىءُ. قَالَ: فَمَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الوَادِي بِكُلِّ مَدَرَةٍ وَعَظْمٍ، حَتَّى خَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ. فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ كَأَنِّي نُصُبٌ أَحْمَرُ، فَأَتَيْتُ زَمْزَمَ فَغَسَلْتُ عَنِّيَ الدِّمَاءَ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا. وَلَقَدْ لَبِثْتُ ثَلاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، مَا لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءَ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سَخْفَةَ جُوعٍ[2].

فَبَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءَ إِضْحِيَانَ[3]، جَاءَتِ امْرَأَتَانِ

---

(١) تضعفت: نظرت إلى رجلٍ ضعيفٍ.
(٢) سخفة جوع: أثر جوع، ويكون بالهزال.
(٣) إضحيان: مضيئة كالضحى.

تَطُوفَانِ، وَتَدْعُوَانِ إسَافاً وَنَائِلَةَ[1] فَأَتَتَا عَلَيَّ فِي طَوَافِهِمَا. فَقُلْتُ: أَنْكِحَا أَحَدَهُمَا الآخَرَ، فَمَا ثَنَاهُمَا ذَلِكَ عَنْ قَوْلِهِمَا، فَأَتَتَا عَلَيَّ، فَقُلْتُ: هَنٌ مِثْلَ الخَشَبَةِ، غَيْـرَ أَنِّي لَمْ أُكَنِّ، فَانْطَلَقَتَا تُوَلْوِلَانِ وَتَقُولَانِ: لَوْ كَانَ هُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا. فَاسْتَقْبَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا هَابِطَتَانِ، فَقَالَ: مَا لَكُمَا؟ قَالَتَا: الصَّابِئُ بَيْنَ الكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا. قَالَ: فَمَا قَالَ لَكُمَا؟ قَالَتَا: إِنَّهُ قَالَ كَلِمَةً تَمْلأُ الفَمَ.

قَالَ: وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هُوَ وَصَاحِبُهُ حَتَّى اسْتَلَمَا الحَجَرَ، ثُمَّ طَافَا بِالبَيْتِ، ثُمَ صَلَّى، فَأَتَيْتُهُ حِينَ قَضَى صَلَاتَهُ، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةَ الإِسْلَامِ، فَقَالَ: وَعَلَيْكَ رَحْمَةُ اللَّهِ! مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ وَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنِّي انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ، فَذَهَبْتُ آخُذُ بِيَدِهِ، فَدَفَعَنِي صَاحِبُهُ، وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي. قَالَ: ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَتَى كُنْتَ هَا هُنَا؟ قُلْتُ: مُنْذُ ثَلَاثِينَ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ. قَالَ: فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟ قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءَ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ، وَمَا أَجِدُ عَلَى بَطْنِي سَخْفَةَ جُوعٍ. قَالَ:

---

(١) إساف ونائلة: صنمان، تزعم العرب أنهما رجل وامرأة زنيا في الكعبة فمُسخا.

«إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ، فَانْطَلَقْنَا فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَابًا، فَجَعَلَ يَقْبِضُ مِنْ زَبِيبِ الطَّائِفِ. فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَذَاكَ أَوَّلُ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا.

وَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: [إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ إِلَى أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ، وَلاَ أَحْسِبُهَا إِلاَّ يَثْرِبَ، فَهَلْ أَنْتَ مُبْلِغٌ عَنِّي قَوْمَكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ بِأَجْرِكَ فِيهِمْ؟].

فَانْطَلَقْتُ حَتَّى لَقِيتُ أَخِي أُنَيْسًا، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. قَالَ أُنَيْسٌ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. قَالَ: فَأَتَيْنَا أُمَّنَا، فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ.

قَالَ: فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارَ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ قَبْلَ أَنْ يَقْدُمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَدِينَةَ، وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ إِيمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ، وَقَالَ بَقِيَّتُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا. فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَدِينَةَ فَأَسْلَمَ بَقِيَّتُهُمْ.

وَجَاءَتْ أَسْلَمُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُسْلِمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمَ

إِخْوَتُنَا، فَأَسْلَمُوا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [غِفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ، سَالَمَهَا اللَّهُ][1].

قَالَ عَبْدُاللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِإِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: قَالَ أَبو ذَرٍّ: بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا بِمَكَّةَ قَدْ خَرَجَ، يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَكَلِّمْهُ. فَانْطَلَقَ، فَلَقِيَهُ ثُمَّ رَجَعَ، فَقُلْت: مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالخَيْرِ، وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ. قُلْتُ: لَمْ تَشْفِنِي. فَأَخَذْتُ جِرَابًا وَعَصًا. ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ، فَجَعَلْتُ لَا أَعْرِفُهُ وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، وَأَكُونُ فِي المَسْجِدِ. فَمَرَّ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ غَرِيبٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: انْطَلِقْ إِلَى المَنْزِلِ. فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، لَا أَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ وَلَا يُخْبِرُنِي.

فَلَمَّا أَصْبَحَ الغَدُ، جِئْتُ إِلَى المَسْجِدِ لَا أَسْأَلُ عَنْهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ. فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا آنَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعُودَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: مَا أَمْرُكَ، وَمَا أَقْدَمَكَ؟ قُلْتُ: إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُكَ؟ قَالَ: أَفْعَلُ. قُلْتُ: قَدْ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ نَبِيٌّ. قَالَ: أَمَا قَدْ رَشُدْتَ، هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ، فَاتَّبِعْنِي وَادْخُلْ حَيْثُ

---

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل أبي ذر برقم (٢٤٧٣).

أَدْخُلُ، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَداً أَخَافُهُ عَلَيْكَ، قُمْتُ إِلَى الحَائِطِ كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي، وَامْضِ أَنْتَ.

فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ، فَدَخَلْنَا عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ. فَعَرَضَ عَلَيَّ، فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي. فَقَالَ لِي: يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ، وارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا، فَأَقْبِلْ. فَقُلْتُ: وَالَّذِيْ بَعَثَكَ بِالحَقِّ لأَصْرَخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ.

فَجَاءَ إِلَى المَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيْهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ. فَقَامُوا فَضُرِبْتُ لِأَمُوتَ، فَأَدْرَكَنِيَ العَبَّاسُ، فَأَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ: وَيْلَكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلاً مِنْ غِفَارٍ، وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارٍ، فَأَطْلِقُوا عَنِّي. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، رَجَعْتُ، فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالأَمْسِ. فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَصُنِعَ بِي كَذَلِكَ، وَأَدْرَكَنِيَ العَبَّاسُ، فَأَكَبَّ عَلَيَّ. فَهَذَا أَوَّلُ إِسْلاَمِ أَبِي ذَرٍّ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مُنْصَرِفٌ إِلَى أَهْلِي وَنَاظِرٌ مَتَى يُؤْمَرُ بِالقِتَالِ، فَأَلْحَقُ بِكَ فَإِنِّي أَرَى قَوْمَكَ عَلَيْكَ جَمِيعاً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَصَبْتَ فَانْصَرِفْ.

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّا قُرَيْشٌ فَلَا أَدَعُهُمْ حَتَّى أَثْأَرَ مِنْهُمْ، ضَرَبُونِي، فَخَرَجَ فَأَقَامَ بِـ (عُسْفَانَ) وَكُلَّمَا أَقْبَلَتْ عِيرٌ لِقُرَيْشٍ يَحْمِلُونَ الطَّعَامَ يُنَفِّرُ بِهِمْ عَلَى ثَنِيَّةِ (غَزَالٍ) فَتُلَقِّى أَحْمَالُهَا فَيَجْمَعُوا الحِنَطَ. فَكَانَ أَبُو ذَرٍّ يَقُولُ لِقَومِهِ: لَا يَمَسُّ أَحَدٌ حَبَّةً حَتَّى تَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَأْخُذُونَ الغَرَائِرَ[1].

وَرَجَعَ أَبُو ذَرٍّ حِينَ أَسْلَمَ وَأَقَامَ فِي بِلَادِ قَوْمِهِ حَتَّى مَضَتْ بَدْرٌ، وَأُحُدٌ، وَالخَنْدَقِ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالمَدِينَةِ بَعْدَ ذَلِكَ.

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَقْبَلَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالمَدِينَةِ، وَأَقَامَ مَعَهُ، وَشَهِدَ مَعَهُ المَشَاهِدَ كُلَّهَا. وَحَمَلَ يَوْمَ حُنَيْنٍ رَايَةَ غِفَارٍ.

وَكَانَ يَقُولُ: أَبْطَأْتُ فِي غَزْوَةِ تَبُوك، مِنْ عَجَفِ (هُزَالِ) بَعِيرِي.

---

(١) الغرائر: جمع غرارة وهي كمية من القمح تعادل ثمانين مُدّاً.

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: لَمَّا سَارَ رسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلَى تَبُوكَ، جَعَلَ لاَ يَزَالُ يَتَخَلَّفُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَلَّفَ فُلاَنٌ. فَيَقُولُ: «دَعُوهُ، إنْ يَكُنْ فِيهِ خَيْرٌ، فَسَيَلْحَقُكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ غَيْرُ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ». حَتَّى قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ، وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ.

قَالَ: وَتَلَوَّمَ (تَلَبَّثَ وَمَكَثَ) بَعِيرُ أَبِي ذَرٍّ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ، فَجَعَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَخَرَجَ يَتْبَعُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَنَظَرَ نَاظِرٌ فَقَالَ: إنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْ أَبَا ذَرٍّ». فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ القَوْمُ، قَالُوا: هُوَ وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ».

قَالَ أَبُو ذَرٍّ حَدْثَانَ إسْلاَمِهِ (وَهُوَ حَدِيثُ الإسْلاَمِ) لابْنِ عَمِّهِ: يَا ابْنَ الأَمَةِ. فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا ذَهَبَتْ عَنْكَ أَعْرَابِيَّتُكَ بَعْدُ».

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي، قَالَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا

أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[١]. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مالَ يَتِيمٍ»[٢]. وَلَيْسَ الضَّعْفُ هُنَا بِنَقْصٍ فِي القُوَّةِ أَوِ الشَّجَاعَةِ فَقَدْ عُرِفَ أَبُو ذَرٍّ بِالقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَإِنَّمَا عَدَمُ الحِلْمِ والأَنَاةِ إِذْ عُرِفَ فِي طَبْعِهِ الحِدَّةُ، وَالإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ الخَيْرِ.

وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بنِ عَمْرو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ وَلَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ»[٣].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِسَبْعٍ: «أَمَرَنِي بِحُبِّ المَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَأَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَداً شَيْئاً، وَأَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَنْ أَقُولَ الحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرّاً، وَأَلَّا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَنْ أُكْثِرَ

---

(١) رواه مسلم ١٨٢٥.

(٢) رواه مسلم ١٨٢٦.

(٣) رواه الترمذي ٣٨٠١ وابن ماجه ١٥٦ والحاكم ٣/٣٤٢.

مِـنْ قَوْلِ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ العَرْشِ »[1].

وَلِأَبِي ذَرٍّ وَاحِدٌ وَثَمَانُونَ وَمِائَتَا حَدِيثٍ، اتَّفَقَا مِنْهَا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ حَدِيثاً، وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِحَدِيثَيْنِ، وَمُسْلِمٌ بِتِسْعَةَ عَشَرَ حَدِيثاً.

مَعَ خُلَفَاءِ رَسُولِ اللَّهِ

كَانَ خُلَفَاءُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ وَهُمُ الَّذِينَ عَاشَ فِي أَيَّامِهِمْ يَحْتَرِمُونَهُ وَيُجِلُّونَهُ لِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَهُ وَلِعِلْمِهِ وَزُهْدِهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ بَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ رَغْمَ الحِدَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي طَبْعِهِ وَرَغْمَ القَسْوَةِ الَّتِي كَانُوا يَنَالُونَهَا مِنْهُ أَحْيَاناً. وَمَعَ الأَسَفِ فَإِنَّ بَعْضَ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ قَدْ فَهِمُوا هَذِهِ المَحَبَّةَ لَهُ ضَعْفاً مِنَ الخُلَفَاءِ وَوُلَاتِهِمْ، وَفَسَّرُوا شِـدَّتَهُ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا ثَوْرَةً عَلَيْهِمْ لِلظُّلْمِ القَائِمِ ، وَأَوَّلُوا سُكُوتَهُمْ تَقْدِيراً لَهُ، سُكُوتَ الخَوْفِ مِمَّا يَقَعُ مِنْ مُخَالَفَاتٍ شَرْعِيَّةٍ، وَهَكَذَا انْقَلَبَ أَبُو ذَرٍّ فِي نَظَرِ هَؤُلَاءِ إِلَى ثَائِرٍ عَلَى التَّرَفِ وَالبَغْيِ وَالظُّلْمِ ، وَانْقَلَبَ ذَاكَ المُجْتَمَعُ الصَّالِحُ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥/١٥٩.

خَيْرُ القُرُونِ إِلَى عَهْدٍ فِيْهِ المَآسِي، وَفِيْهِ المَظَالِمُ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ نَفْثِ السُّمُومِ فِي المُجْتَمَعِ الإِسْلاَمِيِّ.

كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُفْتِي فِي خِلاَفَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ[1].

وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ يُفَضِّلُ إِنْفَاقَ المَالِ وَيَكْرَهُ جَمْعَهُ حَتَّى وَصَلَ بِهِ الأَمْرُ إِلَى القَسْوَةِ عند كُلِّ صَاحِبِ مَالٍ وَلَوْ كَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ كَثِيرَ الإِنْفَاقِ فِي سَبيلِ اللَّهِ. عَنِ الأَحْنَفِ بنِ قَيْسٍ قَالَ: قَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَبَيْنَا أَنَا فِي حَلْقَةٍ فِيْهَا مَلأٌ مِنْ قُرَيْشٍ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ أَخْشَنُ الثِّيَابِ، أَخْشَنُ الجَسَدِ، أَخْشَنُ الوَجْهِ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: بَشِّرِ الكَنَّازِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُوضَعُ عَلَى حَلَمَةِ ثَدْيِ أَحَدِهِمْ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ كَتِفِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى نُغْضِ كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةَ ثَدْيِهِ يَتَجَلْجَلُ.

قَالَ: فَوَضَعَ القَوْمُ رُؤُوسَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَداً مِنْهُمْ رَجَعَ إِلَيْهِ شَيْئاً. فَأَدْبَرَ، فَتَبِعْتُهُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى سَارِيَةٍ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ هَؤُلاَءِ إِلَّا كَرِهُوا مَا قُلْتَ لَهُمْ. قَالَ: إِنَّ هَؤُلاَءِ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً؛ إِنَّ خَلِيلِي أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَانِي فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ» فَأَجَبْتُهُ. فَقَالَ: «تَرَى أُحُداً؟» فَنَظَرْتُ مَا عَلَيَّ مِنَ

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٤٦.

الشَّمْسِ ـ وَأَنَا أَظُنُّهُ يَبْعَثُنِي فِي حَاجَةٍ ـ فَقُلْتُ: أَرَاهُ، فَقَالَ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي مِثْلَهُ ذَهَباً، أُنْفِقُهُ كُلَّهُ، إِلَّا ثَلاَثَةَ دَنَانِيرَ» ثُمَّ هَؤُلاَءِ يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً.

فَقُلْتُ: مَا لَكَ وَلِإِخْوَانِكَ مِنْ قُرَيْشٍ، لاَ تَعْتَرِيهِمْ وَلاَ تُصِيبُ مِنْهُمْ؟ قَالَ: لاَ وَرَبِّكَ، مَا أَسْأَلُهُمْ دُنْيَا، وَلاَ أَسْتَفْتِيهِمْ عَنْ دِينٍ حَتَّى أَلْحَقَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ[1].

قَالَ غَزْوَانُ أَبُو حَاتِمٍ: بَيْنَا أَبُو ذَرٍّ عِنْدَ بَابِ عُثْمَانَ لِيُؤْذَنَ لَهُ، إِذْ مَرَّ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا يُجْلِسُكَ هَا هُنَا؟ قَالَ: يَأْبَى هَؤُلاَءِ أَنْ يَأْذَنُوا لَنَا. فَدَخَلَ الرَّجُلُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، مَا بَالُ أَبِي ذَرٍّ عَلَى البَابِ.

فَأَذِنَ لَهُ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ نَاحِيَةً، وَمِيرَاثُ عَبْدِالرَّحْمَنِ يُقْسَمُ، فَقَالَ عُثْمَانُ لِكَعْبٍ: أَرَأَيْتَ المَالَ إِذَ أُدِّيَ زَكَاتُهُ، هَلْ يَخْشَى عَلَى صَاحِبِهِ فِيهِ تَبِعَةٌ؟ قَالَ: لاَ. فَقَامَ أَبُو ذَرٍّ فَضَرَبَهُ بِعَصَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ اليَهُودِيَّةِ، تَزْعُمُ أَنْ لَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ فِي مَالِهِ إِذَا أَدَّى زَكَاتَهُ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2]. وَيَقُولُ: ﴿ وَيُطْعِمُونَ

---

(١) أخرجه البخاري ٣/٢١٨ في الزكاة، ومسلم، ٩٩٢ في الزكاة.

(٢) سورة الحشر من الآية ٩.

الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾(١). فَجَعَلَ يَذْكُرُ نَحْوَ هَذَا مِنَ القُرْآنِ. فَقَالَ عُثْمَانُ لِلْقُرَشِيِّ: إِنَّمَا نَكْرَهُ أَنْ نَأْذَنَ لِأَبِي ذَرٍّ مِنْ أَجْلِ مَا تَرَى. وَقَدْ شَجَّ أَبُو ذَرٍّ كَعْباً عِنْدَمَا ضَرَبَهُ، فَاسْتَوْهَبَهُ عُثْمَانُ فَوَهَبَهُ لَهُ. وَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، اتَّقِ اللَّهَ وَاكْفُفْ يَدَكَ وَلِسَانَكَ.

وَارْتَحَلَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الشَّامِ، فَكَانَ يُحَدِّثُ هُنَاكَ، فَيَقُولُ: لَا يَبِيتَنَّ عِنْدَ أَحَدِكُمْ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، وَلَا تِبْرٌ وَلَا فِضَّةٌ، إِلَّا شَيْءٌ يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ يُعِدُّهُ لِغَرِيمٍ. فَاسْتَهْوَى قُلُوبَ الرِّجَالِ. وَبَعَثَ لَهُ مُعَاوِيَةُ بِأَلْفِ دِينَارٍ فَأَنْفَقَهَا فِي جُنْحِ اللَّيْلِ. وَأَصْبَحَ مُعَاوِيَةُ يُنْكِرُ بَعْضَ شَأْنِ رَعِيَّتِهِ، وَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْخُذَهُ بِالقَسْوَةِ لِمَا لَهُ مِنْ فَضْلٍ فَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ الخِيَارِ، وَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَجْرَحَهُ بِالكَلَامِ لِاحْتِرَامِهِ لَهُ وَتَقْدِيرِهِ، وَلَكِنْ أَحَبَّ أَنْ يَعُودَ إِلَى المَدِينَةِ حَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ هُنَاكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ دَوْرٌ بَيْنَ النَّاسِ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِهِ، وَلِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ وَأَبْنَائِهِمْ وَقَدْ عَرَفُوا حِدَّتَهُ وَعَلِمُوا قَسْوَتَهُ وَتَعَوَّدُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلِبُعْدِ المَدِينَةِ عَنِ الثُّغُورِ. وَأَمَّا فِي الشَّامِ فَهُنَاكَ مَنْ هُوَ حَدِيثُ العَهْدِ بِالإِسْلَامِ

(١) سورة الإنسان ٨، ٩.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُولَعَ بِالصَّحَابَةِ وَيَتَأَثَّرَ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ. فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عُثْمَانَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ كَانَ لَكَ بِالشَّامِ حَاجَةٌ، أَوْ بِأَهْلِهِ، فَابْعَثْ إِلَى أَبِي ذَرٍّ، فَإِنَّهُ قَدْ وَغَلَ صُدُورَ النَّاسِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ: أَقْدِمْ عَلَيَّ. فَقَدِمَ.

أَيْ لَمْ يَكُنْ لِمُعَاوِيَةَ عَلَى أَبِي ذَرٍّ مِنْ نُفُوذٍ وَمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَّخِذَ عَلَيْهِ صِفَةَ الوِلاَيَةِ، لِذَا كَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ بِذَلِك فَهُوَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ وَلَهُ فَضْلُ السَّابِقَةِ كَأَبِي ذَرٍّ وَلَمْ يَكُنْ لِمُعَاوِيَة هَذَا[1]. وَمَعَ هَذِهِ الشِّدَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا أَبُو ذَرٍّ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ وَيُطِيعُ وَيَأْتَمِرُ بِأَمْرِ الخَلِيفَةِ وَالأَمِيرِ وَلاَ يُخَالِفُ أَبَداً.

جَاءَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى المَدِينَةِ فَلَمَّا رَآهُ عُثْمَانُ قَالَ لَهُ: مَرْحَباً وَأَهْلاً بِأَخِي. فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: مَرْحَباً وَأَهْلاً بِأَخِي، لَقَدْ أَغْلَظْتَ عَلَيْنَا فِي العَزِيمَةِ، وَاللَّهِ لَوْ عَزَمْتَ عَلَيَّ أَنْ أَحْبُوَ لَحَبَوْتُ مَا اسْتَطَعْتُ. إِنِّي خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَحْوَ حَائِطِ بَنِي فُلاَنٍ، فَقَالَ لِي: «وَيْحَكَ بَعْدِي» فَبَكِيتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ

---

(١) استغلّ بعض الناس طبع أبي ذرٍّ وحدته وقسوته على بعض الصحابة والولاة فجعلوا من رأيه مذهباً في الاشتراكية، بل هاجموا عدداً من الصحابة الذين تكلم فيهم وعدّوهم بعيدين عن الإسلام وخاصةً لأنهم لم يدافعوا عن أنفسهم ولم يردوا على أبي ذرٍّ احتراماً لصحبته وتقديراً لمكانته.

اللّٰهِ، وَإِنِّي بَاقٍ بَعْدَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَإِذَا رَأَيْتَ البِنَاءَ عَلَى سَلْعٍ، فَالْحَقْ بِالمَغْرِبِ مِنْ أَرْضِ قُضَاعَةَ». وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَالَ لِي رَسُولُ اللّٰهِ، صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْمَعْ وَأَطِعْ لِمَنْ كَانَ عَلَيْكَ».

قَالَ عَبْدُاللّٰهِ بنُ سَيْدَانَ السُّلَمِيُّ: تَنَاجَى أَبُو ذَرٍّ وَعُثْمَانُ حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، ثُمَّ انْصَرَفَ أَبُو ذَرٍّ مُتَبَسِّماً، فَقَالُوا: مَا لَكَ وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: سَامِعٌ مُطِيعٌ، وَلَوْ أَمَرَنِي أَنْ آتِيَ صَنْعَاءَ أَوْ عَدَنَ، ثُمَّ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَفْعَلَ، لَفَعَلْتُ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الرَّبَذَةِ.

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: لَوْ أَمَرَنِي عُثْمَانُ أَنْ أَمْشِيَ عَلَى رَأْسِي لَمَشَيْتُ.

وَعِنْدَمَا بَدَأَتِ الفِتْنَةُ وَجَاءَ أَصْحَابُهَا إِلَى عُثْمَانَ كَانَ عِنْدَهُ أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، افْتَحِ البَابَ، لَا تَحْسَبْنِي مِنْ قَوْمٍ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ.

قَالَ عَبْدُاللّٰهِ بنُ الصَّامِتِ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي ذَرٍّ عَلَى عُثْمَانَ، فَلَمَّا دَخَلَ حَسَرَ عَنْ رَأْسِهِ وَقَالَ: وَاللّٰهِ مَا أَنَا مِنْهُمْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ـ يُرِيدُ أَصْحَابَ الفِتْنَةِ ـ قَالَ لَهُ عُثْمَانُ: صَدَقْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ لِتُجَاوِرَنَا بِالمَدِينَةِ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي

ذَلِكَ، ائِذَنْ لِي إِلَى الرَّبَذَةِ. قَالَ: نَعَمْ، وَنَأْمُرُ لَكَ بِنَعَمٍ مِنْ نَعَمِ الصَّدَقَةِ تَغْدُو عَلَيْكَ وَتَرُوحُ. قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، يَكْفِي أَبَا ذَرٍّ صُرَيْمَتُهُ(١). فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: دُونَكُمْ مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، دُنْيَاكُمْ فَاعْذِمُوهَا(٢)، وَدَعُونَا وَرَبَّنَا.

فِي الرَّبَذَةِ

انْطَلَقَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ وَكَانَ يُحِبُّ الوَحْدَةَ غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يَغْدُو وَيَرُوحُ إِلَى المَدِينَةِ بَيْنَ الحِينِ وَالآخَرِ خَوْفاً مِنَ الاسْتِقْرَارِ فِي البَادِيَةِ وَتَرْكِ المَدِينَةِ بَعْدَ الهِجْرَةِ، وَقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ. وَكَانَ يَغْزِلُ الصُّوفَ أَحْيَاناً فِي بَادِيَتِهِ. قَالَتْ أُمُّ طَلْقٍ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي ذَرٍّ فَرَأَيْتُهُ شَعِثاً شَاحِباً، بِيَدِهِ صُوفٌ، قَدْ جُعِلَ بَيْنَ عُودَيْنِ، وَهُوَ يَغْزِلُ بِهِمَا، فَلَمْ أَرَ فِي بَيْتِهِ شَيْئاً، فَنَاوَلْتُهُ شَيْئاً مِنْ دَقِيقٍ وَسَوِيقٍ، فَقَالَ لِي: أَمَّا ثَوَابُكِ فَعَلَى اللَّهِ.

عَنْ شَيْخَيْنِ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ، قَالَا: نَزَلْنَا الرَّبَذَةَ، فَمَرَّ بِنَا شَيْخٌ أَشْعَثُ، أَبْيَضُ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، فَقَالُوا: هَذَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَاسْتَأْذَنَّاهُ أَنْ نَغْسِلَ رَأْسَهُ،

---

(١) الصريمة: تصغير الصِّرمة: وهو القطيع من الإبل والغنم أي يكفيه ما عنده من قليل من الإبل والغنم.

(٢) العذم: الأكل بشراهة.

فَأَذِنَ لَنَا، وَاسْتَأْنَسَ بِنَا. فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ أَتَانَا نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ - حَسِبْتُهُ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ - فَقَالُوا: يَا أَبَا ذَرٍّ، فَعَلَ بِكَ هَذَا الرَّجُلُ وَفَعَلَ فَهَلْ أَنْتَ نَاصِبٌ لَكَ رَايَةً فَنُكَلِّمُكَ بِرِجَالٍ مَا شِئْتَ؟ فَقَالَ: يَا أَهْلَ الإِسْلَامِ، لَا تَعْرِضُوا عَلَيَّ ذَاكُمْ وَلَا تُذِلُّوا السُّلْطَانَ، فَإِنَّهُ مَنْ أَذَلَّ السُّلْطَانَ، فَلَا تَوْبَةَ لَهُ، وَاللَّهِ لَوْ صَلَبَنِي عَلَى أَطْولِ خَشَبَةٍ أَوْ حَبْلٍ، لَسَمِعْتُ وَصَبَرْتُ وَرَأَيْتُ أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لِي(١).

قَالَ المَعْرُورُ بنُ سُوَيْدٍ: نَزَلْنَا الرَّبَذَةَ، فَإِذَا بِرَجُلٍ عَلَيْهِ بُرْدٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: لَوْ عَمِلْتَهُمَا حُلَّةً لَكَ، وَاشْتَرَيْتَ لِغُلَامِكَ غَيْرَهُ، فَقَالَ: سَأُحَدِّثُكُمْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبٍ لِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَنِلْتُ مِنْهَا، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَابَبْتَ فُلَاناً»؟ قُلْتُ: نَعَمْ: قَالَ: «ذَكَرْتَ أُمَّهُ»؟ قُلْتُ: مَنْ سَابَّ الرِّجَالَ ذُكِرَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ. فَقَالَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٦٥/٥.
ويبدو أن القادمين من العراق هم من أهل الفتنة، وقد أرادوا أن يستغلّوا أبا ذرّ وظنّوا أنه ناقم على عثمان، لإرساله إلى الربذة، فوجدوا أن إيمانه فوق الأمور الشخصية بكثير.

مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[1].

وَعَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعِنْدَهُ امْرَأَةٌ لَهُ سَوْدَاءُ مُشَعَّثَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا أَثَرُ المَسَاجِدِ وَالخَلُوقِ. فَقَالَ: أَلَا تَنْظُرُونَ مَا تَأْمُرُنِي بِهِ؟ تَأْمُرُنِي أَنْ آتِيَ العِرَاقَ، فَإِذَا أَتَيْتُهَا مَالُوا عَلَيَّ بِدُنْيَاهُمْ، وَإِنَّ خَلِيلِي عَهِدَ إِلَيَّ: «إِنَّ دُونَ جِسْرِ جَهَنَّمَ طَرِيقاً ذَا دَحْضٍ وَمَذَلَّةٍ». وَإِنَّا أَنْ نَأْتِيَ عَلَيْهِ وَفِي أَحْمَالِنَا اقْتِدَارٌ أَحْرَى أَنْ نَنْجُوَ مِنْ أَنْ نَأْتِيَ وَنَحْنُ مَوَاقِيرُ.

وَفَاةُ أَبِي ذَرٍّ

تُوُفِّيَ أَبُو ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ عَامَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ. عَنْ إِبْرَاهِيمَ بنِ الأَشْتَرِ، أَنَّ أَبَا ذَرٍّ حَضَرَهُ المَوْتُ بِالرَّبَذَةِ، فَبَكَتِ امْرَأَتُهُ، فَقَالَ: وَمَا يُبْكِيكِ؟ قَالَتْ: أَبْكِي أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَغْيِيبِكَ. وَلَيْسَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسَعُكَ كَفَناً.

قَالَ: لَا تَبْكِي، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ يَوْمٍ، وَأَنَا عِنْدَهُ فِي نَفَرٍ، يَقُولُ: «لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ تَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ». فَكُلُّ مَنْ كَانَ مَعِي

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وأحمد.

فِي المَجْلِسِ مَاتَ فِي جَمَاعَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ، فَلَمْ يَبْقَ غَيْرِي، وَقَدْ أَصْبَحْتُ بِالفَلَاةِ أَمُوتُ، فَرَاقِبِي الطَّرِيقَ، فَإِنَّكِ سَوْفَ تَرِينَ مَا أَقُولُ، مَا كَذَبْتُ وَمَا كُذِبْتُ. قَالَتْ: وَأَنَّى ذَلِكَ وَقَدِ انْقَطَعَ الحَاجُّ؟.

قَالَ: رَاقِبِي الطَّرِيقَ فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ، إِذْ هِيَ بِالقَوْمِ تَخُبُّ[1] بِهِمْ رَوَاحِلُهُمْ كَأَنَّهُمُ الرَّخَمُ[2]، فَأَقْبَلُوا حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهَا. قَالُوا: مَا لَكِ؟ قَالَتْ: رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ تُكَفِّنُونَهُ، وَتُؤْجَرُونَ فِيهِ. قَالُوا: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَتْ: أَبُو ذَرٍّ. فَفَدُوهُ بِآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَوَضَعُوا سِيَاطَهُمْ فِي نُحُورِهَا[3] يَبْتَدِرُونَهُ.

فَقَالَ: أَبْشِرُوا، أَنْتُمُ النَّفَرُ الَّذِينَ قَالَ فِيكُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا قَالَ. سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَا مِنِ امْرَأَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ هَلَكَ بَيْنَهُمَا وَلَدَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ فَاحْتَسَبَا وَصَبَرَا، فَيَرَيَانِ النَّارَ أَبَداً».

ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ أَصْبَحْتُ اليَوْمَ حَيْثُ تَرَوْنَ، وَلَوْ أَنَّ ثَوْباً مِنْ ثِيَابِي يَسَعُنِي لَمْ أُكَفَّنْ إِلَّا فِيهِ. أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ: أَلَّا يُكَفِّنَنِي رَجُلٌ

---

(١) تخب: تسرع.

(٢) الرخم: نوع من الطير.

(٣) نحورها: نحور رواحلهم، أي ضربوها بسياطهم لتزداد سرعة

مِنْكُمْ كَانَ أَمِيراً أَوْ عَرِيفاً أَوْ بَرِيداً. فَكُلُّ القَوْمِ كَانَ نَالَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً إِلاَّ فَتَىً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: أَنَا صَاحِبُكَ، ثَوْبَانِ فِي عَيْبَتِي مِنْ غَزْلِ أُمِّي، وَأَحَدُ ثَوْبَيَّ هَذَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَيَّ.

وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَمَّا نَفَى عُثْمَانُ أَبَا ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ، وَأَصَابَهُ بِهَا قَدَرُهُ، لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلاَّ امْرَأَتُهُ وَغُلاَمُهُ، فَأَوْصَاهُمَا: أَنِ اغْسِلاَنِي وَكَفِّنَانِي وَضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بِكُمْ قُولُوا: هَذَا أَبُو ذَرٍّ، فَأَعِينُونَا عَلَيْهِ.

فَوَضَعَاهُ، وَأَقْبَلَ ابنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنَ العِرَاقِ عُمَّاراً، فَلَمْ يَرُعْهُمْ إِلاَّ بِهِ، قَدْ كَادَتِ الإِبِلُ أَنْ تَطَأَهُ. فَقَامَ الغُلاَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَاسْتَهَلَّ عَبْدُاللَّهِ يَبْكِي، وَيَقُولُ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَمْشِي وَحْدَكَ، وَتَمُوتُ وَحْدَكَ، وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ». ثُمَّ نَزَلُوا فَوَارُوهُ(١)، ثُمَّ حَدَّثَهُمْ عَبْدُاللَّهِ حَدِيثَهُ، وَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي مَسِيرِهِ وَحْدَهُ إِلَى تَبُوكَ.

---

(١) زعم بعضهم: أن أبا ذرٍّ توفيّ بالشّام، وهناك ضريح في مكانٍ يُدْعَى «طرنجة» بين دمشق والقنيطرة يزعمون أنه لأبي ذرٍّ، وآخر في وادي «سعار» قرب قرية «مسعدة» إلى الشرق من «بانياس» التي على الحدود بين سوريا وفلسطين يزعمون أيضاً أنه ضريح أبي ذرٍّ.

وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَكْرَهُ الإِمَارَةَ بَعْدَ أَنْ نَهَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْهَا، حَتَّى صَارَ يَكْرَهُ كُلَّ مَنْ يَتَأَمَّرُ، وَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، فَعَنِ ابنِ بُرَيْدَةَ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ أَبُو مُوسَى لَقِيَ أَبَا ذَرٍّ، فَجَعَلَ أَبُو مُوسَى يُكْرِمُهُ ـ وَكَانَ أَبُو مُوسَى قَصِيراً خَفِيفَ اللَّحْمِ . وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ أَسْوَدَ كَثَّ الشَّعْرِ ـ فَيَقُولُ أَبُو ذَرٍّ: إِلَيْكَ عَنِّي، وَيَقُولُ أَبُو مُوسَى: مَرْحَبَاً بِأَخِي، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِأَخِيكَ، إِنَّمَا كُنْتُ أَخَاكَ قَبْلَ أَنْ تَلِيَ.

وَكَانَ زَاهِداً فِي المَالِ وَيَشْتَدُّ عَلَى أَهْلِهِ. وَكَانَ عَطَاؤُهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، فَكَانَ إِذَا أَخَذَهُ أَخَذَ خَادِمُهُ، فَسَأَلَهُ عَمَّا يَكْفِيهِ لِلسَّنَةِ، فَاشْتَرَاهُ وَأَنْفَقَ مَا سِوَى ذَلِكَ.

وَيَشْتَدُّ أَبُو ذَرٍّ وَبِحِدَّةٍ، وَيَسْكُتُ لَهُ الآخَرُونَ احْتِرَاماً لَهُ وَتَقْدِيراً.

وَقَدْ رَوَى عَنْهُ: أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، وَعَبْدُاللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ، وَعَبْدُاللَّهِ بنُ عُمَرَ، وَأَبُو مُسْلِمٍ الخَوْلَانِيُّ، وَأَبُو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ، وَأَبُو إِدْرِيسَ الخَوْلَانِيُّ، وَالأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ، وَسَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وَعَطَاءُ بنُ يَسَارٍ، وَمُوسَى بنُ طَلْحَةَ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بـنُ أَبِي لَيْلَى وَغَيْرُهُمْ.

عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ

رضي الله عَنهُ

عَبدُ اللهِ بن مَسعُود

وُلِدَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ عَامَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِاثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَعَاشَ بَعْدَهُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً، إِذْ تُوُفِّيَ عَامَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ فِي مَطْلَعِ العَامِ الثَّالِثِ وَالثَّلَاثِينَ، وَعَاشَ مِثْلَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلَاثاً وَسِتِّينَ سَنَةً.

أَبُوهُ مَسْعُودُ بنُ غَافِلِ بنِ حَبِيبٍ مِنْ هُذَيْلٍ الَّتِي كَانَتْ دِيَارُهَا عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّمَالِ وَالشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ مِنْهَا. وَأُمُّهُ مِنَ القَبِيلَةِ نَفْسِهَا، وَهِيَ أُمُّ عَبْدٍ بِنْتُ عَبْدِ وُدٍّ، فَهُوَ هُذَلِيُّ النَّسَبِ أُمّاً وَأَباً . وَجَدَّتُهُ لِأُمِّهِ هِيَ هِنْدُ بِنْتُ عَبْدِ الحَارِثِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلَابٍ، وَلِهَذِهِ الصِّلَةِ مَعَ بَنِي زُهْرَةَ القَبِيلَةِ القُرَشِيَّةِ المَعْرُوفَةِ فَقَدْ حَالَفَ أَبُوهُ مَسْعُودُ بنُ غَافِلٍ بَنِي زُهْرَةَ. وَقَبِيلَةُ بَنِي زُهْرَةَ إِحْدَى بُطُونِ قُرَيْشٍ البَارِزَةِ وَمِنْهَا أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، آمِنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ. وَمِنْهَا سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

تُوُفِّيَ مَسْعُودٌ وَلَمْ يُدْرِكِ الإِسْلاَمَ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ صَغِيراً فَرَعَى الغَنَمَ لِرِجَالِ قُرَيْشٍ بِالأُجْرَةِ.

أَمَّا أُمُّهُ أُمُّ عَبْدٍ فَقَدْ أَسْلَمَتْ، وَهَـاجَرَتْ، وَرَوَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدِيثَ صَلاَةِ الوِتْرِ. وَفَرَضَ لَهَا عُمَرُ عَطَاءً، فِي جُمْلَةِ النِّسَاءِ المُهَاجِرَاتِ.

أَمَّا إِخْوَتُهُ فَقَدِ اشْتَهَرَ مِنْهُمْ عُتْبَةُ بنُ مَسْعُودٍ، شَقِيقُ عَبْدِ اللَّهِ، وَكَانَ مِنَ المُسْلِمِينَ الأَوَائِلِ، وَقَدْ هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ مَعَ أَخِيهِ، وَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ بَعْدَ بَدْرٍ، وَشَهِدَ أُحُداً وَمَا بَعْدَهَا، وَتُوُفِّيَ فِي خِلاَفَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ.

وَتَزَوَّجَ عَبْدُ اللَّهِ زَيْنَبَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مُعَاوِيَةَ الثَّقَفِيَّةَ، وَرَوَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدِيثَ خُرُوجِ المَرْأَةِ إِلَى المَسْجِدِ، وَحَدِيثَ الصَّدَقَةِ عَلَى الزَّوْجِ وَالأَقَارِبِ، وَلَهُ غَيْرُهَا مِنَ النِّسَاءِ وَلَكِنْ لَمْ يَشْتَهِـرْنَ، وَأَنْجَبْنَ لَهُ. وَمِنْ أَشْهَرِ أَبْنَائِهِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَكْبَرُ أَوْلاَدِهِ، وَبِهِ يُكَنَّى، وَأُمُّهُ «زَيْنَبُ». وَلَهُ عَدَدٌ مِنَ الأَحَادِيثِ، إِذْ رَوَى عَنْ أَبِيهِ، وَعَنْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالأَشْعَثِ بنِ قَيْسٍ، وَغَيْرِهِمْ، وَلِعَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنَ

الأَوْلَادِ: القَاسِمُ وَمَعْنٌ، وَقَدْ رَوَيَا الحَدِيثَ.

وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَاسْمُهُ عَامِرٌ، وَرَوَى عَنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، وَعَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ.

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نَحِيفاً، قَصِيراً، شَدِيدَ الأُدْمَةِ، وَكَانَ لَا يُغَيِّرُ شَيْبَهُ. وَيُعَدُّ فِي أَذْكِيَاءِ العُلَمَاءِ.

عَنْ زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكاً مِنَ الأَرَاكِ ـ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ ـ فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ القَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»[1].

إِسْلَامُ عَبْدِ اللَّهِ

أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ فِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَارَ الأَرْقَمِ بنِ أَبِي الأَرْقَمِ.

قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَادِسَ سِتَّةٍ وَمَا عَلَى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٩٩١.

ظَهْرِ الأَرْضِ مُسْلِمٌ غَيْرُنَا. غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَعْرِفَ كُلّ مَنْ أَسْلَم، وَكَذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ غَيْرَهُ، فَلَمْ يَكُنِ المَرْءُ عِنْدَمَا يُسْلِمُ يَتَعَرَّفُ عَلَى كُلِّ مَنْ أَسْلَمَ، حَيْثُ كَانَتِ الدَّعْوَةُ سِرِّيَّةً، وَمَنْ يُسْلِمْ يَعْرِفُ مَنْ يَلْتَقِي بِهِمْ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ لاَ يُوجَدُ مُسْلِمُونَ غَيْرَهُمْ، وَلِهَذَا وَرَدَتْ عِبَارَاتٌ لِعَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِثْلَ هَذَا القَوْلِ، عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ يَقُولُ، وَأَبُو ذَرٍّ يَقُولُ، و. . . عَدَدٌ يَقُولُ: كُنْتُ الرَّابِعَ، وَالثَّالِثَ، والسَّادِسَ، وَهَذَا شَأْنُ العَمَلِ السِّرِّيِّ.

التَّعَرُّفُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ زَيْدِ بنِ وَهَبٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ عَلِمْتُهُ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدِمْتُ مَكَّةَ مَعَ عُمُومَةٍ لِي، أَوْ أُنَاسٍ مِنْ قَوْمِي، نَبْتَاعُ مِنْهَا مَتَاعاً، وَكَانَ فِي بُغْيَتِنَا شِرَاءُ عِطْرٍ، فَأَرْشَدُونَا عَلَى العَبَّاسِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ، وَهُوَ جَالِسٌ إِلَى زَمْزَمَ، فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ بَابِ الصَّفَا، أَبْيَضُ تَعْلُوهُ حُمْرَةٌ، لَهُ وَفْرَةٌ[1] إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ، أَشَمُّ، أَقْنَى، أَذْلَفُ[2]، أَدْعَجُ[3] العَيْنَيْنِ، بَرَّاقُ الثَّنَايَا،

---

(١) وفرة: شعر كثيف.

(٢) صفة في الأنف: يكون قصيراً مع انبطاح.

(٣) أدعج: شديد سواد العين.

دَقِيقُ المَسْرُبَةِ[1]، شَثْنُ[2] الكَفَّيْنِ وَالقَدَمَيْنِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَبْيَضَانِ، كَأَنَّهُ القَمَرُ لَيْلَةَ البَدْرِ، يَمْشِي عَلَى يَمِينِهِ غُلَامٌ، حَسَنُ الوَجْهِ مُرَاهِقٌ أَوْ مُحْتَلِمٌ. تَقْفُوهُمْ امْرَأَةٌ قَدْ سَتَرَتْ مَحَاسِنَهَا ، حَتَّى قَصَدَ نَحو الحَجَرِ، فَاسْتَلَمَ، ثُمَّ اسْتَلَمَ الغُلَامُ، وَاسْتَلَمَتِ المَرْأَةُ. ثُمَّ طَافَ بِالبَيْتِ سَبْعاً، وَهُمَا يَطُوفَانِ مَعَهُ، ثُمَّ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَكَبَّرَ، وَقَامَ ثُمَّ رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ قَامَ. فَرَأَيْنَا شَيْئاً أَنْكَرْنَاهُ، لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُهُ بِمَكَّةَ، فَأَقْبَلْنَا عَلَى العَبَّاسِ فَقُلْنَا: يَا أَبَا الفَضْلِ ، إِنَّ هَذَا الدِّينَ حَدَثٌ فِيكُمْ، أَوْ أَمْرٌ لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُهُ؟ قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ مَا تَعْرِفُونَ هَذَا، هَذَا ابنُ أَخِي مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِاللَّهِ، وَالغُلَامُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالمَرْأَةُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَتُهُ، أَمَا وَاللَّهِ مَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ يَعْبُدُ اللَّهَ بِهَذَا الدِّينِ إِلَّا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ[3].

عَنْ ذَرِّ بنِ حُبَيْشٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ: كُنْتُ أَرْعَى غَنَماً لِعُقْبَةَ بنِ أَبِي-مُعِيطٍ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟» قُلْتُ:

---

(١) المسرُبة: ما دقّ من شعر الصدر.

(٢) شثن الكفين والقدمين: يميلان إلى القصر مع ضخامة.

(٣) لم يكن العباس بن عبد المطلب ليعرف كل من أسلم. إذ كان الذين يدخلون في الإسلام يسلمون سراً.

نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: «فهلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُعَلَيْهَا الفَحْلُ؟» فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ فَحَلَبَ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «اقْلُصْ» فَقَلَصَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا القَوْلِ، فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ»[1].

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَوَّلَ مَنْ جَهَرَ بِالقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ يَحْيَى بنِ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: اجْتَمَعَ يَوْماً أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ هَذَا القُرْآنَ يُجْهَرُ لَهَا بِهِ قَطُّ، فَمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمُوهُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ: أَنَا، قَالُوا: إِنَّا نَخْشَاهُمْ عَلَيْكَ، إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلاً لَهُ عَشِيرَةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنَ القَوْمِ إِنْ أَرَادُوهُ، قَالَ: دَعُونِي فَإِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِي، قَالَ: فَغَدَا ابْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى المَقَامَ فِي الضُّحَى وَقُرَيْشٌ فِي أَنْدِيَتِهَا، حَتَّى قَامَ عِنْدَ المَقَامِ ثُمَّ قَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - رَافِعاً بِهَا صَوْتَهُ - «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْآنَ»، قَالَ: ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا يَقْرَؤُهَا، قَالَ: فَتَأَمَّلُوهُ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَاذَا قَالَ ابنُ أُمِّ عَبْدٍ؟ قَالَ: ثُمَّ قَالُوا:

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/٤٦٥. وكان هذا الحديث بعد أن أسلم عبد الله وقد زاد إمعاناً في النظر إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ووصفه بناء على ذلك، إذ لا يمكن أن يصفه لأول مرة بهذه الصورة - والله أعلم - .

إِنَّهُ لَيَتْلُو بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، فَقَامُوا إِلَيْهِ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فِي وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَدْ أَثَّرُوا فِي وَجْهِهِ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا الَّذِي خَشِينَا عَلَيْكَ، فَقَالَ: مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْهُمُ الآنَ، وَلَئِنْ شِئْتُمْ لأُغَادِيَنَّهُمْ بِمِثْلِهَا غَداً، قَالُوا: لَا، حَسْبُكَ قَدْ أَسْمَعْتَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ[1].

وكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَاشْتَدَّ أَذَى قُرَيْشٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَطَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِإِسْلَامِ بَعْضِ طُغَاةِ الجَاهِلِيِّينَ لَعَلَّهُ يَرْتَفِعُ الظُّلْمُ عَنْ صَحَابَتِهِ، وَيَقُولُ ابنُ مَسْعُودٍ: «مَرَّ المَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ: صُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَعَمَّارٌ، وَخَبَّابٌ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ ضُعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ[2]، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَرَضِيتَ بِهَؤُلَاءِ مِنْ قَوْمِكَ؟ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا؟ اطْرُدْهُمْ عَنْكَ، فَلَعَلَّكَ إِنْ طَرَدْتَهُمْ أَنْ نَتَّبِعَكَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٣٦.

(٢) كان سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود مع هؤلاء الأربعة، وهم الستة نفر الذين نزلت فيهم.

عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ. وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾(1).

وَكَمَا تَعَرَّضَ ابْنُ مَسْعُودٍ لِلأَذَى البَدَنِيِّ تَعَرَّضَ كَذَلِكَ لِلأَذَى النَّفْسِيِّ، وَلْنَنْظُرْ إِلَى حَالَتِهِ النَّفْسِيَّةِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى رَسُولِهِ يَلْحَقُ بِهِ الأَذَى وَلَا يَسْتَطِيعُ عَمَلَ شَيْءٍ إِلَّا أَنَّ قَلْبَهُ يَكَادُ يَتَفَطَّرُ وَتَكَادُ تَخْرُجُ رُوحُهُ حُزْناً وَغَمّاً أَنْ لَا يَفْعَلَ شَيْئاً يَقُولُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ - وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالأَمْسِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا(2) جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذَهُ فَيَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى القَوْمِ(3) فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالنَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ،

---

(1) سورة الأنعام. الآيتان (52 - 53).

(2) سلا: جلدة فيها الولد من الناس والمواشي.

(3) هو عقبة بن أبي معيط.

فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَّةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتُمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَلَاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ ـ وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثاً، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثاً ـ ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضَّحِكُ وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ بنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيد بنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ) وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى القَلِيبِ، قَلِيبِ بَدْرٍ.

وَيُرْوى أَنَّهُ حَضَرَ لَيْلَةَ الجِنِّ، وَيُحَدِّثُ هُوَ بِذَلِكَ فَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَصْحَابِهِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْضِرَ أَمْرَ الجِنِّ اللَّيْلَةَ فَلْيَفْعَلْ). فَلَمْ يَحْضُرْ مِنْهُمْ أَحَدٌ غَيْرِي، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَعْلَى مَكَّةَ، خَطَّ لِي بِرِجْلِهِ خَطّاً، ثُمَّ أَمَرَنِي أَنْ أَجْلِسَ فِيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى قَامَ، فَافْتَتَحَ القُرْآنَ فَغَشِيَتْهُ أَسْوِدَةٌ كَثِيرَةٌ حَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، حَتَّى مَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ، ثُمَّ طَفِقُوا يَتَقَطَّعُونَ مِثْلَ قِطَعِ السَّحَابِ ذَاهِبِينَ، حَتَّى بَقِيَ مِنْهُمْ رَهْطٌ، فَفَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، مَعَ الفَجْرِ، فَانْطَلَقَ فَتَبَرَّزَ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَال: (مَا فَعَلَ الرَّهْطُ؟) فَقُلْتُ: هُمْ أُولَئِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُمْ عَظْمَاً وَرَوْثَاً زَاداً، ثُمَّ نَهَى أَنْ يَسْتَطِيبَ أَحَدٌ بِرَوْثٍ أَوْ عَظْمٍ[1].

كَمَا يُرْوَى أَنَّهُ شَهِدَ المَلاَئِكَةَ[2] يَوْمَاً حِينَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهَاجَرَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ إِلَى الحَبَشَةِ مَعَ جَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ أَيْ فِي المَجْمُوعَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي خَرَجَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ، وَهَاجَرَ مَعَهُ أَخُوهُ عُتْبَةُ بنُ مَسْعُودٍ، غَيْرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَدْ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ مَعَ مَنْ رَجَعَ، وَمِنْ مَكَّةَ هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ. أَمَّا أَخُوهُ عُتَبَةُ فَقَدْ بَقِيَ فِي الحَبَشَةِ وَمِنْهَا انْطَلَقَ إِلَى المَدِينَةِ فَوَصَلَ إِلَيْهَا بَعْدَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ فَلَمْ يَشْهَدْهَا.

وَفِي مَكَّةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ.

وَلَمَّا آخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي المَدِينَةِ

---

(١) ذكره ابن كثيرٍ في تفسيره، كما أورد ذلك الطبري.
(٢) روى ذلك الترمذي.

بَيْنَ المُسْلِمِينَ آخَى بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ وَبَيْنَ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، وَفِي رِوَايَةٍ بَيَنْ ابنِ مَسْعُودٍ وَسَعْدِ بنِ مُعَاذٍ، وَالأَوَّلُ هُوَ الأَرْجَحُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - .

فِي الجِهَادِ

شَهِدَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، المَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَبَدَاً.

وَقَدْ أَجْهَزَ عَلَى أَبِي جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَيَقُولُ: «فَأَتَيْتُ أَبَا جَهْلٍ وَبِهِ رَمَقٌ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ ؟) فَانْطَلَقْتُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاء حَتَّى بَرَدَ[1]، فَقُلْتُ: أَنْتَ أَبُو جَهْلٍ ؟ وَأَخَذْتُ بِلِحْيَتِهِ، وَهُوَ صَرِيعٌ وَقَدْ ضُـرِبَتْ رِجْلُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ أَخزَاكَ اللَّهُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، - قَالَ: وَلاَ أَهَابُهُ عِنْدَ ذَلِكَ - فَقَالَ: هَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ - أَوْ قَالَ: قَتَلَهُ قَوْمُهُ - فَلَوْ غَيْرَ أَكَّارٍ[2] قَتَلَنِي؟ قَالَ: فَضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي،

---

(١) برد: الأصل مات أي برد جرحه ومات، وجاءت هنا بمعنى مصيره الموت، إذ سبق وقال: وبه رمق.

(٢) أكّار: حراث وقد قتله ابنا عفراء من الأنصار، ومهنة أهل المدينة الزراعة في الأرض والحراثة فيها. وكانت قريش تحتقر أهل الصناعة والزراعة، ومثل ذلك أهل البادية يحتقرون أهل الصناعات، ويفخرون بأهل الحرب والتجارة.

وَسَيْفُهُ فِي يَدِهِ، فَلَمْ يُغْنِ شَيْئاً، فَبَصَقَ إِلَى وَجْهِي، وَقَالَ: سَيْفُكَ كَهَامٍ[1]، خُذْ سَيْفِي فَاحْتَزْ بِهِ رَأْسِي مِنْ عُرُشِي[2]، فَأَجْهَزْتُ عَلَيْهِ، فَنَفَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَيْفَهُ لَمَّا أَجْهَزْتُ عَلَيْهِ، وَكَانَ قَدْ أُثْخِنَ، قَالَ: وَكَانَ عُتْبَةُ قَدْ أَشَارَ عَلَى أَبِي جَهْلٍ بِالانْصِرَافِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: قَدِ انْتَفَخَ سَحْرُهُ[3] مِنَ الخَوْفِ، فَقَالَ لَهُ عُتْبَةُ: سَيَعْلَمُ مُصْفَرٌّ اسْتِهِ أَيُّنَا انْتَفَخَ سَحْرَهُ.

وَفِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ كَانَ بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيْ كَانَ مَعَهُ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ إِلَى الأَعْدَاءِ، وَثَبَتَ مَعَهُ يَوْمَ تَفَرَّقَ عَنْهُ المُسْلِمُون لِمَا أَصَابَهُمْ..

وَثَبَتَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ أَيْضاً يَوْمَ حُنَيْنٍ مَعَ ثَمَانِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَرُبَّمَا لَا يَتَصَوَّرُ المَرْءُ هَذَا الرَّجُلَ، هَذَا المُسْلِمَ النَّحِيلَ الرَّقِيقَ يَثْبُتُ فِي مِثْلِ هَذَا المَوْقِفِ الَّذِي تَهَابُ الأَبْطَالُ الوُقُوفَ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ الإِسْلَامُ الَّذِي يَجْعَلُ النُّفُوسَ

---

(١) هام: الثعبان: منظره مخيف وجسمه لين، وسيف ابن مسعود يصفه أبو جهلٍ بأن منظره بسيف ولكن لا يفعل شيئاً

(٢) عُرُشِي: أصل عنقي. وفي أصل المعنى لحمتان مستطيلتان بجانب العنق، أو في أصلها.

(٣) السحْر: الرئة.

تَسْمُو بِأَصْحَابِهَا وَتَرْتَفِعُ عَنْ دُنْيَاهَا فَلَا تَخَافُ شَيْئاً وَلَا تُبَالِي بِأَمْرٍ.

وَتُوُفِّيَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

خِدْمَةُ عَبْدِ اللَّهِ لِرَسُولِ اللَّهِ

أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ صَغِيرٌ فَلَازَمَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَامَ عَلَى خِدْمَتِهِ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ وَلِيَسْتَفِيدَ مِمَّا يَنْزِلُ عَلَى قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِمَّا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ، وَمِمَّا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ. وَقَدْ أَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ أَنَّي شَاءَ فِي الأَوْقَاتِ المَسْمُوحِ فِيهَا بِالزِّيَارَةِ، وَرَوَى مُسْلِمُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الحِجَابُ، وَأَنْ تَسْتَمِعَ سَوَادِي[١] حَتَّى أَنْهَاكَ)[٢].

كَانَ يَخْدُمُهُ فِي بَيْتِهِ، وَيَقُولُ ابنُ مَسْعُودٍ: اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى حَصِيرٍ فَأَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَلَمَّا

---

(١) سوادي: شخصي.

(٢) رواه مسلم ٢١٦٩، وأحمد في مسنده ٣٦٨٤.

اسْتَيْقَظَ صِرْتُ أَمْسَحُ جَنْبَهُ، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا آذَنْتَنَا حَتَّى نَبْسُطَ لَكَ عَلَى الحَصِيرِ شَيْئاً؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا وَالدُّنْيَا؟ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا)(١).

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَسْتُرُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اغْتَسَلَ، وَيُوقِظُهُ إِذَا نَامَ، وَيَمْشِي مَعَهُ فِي الأَرْضِ وَحْشاً(٢).

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُلْبِسُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَعْلَيْهِ، ثُمَّ يَمْشِي أَمَامَهُ بِالعَصَا، حَتَّى إِذَا أَتَى مَجْلِسَهُ نَزَعَ نَعْلَيْهِ، فَأَدْخَلَهُمَا فِي ذِرَاعَيْهِ، وَأَعْطَاهُ العَصَا، فَإِذَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَقُومَ أَلْبَسَهُ نَعْلَيْهِ ثُمَّ مَشَى بِالعَصَا أَمَامَهُ، حَتَّى يَدْخُلَ الحُجْرَةَ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣).

وَكَانَ يُقَدِّمُ لَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِذَا ذَهَبَ إِلَى الخَلَاءِ، وَيَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَتَى النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الغَائِطَ،

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٣٧٠٩.
(٢) وحشاً: وحده.
طبقات ابن سعد: ١٥٣/٣.
(٣) طبقات ابن سعد ١٥٣/٣.

فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِثَلاثَةِ أَحْجَارٍ، فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ، وَالْتَمَسْتُ الثَّالِثَ فَلَمْ أَجِدْهُ، فَأَخَذْتُ رَوْثَةً فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَأَخَذَ الحَجَرَيْنِ وَأَلْقَى الرَّوْثَةَ، وَقَالَ: (إِنَّهَا رِكْسٌ)[1].

وَكَانَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَأْتُونَ إِلَى المَدِينَةِ يَظُنُّونَ أَوَّلَ الأَمْرِ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يَقُولُ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ: قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ اليَمَنِ، فَمَكَثْنَا حِيناً مَا نَرَى إِلَّا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَا نَرَى مِنْ دُخُولِهِ وَدُخُولِ أُمِّهِ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمْ يَكُنْ عَبْدُ اللَّهِ يَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَطْ، وَإِنَّمَا كَانَ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ القُرْآنَ وَأُمُورَ العِبَادَةِ، وَالحَلَالَ والحَرَامَ، وَالأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِيَ، إِذْ كَانَ يَسْأَلُهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَخْطُرُ لَهُ، فَيَسْأَلُ مَثَلاً فَيَقُولُ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا). قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ)، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

---

(١) رواه البخاري، والترمذي والنسائي.

فَسَكَتُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي[1].

وَيَسْأَلُ مَثَلاً عَنِ الظُّلْمِ فَيَقُولُ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الظُّلْمِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: (ذِرَاعٌ مِنَ الأَرْضِ يَنْتَقِصُهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ، فَلَيْسَتْ حَصَاةٌ مِنَ الأَرْضِ أَخَذَهَا إِلاَّ طُوِّقَهَا يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى قَعْرِ الأَرْضِ، وَلاَ يَعْلَمُ قَعْرَهَا إِلاَّ الَّذِي خَلَقَهَا)[2].

وَقَدْ طَلَبَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ، فَيَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي ذَلِكَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اقْرَأْ عَلَيَّ)، قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟، قَالَ: (إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)، قَالَ: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيداً ﴾، قَالَ لِي: (كُفَّ) أَوْ (أَمْسِكْ) فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرُفَانِ[3].

وَتَلَقَّى ابْنُ مَسْعُودٍ القُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُشَافَهَةً، وَلَمَّا كَانَتْ مُلاَزَمَتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ

---

(١) متفق عليه، كما رواه الترمذي والنسائي وأحمد.
(٢) رواه أحمد في مسنده ٣٧٦٧.
(٣) متفق عليه كما رواه أحمد في مسنده.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَوِيلَةً لِذَا فَقَدْ أَصْبَحَ لَدَيْهِ الشَّيْءُ الكَثِيرُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي أَخَذَهُ مُبَاشَرَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ قَالَ فِي هَذَا: وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِضْعاً وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ[1].

وَفَوْقَ كُلِّ هَذَا لَقَدْ حَضَرَ العَرْضَةَ الأَخِيرَةَ الَّتِي عَارَضَ فِيْهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالقُرْآنِ مَرَّتَيْنِ. فَعَنْ أَبِي ظِبْيَانَ قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ: أَيَّ القِرَاءَتَيْنِ تَقْرَأُ؟ قُلْتُ: القِرَاءَةَ الأُولَى، قِرَاءَةَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ، فَقَالَ: أَجَلْ، هِيَ الأَخِيرَةُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَعْرِضُ القُرْآنَ عَلَى جِبْرِيلَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَضَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، فَحَضَرَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ، فَعَلِمَ مَا نُسِخَ مِنْ ذَلِكَ وَمَا بُدِّلَ[2].

وَلَا شَكَّ فَإِنَّ مُلَازَمَةَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه النسائي.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْذِهِ القُرْآنَ مِنْهُ مُشَافَهَةً، وَمُتَابَعَتَهُ فِي الصَّلاَةِ، وَحَجِّهِ مَعَهُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ كُلُّ ذَلِكَ جَعَلَهُ عَالِماً بِأُمُورِ الدِّينِ، عَارِفاً بِالتَّفْسِيرِ، وَأَسْبَابِ النُّزُولِ، وَالنَّاسِخِ وَالمَنْسُوخِ، حَافِظاً لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مَعَ الخُلَفَاءِ

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ بِجَانِبِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ عَاصَرَهُمْ يَسِيرُ حَسْبَمَا يُوَجِّهُونَهُ وَحَيْثُ تَقْتَضِي المَصْلَحَةُ، وَقَدْ شَارَكَ فِي الفُتُوحَاتِ وَكَانَ مَعَ القَادَةِ يُعَلِّمُ وَيَنْصَحُ وَيَتَّجِهُ بِأَوَامِرِ أُولَئِكَ القَادَةِ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عِنْدَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ المُسْلِمِينَ بَعْثُ أُسَامَةَ الَّذِي كَانَ قَدْ جَهَّزَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى، فَقَلَّ حُمَاةُ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ.

وَجَاءَ إِلَى المَدِينَةِ وَفْدُ مَانِعِي الزَّكَاةِ يُفَاوِضُونَ الصِّدِّيقَ لإِعْفَائِهِمْ مِنْ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ، وَقَرَّرَ حَرْبَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لاَحَظُوا قِلَّةَ الحُمَاةِ فَطَمِعُوا فِي المَدِينَةِ، وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى قَبَائِلِهِمْ أَطْمَعُوهُمْ فِي حَرْبِ المُسْلِمِينَ وَمُدَاهَمَةِ المَدِينَةِ وَشَنِّ الغَارَاتِ عَلَيْهَا، غَيْرَ أَنَّ الصِّدِّيقَ قَدْ تَوَقَّعَ

هَذَا مُنْذُ أَنْ خَرَجُوا مِنْهَا فَأَخَذَ حِذْرَهُ وَاسْتِعْدَادَهُ فَجَعَلَ عَلَى أَنْقَابِهَا بَعْضَ الصَّحَابَةِ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ أَحَدَهُمْ، وَكَانَ مِنْهُمْ عَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، والزُّبَيْرُ.

وَجَاءَتِ الغَارَاتُ وَلَكِنَّهَا لَمْ تَظْفَرْ بِشَيْءٍ بَلْ رُدَّتْ خَاسِرَةً، وَعَادَ جَيْشُ أُسَامَةَ ظَافِرَاً، وَجَاءَتِ الصَّدَقَاتُ، وَجَهَّزَ الصِّدِّيقُ الجُيُوشَ لِقِتَالِ المُرْتَدِّينَ، فَانْتَصَرَ المُسْـلِمُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ مِنْ مَانِعِي الزَّكَاةِ، وَالمُرْتَدِّينَ، وَتَطَهَّرَتْ جَزِيرَةُ العَرَبِ.

وَبَعَثَ الصِّدِّيقُ الجُيُوشَ لِقِتَالِ الرُّومِ وَالفُرْسِ لِأَدَاءِ المُهِمَّةِ المُلْقَاةِ عَلَى عَاتِقِ المُسْلِمِينَ فِي مُحَارَبَةِ الظُّلْمِ، وَالطُّغَاةِ، وَالعَمَلِ عَلَى نَشْرِ الإِسْلَامِ، وَقَدِ انْخَرَطَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي الجُيُوشِ الَّتِي سَارَتْ إِلَى الشَّامِ. وَكَانَ فِي مَعْرَكَةِ اليَرْمُوكِ مَسْؤُولاً عَنِ الغَنَائِمِ.

وَانْتَصَرَ المُسْلِمُونَ ـ بِإِذْنِ اللَّهِ ـ وَانْطَلَقُوا إِلَى الشَّمَالِ، وَفَتَحُوا دِمَشْقَ، وَحِمْصَ. وَبَعْدَ دُخُولِ حِمْصَ أَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى الخَلِيفَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ فِي المَدِينَةِ خُمْسَ الغَنَائِمِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ مَعَ بِشَارَةِ الفَتْحِ وَخَبَرِ هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ فِي فِرَارِهِ وَانْسِحَابِهِ إِلَى الجَزِيرَةِ حَيْثُ وَصَلَ إِلَى (الرُّهَا) فَهُوَ يَظْهَرُ تَارَةً وَيَخْتَفِي أُخْرَى. وَوَصَلَ ابْنُ مَسْعُودٍ إِلَى المَدِينَةِ وَأَدَّى

مَا مَعَهُ مِنْ رَسَائِلِ القَائِدِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَأَخْمَاسِ الغَنَائِمِ، غَيْرَ أَنَّ الخَلِيفَةَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ رَدَّ ابْنَ مَسْعُودٍ إلى الشَّامِ.

وَصَلَ ابْنُ مَسْعُودٍ إلَى حِمْصَ وَأَخَذَ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ أَمْرُ الخَلِيفَةِ بِالتَّوَجُّهِ إلَى الكُوفَةِ لِيَكُونَ مُعَلِّماً وَمُسَاعِداً لِوَالِيهَا الجَدِيدِ عَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ الَّذِي تَولَّى أَمْرَهَا بَعْدَ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، فَامْتَثَلَ الأَمْرَ وَسَارَ إلى الكُوفَةِ، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ الخَلِيفَةُ كِتَابَهُ إلَى أَهْلِ الكُوفَةِ وَيَقُولُ فِيهِ: «إنِّي قَدْ بَعَثْتُ إلَيْكُمْ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ أَمِيراً، وَعَبْدَ اللَّهِ بنَ مَسْعُودٍ مُعَلِّماً وَوَزِيراً، وَإنَّهُمَا مِنَ النُّجَبَاءِ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ مَسْعُودٍ عَلَى بَيْتِ مَالِكُمْ، فَتَعَلَّمُوا مِنْهُمَا، وَاقْتَدُوا بِهِمَا، وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ عَلَى نَفْسِي».

وَأَخَذَ ابْنُ مَسْعُودٍ يُعَلِّمُ النَّاسَ فِي الكُوفَةِ، فَيُحَدِّثُ فِي الجَامِعِ كُلَّ يَوْمِ خَمِيسٍ حَيْثُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ المَلأُ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى يَوْمٍ وَاحِدٍ فِي الأُسْبُوعِ حَتَّى لاَ يَملَّ النَّاسُ. وَمَنْ يُرِيدُ مِنْهُمُ الزِّيَادَةَ يَذْهَبُ إلَى ابنِ مَسْعُودٍ حَيْثُ كَانَ يُعَلِّمُ مَنْ يُرِيدُ القُرْآنَ، وَيُفَقِّهُهُمْ حَتَّى كَانَ لَهُ تَلاَمِذَةٌ كِبَارُ مِنْهَا. إضَافَةً إلَى هَذَا

كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ لِحَلِّ مُشْكِلاَتِهِمْ فَيُجِيبُ فَتَعَلَّمَ النَّاسُ مِنْهُ حَتَّى صَارَ بِحَقٍّ إِمَامَ أَهْلِ الكُوفَةِ.

وَتَرَكَ عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ وِلاَيَةَ الكُوفَةِ وَتَوَلَّى أَمْرَهَا مِنْ بَعْدِهِ المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ، غَيْرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ مَسْعُودٍ قَدْ بَقِيَ فِيهَا أَمِينَ بَيْتِ المَالِ، وَالمُعَلِّمَ وَالمُرَبِّيَ.

وَتُوفِّيَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، وَتَوَلَّى أَمْرَ المُسْلِمِينَ بَعْدَهُ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، وَبَقِيَ المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ فِي الإِمْرَةِ كَمَا بَقِيَ ابنُ مَسْعُودٍ فِي مَكَانِهِ. وَبَعْدَ سَنَةٍ مِنْ خِلاَفَةِ عُثْمَانَ رَجَعَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ أَمِيراً عَلَى الكُوفَةِ بِنَاءً عَلَى وَصِيَّةِ الخَلِيفَةِ السَّابِقِ.

اخْتَلَفَ سَعْدُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ فَتَرَكَ سَعْدُ الإِمَارَةَ، وَتَوَلَّى وِلاَيَةَ الكُوفَةِ مَكَانَهُ الوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعِيطٍ فَبَقِيَ فِيهَا خَمْسَ سَنَوَاتٍ وَبَابُهُ لَمْ يُغْلَقْ، وَاسْتَمَرَّ ابنُ مَسْعُودٍ فِي عَمَلِهِ.

وَاخْتَلَفَ ابنُ مَسْعُودٍ مَعَ الوَلِيدِ الَّذِي تَرَكَ الوِلاَيَةَ وَجَاءَ إِلَى إِمْرَتِهَا سَعيدُ بنُ العَاصِ، غَيْرَ أَنَّ ابنَ مَسْعُودٍ قَدِ اسْتَمَرَّ فِيهَا.

ثُمَّ جَاءَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ أَمِيراً عَلَى الكُوفَةِ بَعْدَ سَعِيدِ بنِ العَاصِ، وَبَقِيَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي مَكَانِهِ. وَهَكَذَا عَاصَرَ ابنُ

مَسْعُودٍ سِتَّةَ وُلَاةٍ عَلَى الكُوفَةِ، وَهُمْ: عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ، وَالمُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَالوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ، وَسَعِيدُ بنُ العَاصِ، وَأَبُو مُوسَى الأَشْعِرِيُّ، وَكُلُّهُمْ قَدْ أَثْنَوْا عَلَيْهِ خَيْرَاً، وَكَانُوا عَلَى خَيْرِ مَا تَكُونُ الصُّحْبَةُ، وَإِذَا ذَكَرْنَا خِلَافَاً وَقَعَ فَهَذَا مِنْ طَبِيعَةِ البَشَرِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ مُتَلَازِمِيْنِ مُدَّةً لَيْسَتْ قَصِيرَةً مِنَ الزَّمَنِ، وَلَمْ يَكُنِ الخِلَافُ عَلَى اجْتِهَادٍ أَوْ رَأْيٍ أَوْ فِكْرٍ وَإِنَّمَا عَلَى كَلَامٍ عَادِيٍّ يَقَعُ بَيْنَ الإِخْوَةِ.

بَقِيَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ فِي الكُوفَةِ مُدَّةَ اثْنَتَيْ عَشرَةَ سَنَةً مُنْذُ أَنْ سَارَ إِلَيْهَا سَنَةَ عِشْرِينَ لِلْهِجْرَةِ مَعَ وِلَايَةِ عَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ عَلَيْهَا إِلَى أَنِ اسْتَدْعَاهُ الخَلِيفَةُ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانُ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ، فَسَارَ وَوَجَدَ فِي طَرِيقِهِ أَبَا ذَرٍ يَحْتَضِرُ فِي الرَّبَذَةِ، فَشَهِدَ مَوْتَهُ، وَدَفَنَهُ، ثُمَّ تَابَعَ السَّيْرَ إِلَى المَدِينَةِ، وَسَارَ مَعَ عُثْمَانَ إِلَى المَوْسِمِ. وَعِنْدَمَا رَجَعَ تُوفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي المَدِينَةِ فِي مَطْلَعِ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ وَالثَّلَاثِينَ. وَدُفِنَ بِالبَقِيعِ وَصَلَّى عَلَيْهِ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ.

وَيُقَالُ: إِنَّ ابنَ مَسْعُودٍ أَوْصَى الزُّبَيْرَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ.

عَنْ عَامِرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: أَوْصَى ابنُ مَسْعُودٍ وَكَتَبَ: إِنَّ وَصِيَّتِي إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ، وَإِلى ابْنِهِ

عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ، وَإِنَّهُمَا في حِلٍّ وَبِلٍّ مِمَّا قَضَيَا فِي تَرِكَتِي، وَإِنَّهُ لَا تُزَوَّجُ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِي إلَّا بِإِذْنِها.

وَلَمَّا مَرِضَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ عَادَهُ عُثْمَانُ، وَقَالَ: مَا تَشْتَكِي؟ قَالَ: ذُنُوبِي، قَالَ: فَمَا تَشْتَهِي؟ قَالَ: رَحْمَةُ رَبِّي، قَالَ: أَلَا آمُرُ لَكَ بِطَبِيبٍ؟ قَالَ: الطَّبِيبُ أَمْرَضَنِي، قَالَ: أَلَا آمُرُ لَكَ بِعَطَاءٍ؟ قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيْهِ.

دَخَلَ الزُّبَيْرُ عَلَى عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعْدَ وَفَاةِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَعْطِنِي عَطَاءَ عَبْدِ اللَّهِ، فَعِيَالُ عَبْدِ اللَّهِ أَحَقُّ بِهِ مِنْ بَيْتِ المَالِ. فَأَعْطَاهُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفاً.

وَسُئِلَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ عَنِ ابْنَةٍ، وَابْنَةِ ابْنٍ، وَأُخْتٍ، فَقَالَ: لِلابْنَةِ النِّصْفُ، وَللأُخْتِ النِّصْفُ، وَإِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ سَيُتَابِعُنِي. فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إذَنْ وَمَا أَنَا مِنَ المُهْتَدِينَ. أَقْضِي فِيْهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِابْنَةِ الابْنِ السُّدُسُ، تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ، وَمَا بَقِيَ فَلِلأُخْتِ. فَأَتَيْنَا أَبَا مُوسَى وَأَخْبَرْنَاهُ بِقَوْلِ ابنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: لَا تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحِبْرُ فِيْكُمْ[١].

---

(١) أخرجه الترمذي، وابن ماجه، والدارمي.

قَالَ عَلْقَمَةُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ: إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ يُمْلِي المَصَاحِفَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ. فَفَزِعَ عُمَرُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ انْظُرْ مَا تَقُولُ. وَغَضِبَ، فَقَالَ: مَا جِئْتُكَ إِلاَّ بِالحَقِّ. قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ. فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ أَحَداً أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّا سَمَرْنَا لَيْلَةً فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ وَفِي بَعْضِ مَا يَكُونُ مِنْ حَاجَةِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ خَرَجْنَا وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ، بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى المَسْجِدِ إِذَا رَجُلٌ يَقْرَأُ، فَقَامَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْتَمْتَ، فَغَمَزَنِي بِيَدِهِ: اسْكُتْ، قَالَ: فَقَرَأَ وَرَكَعَ وَسَجَدَ، وَجَلَسَ يَدْعُو وَيَسْتَغْفِرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سَلْ تُعْطَهْ)، ثُمَّ قَالَ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ رَطْباً كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْ قِرَاءَةَ ابنِ أُمِّ عَبْدٍ) فَعَلِمْتُ أَنَا وَصَاحِبِي أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَيْهِ لأُبَشِّرَهُ، فَقَالَ: سَبَقَكَ أَبُو بَكْرٍ، وَمَا سَابَقْتُهُ إِلَى خَيْرٍ إِلاَّ وَسَبَقَنِي[1].

أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ لِابْنِ مَسْعُودٍ أَرْبَعَةً وَسِتُّونَ حَدِيثاً، انْفَرَدَ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

البُخَارِيُّ بِوَاحِدٍ وَعِشْرِينَ حَدِيثاً مِنْهَا، وَمُسْلِمٌ بِخَمْسَةٍ وَثَلاَثِينَ حَدِيثاً. وَأَخْرَجَ بَقِيُّ بنُ مَخْلَدٍ لَهُ مَعَ المُكَرَّرِ أَرْبَعِينَ وَثَمَانَمِائَةِ حَدِيثٍ.

- ٦٠ -

عَبْدُ الرَّحمن بنُ عَوْف

رضي الله عنهُ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ

المَالُ بِيَدِ المُسْلِمِ ابْتِلاَءٌ، فَإِمَّا أَنْ يَنْجَحَ فِي الاخْتِيَارِ وَإِمَّا أَنْ يُخْفِقَ، فَمَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَتَصَدَّقَ وَأَنْفَقَ فِي سَبِيلَ اللَّهِ فَقَدْ فَازَ، وَمَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَادَّخَرَ وَجَمَعَ فَقَدْ خَسِرَ وَخَابَ. إِنَّهُ نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ بِيَدِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يَشْتَغِلُ وَيَرْبَحُ وَيَجِدُّ وَيَتْعَبُ لِيُعِينَ أَخَاهُ المُسْلِمَ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ، وَيُسَاعِدَ ذَا الحَاجَةِ، وَيَصِلَ رَحِمَهُ، وَيَعْمَلَ صَدَقَاتٍ جَارِيَةً، وَيَفْعَلَ الخَيْرَ وَيُنْفِقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

لَقَدْ كَانَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَجُلاً صَالِحاً، وَكَانَ تَاجِراً غَنِيّاً، وَقَدْ وَظَّفَ مَالَهُ لِعَمَلِ البِرِّ، وَمُسَاعَدَةِ المَسَاكِينِ وَتَقْدِيمِ العَوْنِ لِلْمُسْلِمِينَ كَافَّةً، وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَكَانَ أُنْمُوذَجاً طَيِّباً لِلْمُسْلِمِ الثَّرِيِّ الصَّالِحِ . قَدِمَتِ المَدِينَةَ سَبْعُمِائَةِ رَاحِلَةٍ لَهُ تَحْمِلُ البُرَّ وَالدَّقِيقَ وَالطَّعَامَ، فَلَمَّا دَخَلَتْ سُمِعَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ رَجَّةٌ، فَبَلَغَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:

«عَبْدُالرَّحْمَنِ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا حَبْواً»، فَلَمَّا بَلَغَهُ، قَالَ: يَا أُمَّهْ! إِنِّي أُشْهِدُكِ أَنَّهَا بِأَحْمَالِهَا وَأَحْلَاسِهَا[1] فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ أُنْمُوذَجٌ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ الأَغْنِيَاءِ المُنْفِقِينَ الصَّالِحِينَ العَامِلِينَ.

عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ

أَحَدُ سَادَاتِ بَنِي زُهْرَةَ بنِ كِلَابٍ. أَبُوهُ عَوْفُ بنُ عَبْدِ عَوْفِ بنِ عَبْدِ بنِ الحَارِثِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلَابٍ، وَأُمُّهُ الشِّفَاءُ بِنْتُ عَوْفِ بنِ عَبْدِ بنِ الحَارِثِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلَابٍ فَهِيَ بِنْتُ عَمِّ أَبِيهِ. وَبَنُو زُهْرَةَ أَحَدُ بُطُونِ قُرَيْشٍ البَارِزِينَ.

وَهُوَ أَحَدُ أَعْلَامِ قُرَيْشٍ المَعْرُوفِينَ فَضْلاً، وَكَرَماً، وَخُلُقاً، وَشَجَاعَةً، وَشَهَامَةً، وَتِجَارَةً، وَثَرَاءً.

وَهُوَ أَحَدُ السَّابِقِينَ إِلَى الإِسْلَامِ، أَسْلَمَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَارَ الأَرْقَمِ بنِ أَبِي الأَرْقَمِ.

وَهُوَ أَحَدُ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الحَبَشَةِ فِرَاراً بِدِينِهِمْ حَسْبَ

---

(١) الأحلاس: جمع حلس، وهو الغطاء الذي يوضع على ظهر البعير تحت القتب.

إِشَارَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَئِذٍ.

وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ.

وَهُوَ أَحَدُ رِجَالِ الشُّورَى السِّتَّةِ، أَيْ مِنَ الْمُرَشَّحِينَ لِلْخِلَافَةِ غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ سَحَبَ نَفْسَهُ مِنْهَا لِمَصْلَحَةِ الآخَرِينَ.

وَهُوَ أَحَدُ الْقَادَةِ.

وَهُوَ أَحَدُ الَّذِينَ شَهِدُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، مَا تَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةٍ، وَمَا غَابَ عَنْ مَشْهِدٍ.

وَهُوَ أَحَدُ الأَبْطَالِ الَّذِينَ يَثْبُتُونَ إِذَا اشْتَدَّ الْقِتَالُ وَحَمِيَ الْوَطِيسُ وَلَوْ تَفَرَّقَ الْجَمْعُ، وَطَاشَ صَوَابُ بَعْضِهِمْ.

كَانَ عَبْدُالرَّحْمَنِ رَجُلاً طَوِيلاً، حَسَنَ الْوَجْهِ، رَقِيقَ الْبَشَرَةِ، فِيهِ جَنَأٌ[1]، أَبْيَضَ مُشْرَباً بِالْحُمْرَةِ، لاَ يُغَيِّرُ رَأْسَهُ وَلاَ لِحْيَتَهُ.

وَعَنْ زَوْجِهِ سَهْلَةَ بِنْتِ عَاصِمٍ قَالَتْ: كَانَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ أَبْيَضَ، أَعْيَنَ، أَهْدَبَ الأَشْفَارِ، أَقْنَى، طَوِيلَ النَّابَيْنِ

---

(١) جنأ: انحناء.

الأَعْلَيَيْنِ، رُبَّما أَدْمَى نَابُهُ شَفَتَهُ، لَهُ جُمَّةٌ أَسْفَلَ مِنْ أُذُنَيْهِ، أَعْنَقَ، ضَخْمَ الكَتِفَيْنِ.

وَقَالَ ابنُ إِسْحَاقَ، كَانَ سَاقِطَ الثَّنِيَّتَيْنِ، أَهْتَمَ[1]، أَعْسَرَ، أَعْرَجَ. كَانَ أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ فَهُتِمَ، وَجُرِحَ عِشْرِينَ جِرَاحَةً، بَعْضُهَا فِي رِجْلِهِ، فَعَرِجَ.

أُسْرَةُ عَبْدِالرَّحْمَنِ

تَزَوَّجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عِدَّةَ نِسَاءٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ، وَكُلُّهُنَّ أَنْجَبْنَ لَهُ، كَمَا لَهُ أَوْلَادٌ مِنْ أُمَّهَاتِ أَوْلَادٍ.

تَزَوَّجَ قَبْلَ الإِسْلَامِ:

١ - أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ سَالِمَاً، وَيُعْرَفُ بِالأَكْبَرِ، وَتُوُفِّيَ قَبْلَ الإِسْلَامِ.

٢ - ابْنَةً لِشَيْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ أَيْ ابْنَةَ عَمِّ زَوْجِهِ أُمِّ كُلْثُومٍ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ فَتَاةً فِي الجَاهِلِيَّةِ تُسَمَّى «أُمَّ القَاسِمِ».

وَتَزَوَّجَ فِي الإِسْلَامِ:

٣ - أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعِيطِ بنِ أَبِي عَمْرِو بنِ

---

(١) أهتم: أسنانه الأمامية قد كسرت.

أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِشَمْسٍ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ مُحَمَّداً، وَإِبْرَاهِيمَ، وَحُمَيْدَاً، وَإِسْمَاعِيلَ، وَحُمَيْدَةً، وَأَمَةَ الرَّحْمَنِ الكُبْرَى.

٤ - سَهْلَةَ بِنْتَ عَاصِمٍ بنِ عَدِيٍّ الأَنْصَارِيَّةَ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ مَعْنَاً، وَعُمَرَ، وَزَيْدَاً، وَأَمَةَ الرَّحْمَنِ الصُّغْرَى.

٥ - بَحْرِيَّةَ بِنْتَ هَانِيءٍ بنِ قُبَيْصَةَ بنِ هَانِيءٍ الشَّيْبَانِيَّةَ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ عُرْوَةَ الأَكْبَرَ، وَقَدِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ فَتْحِ إِفْرِيقِيَّةَ.

٦ - سَهْلَةَ بِنْتَ سُهَيْلٍ بنِ عَمْرٍو، وَقَدْ كَانَتْ عِنْدَ أَبِي حُذَيْفَةَ بنِ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَهَاجَرَتْ مَعَ أَبِي حُذَيْفَةَ إِلى الحَبَشَةِ، وَاسْتُشْهِدَ أَبُو حُذَيْفَةَ فِي اليَمَامَةِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ، وَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ فَأَنْجَبَتْ لَهُ سَالِمَ الأَصْغَرِ وَقَدِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ فَتْحِ إِفْرِيقِيَّةَ.

٧ - أُمَّ حَكِيمٍ بِنْتَ قَارِظٍ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ أَبَا بَكْرٍ.

٨ - ابْنَةَ أَبِي الحِيسِ بنِ رَافِعٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ مِنَ الأَوْسِ مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَقَدِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ فَتْحِ إِفْرِيقِيَّةَ.

٩ - تَمَاضُرَ بِنْتَ الأَصْبَغِ بنِ عَمْرٍو بنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي كَلْبٍ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا أَوَّلُ كَلْبِيَّةٍ يَنْكِحُهَا قُرَيْشِيٌّ، إِذْ لَمْ تَكُنْ قُرَيْشٌ

مِنْ قَبْلُ تَتَزَوَّجُ مِنْ كَلْبٍ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ أَبَا سَلَمَةَ عَبْدَاللَّهِ.

١٠ - أَسْمَاءَ بِنْتَ سُلاَمَةَ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ بنِ دَارِمٍ مِنْ تَمِيمٍ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ عَبْدَالرَّحْمَنِ.

١١ - مَجْدَ بِنْتَ يَزِيدٍ بنِ سُلاَمَةَ الحِمْيَرِيَّةَ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ سُهَيْلاً.

١٢ - بَادِيَةَ بِنْتَ غَيْلاَنَ الثَّقَفِيَّةَ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ جُوَيْرِيَّةَ.

وَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ أُمَّهَاتِ الأَوْلاَدِ اللَّوَاتِي أَنْجَبْنَ لَهُ:

١٣ - أُمَّ حُرَيْثٍ، مِنْ سَبْيِ بَهْرَاءَ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ مُصْعَباً، وَآمِنَةَ، وَمَرْيَمَ.

١٤ - غَزَالَ بِنْتَ كِسْرَى: وَهِيَ مِنْ سَبْيِ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ يَوْمَ المَدَائِنِ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ عُثْمَانَ.

١٥ - زَيْنَبَ بِنْتَ الصَّبَاحِ: مِنْ سَبْيِ بَهْرَاءَ أَيْضاً، وَأَنْجَبَتْ لَهُ أُمَّ يَحْيَى.

١٦ - أُمَّ وَلَدٍ: وَأَنْجَبَتْ لَهُ يَحْيَى، وَبِلاَلاً، وَقَدْ مَاتَا صَغِيرَيْنِ.

١٧ - أُمَّ وَلَدٍ: وَأَنْجَبَتْ عُرْوَةَ، وَمَاتَ صَغِيراً.

فَتَزَوَّجَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَرْبَعَ نِسَاءٍ مِنْ قُرَيْشٍ، اثْنَتَيْنِ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، وَوَاحِدَةً مِنْ بَنِي

أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَوَاحِدَةً مِنْ بَنِي عَامِرٍ. وَثَلاَثاً مِنَ الأَنْصَارِ. وَوَاحِدَةً مِنْ ثَقِيفٍ. وَوَاحِدَةً مِنْ بَنِي شَيْبَانَ، وَأُخْرَى مِنْ بَنِي كَلْبٍ. وَوَاحِدَةً مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَوَاحِدَةً حِمْيَرِيَّةً.

وَأَنْجَبَتْ لَهُ خَمْسٌ مِنْ أُمَّهَاتِ الأَوْلاَدِ.

تَزَوَّجَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ زَوْجَةً، وَكَانَ عِنْدَهُ عِدَّةُ أُمَّهَاتِ أَوْلاَدٍ، أَنْجَبْنَ لَهُ عِشْرِينَ وَلَداً ذَكَراً، وَثَمَانِيَ إِنَاثٍ. وَقَدْ مَاتَ مِنَ الذُّكُورِ أَرْبَعَةٌ صِغَاراً، وَاسْتُشْهِدَ ثَلاَثَةٌ في فَتْحِ إِفْرِيقِيَّةَ.

الزَّوْجَةُ	ذُكُورٌ	إِنَاثٌ
١ ـ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُتْبَةَ	١ ـ سَالِمُ الأَكْبَرُ.	—
٢ ـ بِنْتُ شَيْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ.	—	١ ـ أُمُّ القَاسِمِ.
٣ ـ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ.	٢ ـ مُحَمَّدٌ.	٢ ـ حَمِيدَةُ.
	٣ ـ إِبْرَاهِيمَ.	٣ ـ أَمَةُ الرَّحْمَنِ الكُبْرَى.
	٤ ـ حُمَيْدٌ.	—
	٥ ـ إِسْمَاعِيلُ.	—
٤ ـ سَهْلَةُ بِنْتُ عَاصِمٍ بنِ عَدِيٍّ.	٦ ـ مَعْنٌ.	٤ ـ أَمَةُ الرَّحْمٰنِ الصُّغْرَى.

	٧ ـ عُمَرُ.	—
	٨ ـ زَيْدٌ.	—
٥ ـ بَحْرِيَّةُ بِنْتُ هَانِىءٍ.	٩ ـ عُرْوَةُ الأَكْبَرُ.	—
٦ ـ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ.	١٠ ـ سَالِمُ الأَصْغَرُ.	—
٧ ـ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ قَارِظٍ.	١١ ـ أَبُو بَكْرٍ.	—
٨ ـ ابْنَةُ أَبِي الحِيسِ.	١٢ ـ عَبْدُاللَّهِ.	—
٩ ـ تَمَاضُرُ بِنْتُ الأَصْبَغِ.	١٣ ـ أَبُو سَلَمَةَ «عَبْدُاللَّهِ».	—
١٠ ـ أَسْمَاءُ بِنْتُ سُلاَمَةَ.	١٤ ـ عَبْدُالرَّحْمَنِ.	—
١١ ـ مَجْدُ بِنْتُ يَزِيدٍ.	١٥ ـ سُهَيْلٌ.	—
١٢ ـ بَادِيَةُ بِنْتُ غَيْلاَنَ الثَّقَفِيَّةُ.	—	٥ ـ جُوَيْرِيَّةُ.
١٣ ـ أُمُّ حُرَيْثٍ «أُمُّ وَلَدٍ».	١٦ ـ مُصْعَبُ.	٦ ـ آمِنَةُ.
	—	٧ ـ مَرْيَمُ.
١٤ ـ غَزَالُ «أُمُّ وَلَدٍ».	١٧ ـ عُثْمَانُ.	—
١٥ ـ زَيْنَبُ «أُمُّ وَلَدٍ».	—	٨ ـ أُمُّ يَحْيَى.
١٦ ـ أُمُّ وَلَدٍ.	١٨ ـ يَحْيَى.	—
	١٩ ـ بِلاَلٌ.	—
١٧ ـ أُمُّ وَلَدٍ.	٢٠ ـ عُرْوَةُ.	—

فِي الجَاهِلِيَّةِ

وُلِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَعْدَ عَامِ الفِيلِ بِعَشْرِ سَنَواتٍ، وَسَمَّاهُ أَبُوهُ «عَبْدَ الكَعْبَةِ»، وَقِيلَ بَلْ «عَبْدَ عَمْرٍو»، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَشْرِ سِنِينَ. وَنَشَأَ وَتَرَعْرَعَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يُمَارِسُ مِهْنَةَ التِّجَارَةِ، مِهْنَةَ رِجَالاَتِ قُرَيْشٍ الرَّئِيسِيَّةِ، وَقَدْ أَفَادَ مِنْهَا.

تَزَوَّجَ عَبْدُ الرَّحْمنِ إِحْدَى فَتَيَاتِ قُرَيْشٍ، وَهِيَ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ سَيِّدِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَحْظَى بِبَنَاتِ السَّادَةِ إِلَّا سَيِّدَاً مِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَكَانَةِ عَبْدِالرَّحْمَنِ فِي قُرَيْشٍ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ وَلَدَهُ البِكْرَ سَالِمَاً، وَعَاشَ سَالِمُ مُدَّةً ثُمَّ تُوُفِّيَ. ثُمَّ تَزَوَّجَ بِنْتَ عَمِّ زَوْجِهِ، ابْنَةَ شَيْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ.

كَانَ عَبْدُالرَّحْمَنِ يَعِيشُ حَيَاةً رَتِيبَةً كَمَا يَعِيشُ سَادَةُ قُرَيْشٍ غَيْرَ أَنَّهُ مُلْتَفِتٌ إِلَى تَجارَتِهِ وَعَمَلِهِ، مُهْتَمٌّ فِي بَيْتِهِ وَأُسْرَتِهِ، لَا يَسْعَى وَرَاءَ الزَّعَامَةِ، وَلاَ يَرْغَبُ فِي صَدَارَةِ المَجَالِسِ، وَإِذَا التَقَى مَعَ أَصْدِقَائِهِ فَأَكْثَرُهُمْ مِنَ التُّجَّارِ وَأَصْحَابِ الأَعْمَالِ، وَمِنْ أَمْثَالِهِ الَّذِينَ لَا يَصْخَبُونَ، وَلاَ يَلْهُونَ، وَالَّذِينَ لاَ تَفْتِنُهُمُ المَرْأَةُ وَلاَ تُشْغِلُهُمُ الخَمْرَةُ.

وَبُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقُرَيْشٌ مُنْصَرِفَةٌ إِلَى لَهْوِهَا وَخَمْرِهَا، وَإِلَى المُبَاهَاةِ بِكَثْرَةِ المَالِ وَالوَلَدِ، وَالسَّعْيِ وَرَاءَ الزَّعَامَةِ، وَالحُصُولِ عَلَى الإِمَاءِ وَالجَوَارِي، وَالخَدَمِ وَالرَّقِيقِ، وَإِلَى إِضَاعَةِ الوَقْتِ مَعَ صَاحِبَاتِ الرَّايَاتِ. وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ وَالَّذِي يَتِمُّ فِي البُيُوتِ وَفِي الأَنْدِيَةِ مُنْفَرِدِينَ وَمُجْتَمِعِينَ لَكِنْ لَا تَنْسَى التِّجَارَةَ الَّتِي هِيَ مَوْرِدُ الرِّزْقِ وَمَوْرِدُ هَذَا كُلِّهِ.

وَكَانَ بَعْضُ الرِّجَالِ بَعِيدِينَ عَنْ هَذَا الصَّخَبِ وَعَنْ هَذَا الضَّجِيجِ القُرَيْشِيِّ حَيْثُ كَانَ يَلْتَقِي بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ يَسْمُرُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ عَنْ تِجَارَتِهِمْ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ كُلٌّ إِلَى دَارِهِ يَتَعَهَّدُ أَهْلَهُ وَيُدَبِّرُ شُؤُونَ بَيْتِهِ.

كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَجُلًا مَأْلُوفاً مِنْ أَقْرَانِهِ مَحْبُوباً بَيْنَ أَصْحَابِهِ مُنْذُ الجَاهِلِيَّةِ فَكَانُوا يَلْتَقُونَ عِنْدَهُ يَتَحَدَّثُونَ وَيَسْمُرُونَ، مِنْهُمْ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي شُؤُونِ التِّجَارَةِ إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِهَا مِثْلَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ الأُمَوِيِّ وَطَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِاللَّهِ التَّيْمِيِّ، وَمِنْهُمْ آخَرُونَ يَسْتَمِعُونَ إِلَى أَخْبَارِ قُرَيْشٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي يُعَدُّ مِنْ نَسَّابَتِهَا مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ الفِهْرِيِّ، وَعُثْمَانَ بنِ مُظْعُونٍ الجُمَحِيِّ. وَلِطِيبِ المَجْلِسِ كَانَ يَحْضُرُهُ بَعْضُ الشَّبَابِ

الصِّغَارِ أَمْثَالِ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ الزُّهْرِيِّ وَالزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ الأَسَدِيِّ. وَمَا دَامَ أَبُو بَكْرٍ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنْ مَكَّةَ فَكَثِيراً مَا كَانَتْ تَنْعَقِدُ مِثْلُ هَذِهِ الجَلَسَاتِ.

إِسْلَامُ عَبْدِالرَّحْمَنِ

بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَهُ الوَحْيُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ قَوْمَهُ فَبَدَأَ بِأَهْلِ بَيْتِهِ فَأَسْلَمَتْ زَوْجُهُ خَدِيجَةَ، وَأَسْلَمَ مَوْلَاهُ زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ، وَأَسْلَمَ ابنُ عَمِّهِ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ صَغِيراً. وَانْتَقَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَى خَارِجِ مَنْزِلِهِ فَحَدَّثَ صَاحِبَهُ وَصَدِيقَهُ أَبَا بَكْرٍ فَأَسْلَمَ.

وَمُنْذُ أَنْ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ شَعَرَ أَنَّ وَاجِبَهُ كَبِيرٌ فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ لِيُنْقِذَ مَنْ يُحِبُّ مِنَ النَّارِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَدْعُوَ لِمَا آمَنَ بِهِ حَتَّى تَنْتَشِرَ دَعْوَتُهُ وَتَضْمَحِلَّ أَمَامَهَا الجَاهِلِيَّةُ. وَفِي المَسَاءِ جَاءَ خِلَّانُهُ يَسْهَرُونَ عِنْدَهُ كَعَادَتِهِمْ، وَابْتَدَأَ أَبُو بَكْرٍ الحَدِيثَ وَلَكِنْ كَانَ غَيْرَ مَا أَلِفُوهُ فَلَمْ يَكُنْ لِلتِّجَارَةِ فِيهِ نَصِيبٌ، وَلَمْ يَكُنْ لِلأَنْسَابِ حَظٌّ، وَإِنَّمَا انْصَبَّ عَلَى أَصْنَامِ قُرَيْشٍ تِلْكَ الَّتِي يَصْنَعُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَجْعَلُونَ مِنْهَا آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا، كَيْفَ يَتَّفِقُ ذَلِكَ وَالعَقْلُ، حَجَرٌ مُلْقَى فِي الأَرْضِ يَبُولُ عَلَيْهِ الحَيَوَانُ المَارُّ عَلَيْهِ وَيَدُوسُهُ الإِنْسَانُ، يَنْحَتُهُ صَانِعُ الأَصْنَامِ فَإِذَا بِهِ إِلَهٌ يُعْبَدُ يُطْلَبُ مِنْهُ الخَيْرُ

وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْ تَقْدِيمِهِ لِنَفْسِهِ، وَيُرْجَى مِنْهُ رَفْعُ الضُّرِ وَهُوَ غَيْرُ قَادِرٍ عَنْ حِمَايَةِ نَفْسِهِ، وَيَتَسَاءَلُ أَبُو بَكْرٍ هَلْ هَذِهِ إِلَّا خُرَافَاتٍ يَقُومُ بِهَا قَوْمُنَا، وَسُخْفٌ مِنَّا نَحْنُ الَّذِينَ نُصَدِّقُ مِثْلَ هَذِهِ؟. وَيَسْأَلُهُ الحُضُورُ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِاللَّهِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ ، عَنْ هَذِهِ الأَفْكَارِ مِنْ أَيْنَ جَاءَتْهُ؟ وَمَنْ يَحْمِلُهَا اليَوْمَ؟ فَأَخْبَرَهُمُ الخَبَرَ، وَتَكَلَّمَ عَنْ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ، فَصَدَّقَ جَمِيعُهُمْ وَأَسْلَمُوا. وَأَخَذَتِ الدَّعْوَةُ تَنْتَشِرُ، وَكَانَ لِكُلٍّ دَوْرُهُ فِيهَا.

أَحَسَّتْ قُرَيْشٌ بِخَطَرِ الدَّعْوَةِ عَلَى مَصَالِحِهَا، وَشَعَرَتْ أَنَّهَا تَقِفُ فِي وَجْهِ أَهْوَائِهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَتَحُدُّ مِنْ جَبَرُوتِ طُغَاتِهَا، وَتَحُولُ دُونَ ظُلْمِهَا وَاسْتِبْدَادِهَا لِلْمُسْتَضْعَفِينَ وَالمَوَالِي، فَحَاوَلَتْ وَأْدَ الدَّعْوَةِ فِي مَهْدِهَا فَفَشِلَتْ فَلَجَأَتْ إِلَى الضَّغْطِ وَالعَذَابِ فِي مُحَاوَلَةٍ مِنْهَا لِرَدِّ مَنْ أَسْلَمَ إِلَى جَاهِلِيَّتِهَا فَعَجَزَتْ، وَاضْطَرَّ أَفْرَادٌ مِنَ المُسْلِمِينَ إِلَى الهِجْرَةِ إِلَى الحَبَشَةِ خَوْفاً مِنَ الفِتْنَةِ، وَكَانَ عَبْدُالرَّحْمَنِ مِنَ الَّذِينَ هَاجَرُوا.

الهِجْرَةُ إِلَى الحَبَشَةِ

لَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا يَحِلُّ بِأَصْحَابِهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالعَذَابِ وَمَا هُوَ فِيْهِ مِنَ الأَمْنِ لِمَكَانَتِهِ مِنْ رَبِّهِ ثُمَّ لِوُقُوفِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ بِجَانِبِهِ أَشَارَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِالهِجْرَةِ إِلَى الحَبَشَةِ فَخَرَجَ عَشْرَةٌ مِنْهُمْ، كَانَ عَبْدُالرَّحْمَنِ وَاحِدَاً مِنْهُمْ.

خَرَجَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ وَمَعَهُ زَوْجُهُ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ بنُ رَبِيعَةَ وَمَعَهُ زَوْجُهُ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ بنِ عَمْرٍو، وَأَبُو سَلَمَةَ عَبْدُاللَّهِ بنُ عَبْدُالأَسَدِ المَخْزُومِيُّ وَمَعَهُ زَوْجُهُ أُمُّ سَلَمَةَ هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَعَامِرُ بنُ رَبِيعَةَ وَمَعَهُ زَوْجُهُ لَيْلَى بِنْتُ أَبِي حَثْمَةَ، وَمُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ، وَسُهَيْلُ بنُ بَيْضَاءَ، وَأَبُو سَبْرَةَ بنُ أَبِي رُهْمٍ، وَعُثْمَانُ بنُ مَظْعُونٍ وَهُوَ الأَمِيرُ عَلَيْهِمْ جَمِيعَاً.

خَرَجَ عَبْدُالرَّحْمَنِ وَلَمْ تَخْرُجْ مَعَهُ زَوْجُهُ وَلَسْتُ أَدْرِي أَذَلِكَ عَلَى عَادَةِ التُّجَّارِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ يَكُونَ الوَاحِدُ مِنْهُمْ خَفِيفَاً مِنْ أَجْلِ الحَرَكَةِ خَفِيفَاً مِنْ أَجْلِ النَّفَقَةِ أَمْ لِأَنَّ آبَاءَ أَزْوَاجِهِ كَانُوا مِنْ رُؤُوسِ الكُفْرِ، غَيْرَ أَنَّ أَخَا زَوْجِهِ أَبَا حُذَيْفَةَ كَانَ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَكَانَتْ مَعَهُ زَوْجُهُ، وَأَبُوهَا سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو مِنْ زُعَمَاءِ الطُّغَاةِ؟.

وَقَدْ وَجَدَ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةُ صُعُوبَةً فِي الحَيَاةِ الجَدِيدَةِ وَرَغْمَ أَنَّهُ قَدْ جَاءَتْهُمْ أَعَدَادُ أُخْرَى مِنَ الصَّحَابَةِ حَتَّى وَصَلَ عَـدَدُهُمْ إِلَى اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ صَحَابِيَّاً وَخَفَّفُوا عَنْهُمْ شَيْئاً مِنْ قَسْوَةِ الحَيَاةِ غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَضَّلُوا العَوْدَةَ إِلَى مَكَّةَ شَوْقاً لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِلأَهْلِ فَرَجَعَ العَشْرَةُ الأَوَائِلُ الَّذِينَ خَرَجُوا بِإِمْرَةِ عُثْمَانَ بنِ مَظْعُونٍ وَلَمْ يَمْضِ عَلَى هِجْرَتِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَكَانَ مِنْهُمْ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، إِضَافَةً إِلَى مَنْ رَجَعَ مَعَهُمْ مِمَّنْ هَاجَرَ بَعْدَهُمْ.

أَقَامَ عَبْدُالرَّحْمَنِ فِي مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ مِنَ الحَبَشَةِ، وَكَانَ يُلَازِمُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا دَامَ فِي بَلَدِهِ، فَإِنْ خَرَجَ فِي تِجَارَةٍ كَانَتْ عَوْدَتُهُ سَرِيعَةً حَنِيناً وَشَوْقاً لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَمَا أَنْ يَعُودَ حَتَّى يَنْطَلِقَ إِلَيْهِ، وَهَذِهِ هِيَ مُهِمَّتُهُ الأُولَى مُجَرَّدَ وُصُولِهِ، وَيَضَعُ الكَثِيرَ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَاسْتَمَرَّ عَلَى هَذَا حَتَّى خَرَجَ مُهَاجِراً إِلَى المَدِينَةِ.

فِي المَدِينَةِ

هَاجَرَ عَبْدُالرَّحْمَنِ إِلَى المَدِينَةِ، وَلَمَّا آخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ المُسْلِمِينَ آخَى بَيْنَ عَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ وَبَيْنَ سَعْدِ بنِ الرَّبِيعِ ، وَكَانَ سَعْدُ فَرِحاً أَشَدَّ الفَرَحِ

بِقُدُومِ المُهَاجِرِينَ إِلَيْهِمْ وَذَلِكَ كَبَقِيَّةِ الأَنْصَارِ، فَأَرَادَ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ هَذَا الفَرَحِ، وَيُظْهِرَ الأُخُوَّةَ الصَّادِقَةَ، وَيُبَيِّنَ حَقَّ هَذِهِ الأُخُوَّةِ، وَحَقَّ الضَّيْفِ، وَحَقَّ الجَارِ، وَلَو اسْتَطَاعَ أَنْ يُضِيفَ المُهَاجِرِينَ جَمِيعاً مَا تَوَانَى، وَلَوْ تَمَكَّنَ أَنْ يَخْدِمَهُمْ كُلَّهُمْ مَا قَصَّرَ فِي خِدْمَتِهِمْ. فَقَالَ لِأَخِيهِ فِي اللَّهِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ مُعَبِّراً عَمَّا فِي نَفْسِهِ مِنَ البَهْجَةِ وَالسُّرُورِ: يَا أَخِي أَنَا أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالاً فَهَيَّا أُشَاطِرْكَهُ، وَعِنْدِي زَوْجَتَانِ فَانْظُرْ أَيُّهُمَا رَغِبْتَ أُطَلِّقْهَا وَتَتَزَوَّجَهَا إِذا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا. غَيْرَ أَنَّ الهِجْرَةَ لَمْ تَكُنْ مَادِّيَةً، وَالمُؤَاخَاةُ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَجْلِ الحُصُولِ عَلَى المُسَاعَدَةِ، وَحَيَاةِ فريقٍ عَالَةً عَلَى فَرِيقٍ آخَرَ - كَمَا يَحْلُو لِبَعْضِهِمْ أَنْ يُصَوِّرُوا ذَلِكَ - إِذْ كَانَ عَدَدٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ إِخْوَةً لِمُهَاجِرِينَ آخَرِينَ، كَحَمْزَةَ بنِ عَبْدِالمُطَّلِبِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، وَزَيْدِ بنِ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ إِذْ كَانَا أَخَوَيْنِ. فَأَجَابَ عَبْدُالرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَالِكَ وَأَهْلِكَ وَلَكِنْ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ فَإِنِّي رَجُلٌ تَاجِرٌ. إِنَّهُ جَوَابُ المُسْلِمِ، جَوَابُ الرَّجُلِ الَّذِي يُرِيدُ الجِدَّ وَالنَّشَاطَ، وَيُحِبُّ الكَدَّ والتَّعَبَ، جَوَابُ الإِنْسَانِ المُنْتِجِ المُثْمِرِ لِمُجْتَمَعِهِ النَّافِعِ لِأُمَّتِهِ.

دَلَّهُ عَلَى السُّوقِ، فَاشْتَرَى وَبَاعَ فَرَبحَ فَجَاءَ بِشَيْءٍ مِنْ

أَقِطٍ وَسَمْنٍ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ دَخَلَ السُّوقَ يَوْمَاً فَاشْتَرَى بَعِيراً وَبَاعَهُ وَرَبِحَ مِنْهُ العِقَالَ فَقَطُ، وَكَذَا بِالثَّانِي وَالثَّالِثِ فَمَا خَرَجَ مِنَ السُّوقِ إِلَّا وَمَعَهُ بَعِيرٌ مِنْ رِبْحِ العِقَالِ، وَالعِقَالُ دَلَالَةٌ عَلَى القَنَاعَةِ فِي الرِّبْحِ القَلِيلِ. ثُمَّ لَبِثَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَلْبَثَ فَجَاءَ وَعَلَيْهِ رَدْعٌ[1] مِنْ زَعْفَرَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْيَمْ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، قَالَ: فَمَا أَصْدَقْتَهَا؟ قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ. قَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ: فَلَقَدْ رَأَيْتَنِي وَلَوْ رَفَعْتُ حَجَراً رَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ تَحْتَهُ ذَهَبَاً أَوْ فِضَّةً. وقِيلَ: إِنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى ثَلاثِينَ أَلْفاً.

وَشَهِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ المَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حَضَرَ بَدْراً، وَكَانَ أَثْنَاءَ خُرُوجِهِ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بنُ الخَطَّابِ يَعْتَقِبُونَ بَعِيراً. وَفِي القِتَال أَبْلَى بَلَاءً حَسَنَاً فَقَدْ قَتَلَ يَوْمَهَا السَّائِبَ بنَ أَبِي رُفَاعَةَ المَخْزُومِيَّ، كَمَا يُقَالُ: إِنَّهُ قَتَلَ أَيْضَاً عُمَيْرَ بنَ عُثْمَانَ التَّيْمِيَّ.

وَيُحَدِّثُنَا عَنْ مَقْتَلِ أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ فَيَقُولُ:

---

(١) الردع: العنق، والزعفران، وأثر الطيب.

كَانَ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ صَدِيقاً لِي بِمَكَّةَ، وَكَانَ اسْمِي «عَبْدَ عَمْرٍو» فَتَسَمَّيْتُ حِينَ أَسْلَمْتُ «عَبْدَ الرَّحْمَنِ»، وَنَحْنُ بِمَكَّةَ، فَكَانَ يَلْقَانِي إِذْ نَحْنُ بِمَكَّةَ فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ عَمْرٍو، أَرَغِبْتَ عَنْ اسْمٍ سَمَّاكَهُ أَبَوَاكَ؟ فَأَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ، فَاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَيْئاً أَدْعُوكَ بِهِ، أَمَّا أَنتَ فَلَا تُجِيبُنِي بِاسْمِكَ الأَوَّلِ، وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَدْعُوكَ بِمَا لَا أَعْرِفُ! قَالَ: فَكَانَ إِذَا دَعَانِي: يَا عَبْدَ عَمْرٍو، لَمْ أُجِبْهُ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ اجْعَلْ مَا شِئْتَ، قَالَ: فَأَنْتَ عَبْدُ الإِلَهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ؛ قَالَ: فَكُنْتُ إِذَا مَرَرْتُ بِهِ قَالَ: يَا عَبْدَ الإِلَهِ، فَأُجِيبُهُ فَأَتَحَدَّثُ مَعَهُ. حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، مَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ وَاقِفٌ مَعَ ابْنِهِ، عَلِيِّ بنِ أُمَيَّةَ، آخِذٌ بِيَدِهِ، وَمَعِي أَدْرَاعٌ، قَدِ اسْتَلَبْتُهَا، فَأَنَا أَحْمِلُهَا. فَلَمَّا رَآنِي قَالَ لِي: يَا عَبْدَ عَمْرٍو فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الإِلَهِ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: هَلَ لَكَ فِيَّ، فَأَنَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذِهِ الأَدْرَاعِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. هَا اللَّهِ ذَا. قَالَ: فَطَرَحْتُ الأَدْرَاعَ مِنْ يَدِي، وَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَيَدِ ابْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ، أَمَا لَكُمْ حَاجَةٌ فِي اللَّبَنِ[1]؟ قَالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ أَمْشِي بِهِمَا.

---

(١) أما لكم حاجة في اللبن؟ أي أما لكم حاجة في الأسرى؟ فإن من يؤسر يفتدي نفسه بإبل كثيرة اللبن.

قَالَ لِي أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، وَأَنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ، آخِذٌ بِأَيْدِيهِمَا: يَا عَبْدَالإِلَهِ، مَنِ الرَّجُلُ المُعْلَمُ بِرِيشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: ذَاكَ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِالمُطَّلِبِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الأَفَاعِيلَ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَقُودُهُمَا إِذْ رَآهُ بِلاَلُ مَعِي ـ وَكَانَ هُوَ الَّذِي يُعَذِّبُ بِلاَلاً بِمَكَّةَ عَلَى تَرْكِ الإِسْلاَمِ، فَيُخْرِجُهُ إِلَى رَمْضَاءِ مَكَّةَ إِذَا حَمِيَتْ. فَيُضْجِعُهُ عَلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ العَظِيمَةِ فَتُوضَعُ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: لاَ تَزَالُ هَكَذَا أَوْ تُفَارِقَ دِينَ مُحَمَّدٍ، فَيَقُولُ بِلاَلُ: أَحَدٌ أَحَدٌ ـ قال: فَلَمَّا رَآهُ، قَالَ: رَأْسُ الكُفْرِ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، لاَ نَجَوْتُ إِنْ نَجَا. قَالَ: قُلْتُ: أَيْ بِلاَلُ أَبِأَسِيرَيَّ، قَالَ: لاَنَجَوْتُ إِنْ نَجَا. قَالَ: قُلْتُ: أَتَسْمَعُ يا ابْنَ السَّوْدَاءِ، قَالَ: لاَنَجَوْتُ إِنْ نَجَا. قَالَ: ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا أَنْصَارِ اللَّهِ، رَأْسُ الكُفْرِ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، لاَنَجَوْتُ إِنْ نَجَا. قَالَ: فَأَحَاطُوا بِنَا حَتَّى جَعَلُونَا فِي مِثْلِ المُسْكَةِ[1]، وَأَنَا أَذُبُّ عَنْهُ. قَالَ: فَأَخْلَفَ[2] رَجُلٌ السَّيْفَ، فَضَرَبَ رِجْلَ ابْنِهِ فَوَقَعَ، وَصَاحَ أُمَيَّةُ صَيْحَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ. قَالَ: قُلْتُ: انْجُ بِنَفْسِكَ وَلاَ نَجَاءَ بِكَ، فَوَاللَّهِ مَا أُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً. قَالَ: فَهَبَرُوهُما بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى فَرَغُوا

---

(١) في مثل المسكة: في مثل الحلقة.

(٢) أخلف السيف: سلّه من غمده.

مِنْهُمَا. قَالَ: فَكَانَ عَبْدُالرَّحْمَن يَقُولُ: يَرْحَمُ اللَّهُ بِلاَلاً، ذَهَبَتْ أَدْرَاعِي وَفَجَعَنِي بِأَسِيرَيَّ[1].

وَثَبَتَ يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ مَنْ ثَبَتَ، وَأُصِيبَ يَوْمَئِذٍ فُوهُ فَهُتِمَ[2]، وَجُرِحَ عِشْرِينَ جِرَاحَةً، أَوْ أَكْثَرَ، أَصَابَهُ بَعْضُهَا فِي رِجْلِهِ فَعَرِجَ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ قَتَلَ يَوْمَ أُحُدٍ كِلاَبَ بنَ طَلْحَةَ العَبْدَرِيَّ.

وَفِي غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ قَتَلَ عَبْدُالرَّحْمَنِ أَحَدَ فُرْسَانِهِمْ وَهُوَ أُحَيْمِرُ.

وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ عَلَى صُلْحِ غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَّةِ.

وَكَانَ لَهُ نَصِيبٌ فِي قِسْمَةِ خَيْبَرَ، وَكَذَلِكَ كَانَ لَهُ نَصِيبٌ فِي وَادِي القُرَى عِنْدَمَا أَخْرَجَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ اليَهُودَ مِنَ الحِجَازِ.

وَبَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السَّرَايَا تَدْعُو إِلى اللَّهِ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالقِتَالِ، وَكَانَ مِمَّنْ بَعَثَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ بِأَسْفَلِ تِهَامَةَ دَاعِياً، وَلَمْ يَبْعَثْهُ مُقَاتِلاً فَوَطِىءَ دِيَارَ بَنِي جُذَيْمَةَ، فَأَوْقَعَ خَالِدٌ فِيهِمْ نَتِيجَةَ خَطَأٍ حَدَثَ فَتَبَرَّأَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِمَّا تَمَّ عَلَى يَدِ

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) كسرت ثنيته.

خَالِدٍ، وَأَرْسَلَ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ فِي إِثْرِهِ، فَوَدَى لَهُمُ الدِّمَاءَ، وَمَا أُصِيبَ لَهُمْ مِنَ الأَمْوَالِ. وَكَانَ بَيْنَ عَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ وَخَالِدِ بنِ الوَلِيدِ كَلَامٌ فِي ذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَهْلاً يَا خَالِدُ، دَعْ عَنْكَ أَصْحَابِي، فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ لَكَ أُحُدٌ ذَهَباً ثُمَّ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا أَدْرَكْتَ غَدْوَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي وَلَا رَوْحَتَهُ.

وَعِنْدَمَا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى البَذْلِ، وَرَغَّبَ فِي الصَّدَقَةِ وَحَضَّ عَلَيْهَا لَمَّا أَرَادَ السَّيْرَ إِلَى تَبُوكَ لِغَزْوِ الرُّومِ، فَقَامَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ فَتَصَدَّقَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَقَامَ عَاصِمُ بنُ عَدِيٍّ الأَنْصَارِيُّ، فَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ وَسَقٍ مِنْ تَمْرٍ، فَلَمَزَهُمَا المُنَافِقُونَ وَقَالُوا: مَا هَذَا إِلَّا رِيَاءٌ، وَتَصَدَّقَ أَبُو عَقِيلٍ بِصَاعٍ مَنْ تَمْرٍ، وَهَذِهِ طَاقَتُهُ وَإِمْكَانَاتُهُ، فَعِنْدَمَا أَفْرَغَ صَاعَهُ فِي الصَّدَقَةِ تَضَاحَكُوا بِهِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ أَبِي عَقِيلٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة الآية ٧٩.

عَنْ عَمْرِو بنِ وَهَبٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ المُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ فَسُئِلَ: هَلْ أَمَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَزَادَهُ عِنْدِي تَصْدِيقاً الَّذِي قَرُبَ بِهِ الحَدِيثُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي سَفَرٍ، فَلَمَّا كُنَّا مِنَ السَّحَرِ ضَرَبَ عُنُقَ رَاحِلَتِي فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ حَاجَةً، فَعَدَلْتُ مَعَهُ فَانْطَلَقْنَا حَتَّى تَبَرَّزْنَا عَنِ النَّاسِ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ ثُمَّ انْطَلَقَ فَتَغَيَّبَ عَنِّي حَتَّى مَا أَرَاهُ، فَمَكَثَ طَوِيلاً ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: حَاجَتُكَ يَا مُغِيرَةُ؟ قُلْتُ: مَالِي حَاجَةٌ، قَالَ: فَهَلْ مَعَكَ مَاءٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقُمْتُ إِلَى قِرْبَةٍ ـ أَوْ قَالَ سَطِيحَةٍ ـ مُعَلَّقَةٍ فِي آخِرِ الرَّحْلِ فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ فَغَسَلَ يَدَيْهِ فَأَحْسَنَ غَسْلَهُمَا ـ قَالَ: وَأَشُكُّ دَلَكَهُمَا بِتُرَابٍ أَمْ لَا ـ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثُمَّ ذَهَبَ يَحْسِرُ عَنْ يَدَيْهِ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شَامِيَّةٌ ضَيِّقَةُ الكُمِّ فَضَاقَتْ، فَأَخْرَجَ يَدَيْهِ مِنْ تَحْتِهَا إِخْرَاجاً فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيهِ ـ قَالَ: فَيَجِيءُ فِي الحَدِيثِ غَسْلُ الوَجْهِ مَرَّتَيْنِ فَلَا أَدْرِي أَهَكَذَا كَانَ[1] ـ ثُمَّ مَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ وَمَسَحَ عَلَى العِمَامَةِ، وَمَسَحَ عَلَى الخُفَّيْنِ، ثُمَّ رَكِبْنَا فَأَدْرَكْنَا النَّاسَ، وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَتَقَدَّمَهُمْ

---

(١) أرى أن الوضوء كان بعد أن أخرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يديه من أكمام الجبة ولم يكن قد باشر الوضوء قبل، وإنما غسل لليدين والوجه للنظافة لا للوضوء.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وَقَدْ صَلَّى بِهِمْ رُكْعَةً وَهُمْ فِي الثَّانِيَةِ، فَذَهَبْتُ أُوذِنُهُ فَنَهَانِي، فَصَلَّيْنَا الرُّكْعَةَ الَّتِي أَدْرَكْنَا وَقَضَيْنا الَّتِي سَبَقَتْنَا. قَالَ ابنُ سَعْدٍ: فَذَكَرْتُ هَذَا الحَدِيثَ لِمُحَمَّدِ بنِ عُمَرَ فَقَالَ: كَانَ هَذَا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَكَانَ المُغِيرَةُ يَحْمِلُ وُضُـوءَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ صَلَّى خَلْفَ عَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ: «مَا قُبِضَ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يُصَلِّيَ خَلْفَ رَجُلٍ صَالِحٍ مِنْ أُمَّتِهِ».

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدَالرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ فِي سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ إِلَى بَنِي كَلْبٍ فِي دَوْمَةِ الجَنْدَلِ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ لِلْهِجْرَةِ. وَنَقَضَ عَمَامَتَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ عَمَّمَهُ بِعَمَامَةٍ سَوْدَاءَ فَأَرْخَى بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِنْهَا. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ دَعَاهُمْ لِلإِسْلَامِ مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَفِي اليَوْمِ الرَّابِعِ أَسْلَمَ رَئِيسُهُمْ الأَصْبَغُ بنُ عَمْرٍو الكَلْبِيُّ ـ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، ثُمَّ أَسْلَمَ أَكْثَرُ قَوْمِهِ، وَمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ قَبِلَ دَفْعَ الجِزْيَةِ. فَبَعَثَ عَبْدُالرَّحْمَنِ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ تَزَوَّجْ تَمَاضُرَ بِنْتَ الأَصْبَغِ، فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُالرَّحْمَنِ، وَبَنَى بِهَا، وَأَقْبَلَ بِهَا.

وَرَخَّصَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، لِعَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ فِي قَمِيصٍ مِنْ حَرِيرٍ فِي سَفَرٍ مِنْ حِكَّةٍ

كَانَ يَجِدُهَا بِجِلْدِهِ.

وَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ لِأُمِّ كُلْثُوم بِنْتِ عُقْبَةَ، امْرَأَةِ عَبْدِالرَّحْمَنِ: أَقَالَ لَكِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انْكَحِي سَيِّدَ المُسْلِمِينَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ(١).

وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

مَعَ الصِّدِّيقِ

بَعْدَ انْتِقَالِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى تَوَلَّى أَمْرَ المُسْلِمِينَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فَكَانَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ بِجَانِبِهِ يَنْصَحُهُ وَالصِّدِّيقُ يَسْتَشِيرُهُ.

خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يُشَيِّعُ جَيْشَ أُسَامَةَ، وَكَانَ يَسِيرُ مَاشِياً، وَأُسَامَةُ رَاكِباً، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ يَقُودُ دَابَّةَ أَبِي بَكْرٍ.

---

(١) أخرجه ابن عساكر، وأخرجه البخاري في التاريخ الصغير ١/٩٠ عن عبدالرحمن بن حميد عن أبيه أن النبي، صلى الله عليه وسلم، دعا بسرة بنت صفوان وقال: «من يخطب أم كلثوم؟ قالت: فلان، وفلان وعبدالرحمن بن عوف قال: «أنكحوا عبدالرحمن فإنه من خيار المسلمين». فأرسلت إلى أخيها الوليد وقالت: أنكحني عبدالرحمن الساعة.

وَرَدَّ أَبُو بَكْرٍ وَفْدَ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ امْتَنَعُوا عَنْ دَفْعِ الزَّكَاةِ، مُسَفِّهَاً رَأْيَهُمْ، مُصِرّاً عَلَى رَأْيِهِ فِي إِجْبَارِهِمْ عَلَى الخُضُوعِ التَّامِّ لِلدِّينِ فَعَادَ رِجَالُ الوَفْدِ إِلَى قَبَائِلِهِمْ وَأَخْبَرُوهُمْ بِقِلَّةِ عَدَدِ المُسْلِمِينَ حَيْثُ كَانَ جَيْشُ أُسَامَةَ قَدِ انْطَلَقَ، وَأَطْمَعُوهُمْ بِغَزْوِ المَدِينَةِ. فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ كِبَارَ الصَّحَابَةِ عَلَى مَنَافِذِ المَدِينَةِ إِلَى البَادِيَةِ وَمِنْهُمْ: عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وَعَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِاللَّهِ، وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ، وَعَبْدُاللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ، وَطَلَبَ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ أَنْ يَكُونُوا فِي المَسْجِدِ اسْتِعْدَاداً لِكُلِّ طَارِىءٍ.

وَعِنْدَمَا شَعَرَ أَبُو بَكْرٍ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ أَخَذَ يَسْتَشِيرُ الصَّحَابَةَ فِيمَنْ يَسْتَخْلِفُ وَفِي عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ بِالذَّاتِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَشَارَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ: فَقَالَ لَهُ: مَا تَسْأَلُنِي عَنْهُ أَمْراً إِلَّا وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. فَقَالَ لَهُ: وَإِنْ. فَقَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ: هُوَ أَفْضَلُ مِنْ رَأْيِكَ فِيْهِ.

وَدَخَلَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ عَلَى أَبِي بَكْرٍ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيْهِ فَوَجَدَهُ مُقَنَّعَاً، فَقَالَ لَهُ عَبْدُالرَّحْمَنِ: أَصْبَحْتَ بِحَمْدِاللَّهِ بَارِئَاً، فَقَالَ: أَبُرْءٌ ذَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَما إِنِّي عَلَى ذَلِكَ لَشَدِيدُ الوَجَعِ وَلِمَا لَقِيتُ مِنْكُمْ أَيُّهَا المُهَاجِرُونَ أَشَدُّ

عَلَيَّ مِنْ وَجَعِي، إنِّي وَلَّيْتُ عَلَيْكُمْ خَيْرَكُمْ فِي نَفْسِي، فَكُلُّكُمْ وَرِمَ أَنْفُهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الأَمْرُ دُونَهُ، وَرَأَيْتُمُ الدُّنْيَا قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلَمَّا تُقْبِلُ، وَهِي مُقْبِلَةٌ حَتَّى تَتَّخِذُوا سُتُورَ الحَرِيرِ وَنَضَائِدَ الدِّيبَاجِ، وَحَتَّى يَأْلَمَ أَحَدُكُمْ بِالاضْطِجَاعِ عَلَى الصُّوفِ الأَذْرَبِيِّ[1] كَمَا يَأْلَمُ أَحَدُكُمْ إِذَا نَامَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ[2]، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَنْ يُقَدَّمَ أَحَدُكُمْ فَتُضْرَبَ عُنُقُهُ فِي غَيْرِ حَدٍّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَخُوضَ غَمَرَاتِ الدُّنْيَا، ثُمَّ أَنْتُمْ غَدَاً أَوَّلُ ضَالٍّ بِالنَّاسِ يَمِيناً وَشِمَالاً لاَ تُضِيعُوهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ، يَا هَادِيَ الطَّرِيقِ جُرْتَ، إِنَّمَا هُوَ الفَجْرُ أَوِ البَجْرُ[3]. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: حَفِظَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَإِنَّ هَذَا يَهِيضُكَ إِلَى مَا بِكَ، إِنَّمَا النَّاسُ فِي أَمْرِكَ رَجُلاَنِ: إِمَّا رَجُلٌ رَأَى مَا رَأَيْتَ فَهُوَ مَعَكَ، وَإِمَّا رَجُلٌ رَأَى مَا لَمْ تَرَ فَهُوَ يُشِيرُ عَلَيْكَ بِمَا يَعْلَمُ، وَصَاحِبُكَ كَمَا تُحِبُّ أَوْ يُحِبُّ، وَلاَ نَعْلَمُكَ أَرَدْتَ إِلاَّ الخَيْرَ، وَلَمْ تَزَلْ صَالِحَاً مُصْلِحَاً مَعَ أَنَّكَ لاَ تَأْسَى عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا. وَأَوْصَى أَبُو بَكْرٍ بِمَا يَلِي:

---

(١) الأذربي: نسبةً إلى أذربيجان، وهو صوف شديد النعومة.

(٢) حسك السعدان: نبات كثير الشوك.

(٣) البجر: الدهماء. والمعنى. في الفجر تبصر الطريق، وفي الظلمة يحلّ المكروه.

أ ـ أَنْ يُرَدَّ مَا عِنْدَهُ مِنْ مَالٍ إِلَى بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينَ عَنْ طَرِيقِ الخَلِيفَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ.

٢ء ـ أَنْ يُرَدَّ البُسْتَانُ الَّذِي يَمْلِكُهُ إِلَى بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينَ عِوَضاً عَمَّا أَخَذَ مِنْ بَيْتِ المَالِ مُدَّةَ خِلاَفَتِهِ.

٣ء ـ أَنْ يُتَصَدَّقَ خُمْسُ مَا يمْلِكُ مِنْ أَرْضِ العَالِيَةِ، وَمَا يَبْقَى يُقَسَّمُ بَيْن أَوْلاَدِهِ.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ أَرْسَلَ أَهْلُهُ مَا تَرَكَ إِلَى الخَلِيفَةِ، وَهِيَ عَبْدٌ، وَبَعِيرٌ، وَجُرْدُ قَطِيفَـةٍ، فَلَمَّا تَسَلَّمَهَا عُمَرُ فَاضَتْ دُمُوعُهُ، وَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ لَقَدْ أَتْعَبَ مَنْ بَعْدَهُ. وَأَمَرَ عُمَرُ الغُلاَمَ أَنْ يَرْفَعَ تِلْكَ التَّرِكَةَ، فَقَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ، تَسْلُبُ عِيَالَ أَبِي بَكْرٍ عَبْدَاً حَبَشِيَّاً، وَبَعِيراً نَاضِحاً، وَجُرْدَ قَطِيفَةٍ مَا تُسَاوِي خَمْسَةَ دَرَاهِمَ؟ قَالَ: فَمَاذَا تَأْمُرُ؟ قَالَ: تَرُدُّهُنَّ عَلَى عِيَالِهِ. قَالَ: لاَ، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدَاً بِالحَقِّ لاَ يَكُونُ هَذَا فِي وِلاَيَتِي أَبَدَاً، وَلَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ لِيَخْرُجَ مِنْهُنَّ عِنْدَ المَوْتِ، وَأَرُدُّهُنَّ أَنَا عَلَى عِيَالِهِ، المَوْتُ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ.

أَمَّا البُسْتَانُ، فَقَدْ قَالَ عُمَرُ فِيهِ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، لَقَدْ أَحَبَّ أَنْ لاَ يَدَعَ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ مَقَالَةً، وَأَنَا وَلِيُّ الأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ قَدْ رَدَدْتُهَا عَلَى عِيَالِهِ، وَرَفَضَ أَنْ يَأْخُذَ البُسْتَانَ.

مَعَ الفَارُوقِ

وَكَانَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ بِجَانِبِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَنْصَحُهُ وَابْنُ الخَطَّابِ يَسْتَشِيرُهُ وَإِذَا انْطَلَقَ إِلَى خَارِجِ المَدِينَةِ أَخَذَهُ مَعَهُ.

وَلَمَّا اسْتُخْلِفَ عُمَرُ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ بَعَثَ تِلْكَ السَّنَةَ عَلَى الحَجِّ عَبْدَالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ.

وَقَالَ عُمَرُ يَوْماً فِي المَجْلِسِ فِي المَسْجِدِ: مَا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ بِالمَجُوسِ؟ فَقَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ». فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى جَزْءِ بنِ مُعَاوِيَةَ ـ وَالِي مَيْسَانَ ـ أَنْ خُذْ مِمَّنْ قِبَلَكَ مِنَ المَجُوسِ الجِزْيَةَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخَذَ الجِزْيَةَ مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ.

وَكَانَ عَبْدُالرَّحْمَنِ أَجْرَأَ الصَّحَابَةِ عَلَى الخَلِيفَةِ فَاجْتَمَعَ يَوْماً عُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِاللَّهِ، فَقَالُوا لِعَبْدِالرَّحْمَنِ: لَوْ كَلَّمْتَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَنْ يَلِينَ لِلنَّاسِ فَإِنَّهُ قَدْ أَخْشَانَا حَتَّى وَاللَّهِ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُدِيمَ إِلَيْهِ أَبْصَارَنَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ طَالِبُ الحَاجَةِ يَأْتِيهِ فَتَمْنَعُهُ هَيْبَتُهُ أَنْ يُكَلِّمَهُ فِي حَاجَتِهِ، فَيَرْجِعَ وَمَا يَقْضِي حَاجَتَهُ.

فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَكَلَّمَهُ فَقَالَ لَهُ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لِنْ لِلنَّاسِ فَإِنَّهُ يَقْدُمُ الْقَادِمُ فَتَمْنَعُهُ هَيْبَتُكَ أَنْ يُكَلِّمَكَ فِي حَاجَتِهِ حَتَّى يَرْجِعَ وَمَا يُكَلِّمُكَ.

قَالَ: يَاعَبْدَالرَّحْمَنِ، أُنْشِدُكَ اللَّهَ أَعَلِيٌّ، وَعُثْمَانُ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ أَمَرُوكَ بِهَذَا.

قَالَ: اللَّهُمَ نَعَمْ.

قَالَ: يَا عَبْدَالرَّحْمَنِ، لَقَدْ لِنْتُ لِلنَّاسِ حَتَّى خَشِيتُ اللَّهَ فِي اللِّينِ، ثُمَّ اشْتَدَدْتُ حَتَّى خَشِيتُ اللَّهِ فِي الشِّدَّةِ، وَايْمِ اللَّهِ لأَنَا أَشَدُّ مِنْهُمْ فَرَقَاً مِنْهُمْ مِنِّي فَأَيْنَ الْمَخْرَجُ؟.

وَقَامَ يَبْكِي يَجُرُّ رِدَاءَهُ.

فَجَعَلَ عَبْدُالرَّحْمَنِ يَقُولُ: أُفٍّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِكَ.

وَكَانَ عُمَرُ وَعَبْدُالرَّحْمَنِ مَعَاً فِي الْمَوْسِمِ، فَجَاءَ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ ظَبْيَاً وَأَنَا مُحْرِمٌ، فَالْتَفَتَ عُمَرُ إِلى عَبْدِالرَّحْمَنِ فَقَالَ: قُلْ: فَقَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ: يَهْدِي شَاةً، فَقَالَ عُمَرُ: خُذْ شَاةً مِنَ الغَنَمِ فَتَصَدَّقْ بِلَحْمِهَا وَاسْقِ إِهَابَهَا(١). فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ مَا دَرَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا فِيهَا

---

(١) واسق إهابها: اعط جلدها من يجعله سقاءً.

حَتَّى اسْتَفْتَى غَيْرَهُ، فَخَفَقَهُ عُمَرُ بِالدُّرَّةِ وَقَالَ: أَتَقْتُلُ فِي الحَرَمِ وَتَغْمِصُ الفِتْيَا(١)؟ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾. فَأَنَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، وَهَذَا عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ.

وَعَبْدُ الرَّحمن هُوَ الَّذِي قَدْ أَشَارَ عَلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ بِجَلْدِ شَارِبِ الخَمْرِ ثَمَانِينَ جَلْدَةً، فَنَفَّذَ عُمَرُ، وَأَقَامَ الحَدَّ بِثَمَانِينَ جَلْدَةً.

وَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَعَ الفَارُوقِ إِلَى الشَّامِ لِاسْتِلَامِ القُدْسِ، وَحَضَرَ الصُّلْحَ الَّذِي أَعْطَاهُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ لِأَهْلِ إِيلْيَاءَ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ مَعَ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، وَعَمْرِو بنِ العَاصِ، وَمُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ.

وَشَفَعَ عَبْدُالرَّحْمَنِ لِلْحُطَيْئَةِ عِنْدَ عُمَرَ فَأَخْرَجَهُ مِنَ السِّجْنِ وَلَكِنْ حَذَّرَهُ مِنَ الهِجَاءِ.

وَنَادَى عُمَرُ يَوْماً: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ صَعِدَ المِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَأَنَا أَرْعَى عَلَى خَالَاتٍ لِي مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ فَكُنْتُ أَسْتَعْذِبُ

---

(١) تغمص الفتيا: لا تعجبك الفتيا.

لهُنَّ المَاءَ فَيَقْبِضْنَ لِيَ القَبْضَةَ مِنَ التَّمْرِ أَوِ الزَّبِيبِ ثُمَّ نَزَلَ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ: مَا أَرَدْتَ إِلَى هَذَا يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ عَوْفٍ، خَلَوْتُ بِنَفْسِي فَقَالَتْ لِي: أَنْتَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ، فَمَنْ ذَا أَفْضَلُ مِنْكَ؟ فَأَرَدْتُ أَنْ أُعَرِّفَهَا قَدْرَهَا.

وَعِنْدَمَا خَرَجَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ مَرَّةً ثَانِيَةً إِلَى الشَّامِ خَرَجَ مَعَهُ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ أَيْضاً، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى سَرَغَ قُرْبَ تَبُوكَ لَقِيَ أُمَرَاءَ الأَجْنَادِ أَبَا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ وَقَادَتَهُ وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الطَّاعُونَ قَدْ وَقَعَ فِي الشَّامِ، فَاسْتَشَارَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ النَّاسَ فَاخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ أَيَدْخُلُونَ أَمْ يَرْجِعُونَ، ثُمَّ رَأَوْا أَنْ يَرْجِعُوا، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَاراً مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ! نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ. فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَغَيِّباً فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْماً، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تُقْدِمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ». فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

بَعْدَ أَنْ هُزِمَ المُسْلِمُونَ فِي مَعْرَكَةِ «الجِسْرِ»، ثُمَّ ثَأَرُوا مِنَ الفُرْسِ فِي مَعْرَكَةِ «البُوَيْب»، لَكِنِ الفُرْسَ جَمَعُوا كَلِمَتَهُمْ بَعْدَهَا وَوَحَّدُوا صُفُوفَهُمْ، وَجَمَعُوا الجُمُوعَ وَقَـرَّرُوا مُهَاجَمَةَ المُسْلِمِينَ، وَأُخْبِرَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ فَحَثَّ عَلَى الجِهَـادِ، وَخَرَجَ بِنَفْسِهِ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى المَدِينَةِ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى «الصِّرَارِ» عَقَدَ مَجْلِسَاً لِلشُّورَى، وَأَرْسَلَ إِلى نَائِبِهِ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ المَدِينَةِ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ خُرُوجِهِ فَكُلُّهُمْ وَافَقَهُ إِلَّا عَبْدَالرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ: إِنِّي أَخْشَى إِنْ كُسِرْتَ أَنْ تُضْعِفَ أَمْرَ المُسْلِمِينَ فِي سَائِرِ أَقْطَارِ الأَرْضِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَبْعَثَ رَجُلاً وَأَنْ تَرْجِعَ إِلَى المَدِينَةِ، فَمَالَ عُمَرُ إِلَى رَأْيِهِ فَسَأَلَهُ مَنْ يَبْعَثُ؟ فَقَالَ: إِنِّي وَجَدْتُهُ إِنَّهُ الأَسَدُ فِي بَرَاثِنِهِ، إِنَّهُ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَوَافَقَ الجَمِيعُ، وَرَجَعَ عُمَرُ إِلَى المَدِينَةِ.

وَحَجَّ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَهِيَ السَّنَةُ الأَخِيرَةُ مِنْ حَيَاتِهِ، وَسَمَحَ لِأُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ بِالحَجِّ، فَحُمِلْنَ فِي الهَوَادِجِ، وَبَعَثَ مَعَهُنَّ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ، وَعَبْدَالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، فَكَانَ عُثْمَانُ يَسِيرُ عَلَى رَاحِلَتِهِ أَمَامَهُنَّ فَلَا يَدَعُ أَحَدَاً يَدْنُو مِنْهِنَّ، وَكَانَ

عَبْدُالرَّحْمَنِ يَسِيرُ مِنْ وَرَائِهِنَّ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَلاَ يَدَعُ أَحَداً يَدْنُو مِنْهُنَّ، وَيَنْزِلْنَ مَعَ عُمَرَ كُلَّ مَنْزِلٍ، فَكَانَ عُثْمَانُ وَعَبْدُالرَّحْمَنِ يَنْزِلاَنِ بِهِنَّ فِي الشِّعَابِ فَيُقْبِلاَنِهُنَّ الشِّعَابَ، وَيَنْزِلاَنِ هُمَا فِي أَوَّلِ الشِّعْبِ فَلاَ يَتْرُكَانِ أَحَداً يَمُرُّ عَلَيْهِنَّ.

وَلَمَّا طُعِنَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ جَعَلَ الشُّورَى فِي سِتَّةٍ وَهُمْ: عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، وَعَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وَطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِاللَّهِ، وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، أَيْ مَنْ بَقِيَ حَيَّاً مِنَ العَشْرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ غَيْرَ أَنَّهُ اسْتَثْنَى مِنْهُمُ ابنَ عَمِّهِ سَعِيدَ بنَ زَيْدٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ. وَقَالَ لَهُمْ عُمَرُ: إِنِ اجْتَمَعَ رَأْيُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَتْبَعِ الاثْنَانِ الأَرْبَعَةَ، وَإِذَا اجْتَمَعَ رَأْيُ ثَلاَثَةٍ وَثَلاَثَةٍ فَاتْبَعُوا رَأْيَ عَبْدِالرَّحْمَنِ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ صَفَّقَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى فَاتْبَعُوهُ[1].

اجْتَمَعَ رِجَالُ الشُّورَى وَتَدَاوَلُوا بِالأَمْرِ، ثُمَّ قَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ، وَقَدْ كَانَ فِي البِدَايَةِ أَوَّلَ المُتَكَلِّمِينَ: أَيُّكُمْ يُخْرِجُ مِنْهَا نَفْسَهُ، وَيَتَقَلَّدُهَا عَلَى أَنْ يُوَلِّيَهَا أَفْضَلَكُمْ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ. فَقَالَ: أَنَا أَنْخَلِعُ مِنْهَا. فَوَافَقُوا. وَبَدَأَ فِي

(١) أنساب الأشراف ٥/١٥.

الْمُشَاوَرَاتِ بَيْنَ النَّاسِ وَفِي الأَحَادِيثِ مَعَ رِجَالِ الشُّورَى.
وَبَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ حَزَمَ عَبْدُالرَّحْمَنِ رَأْيَهُ أَنْ يَأْخُذَ الْبَيْعَةَ لِعُثْمَانَ أَوْ لِعَلِيٍّ أَمَامَ الصَّحَابَةِ. وَبَعْدَ أَنْ صَلَّى الْمُسْلِمُونَ الْفَجْرَ فِي الْمَسْجِدِ، جَمَعَ أَصْحَابَ الشُّورَى، وَبَعَثَ إِلَى مَنْ حَضَرَ مَنْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَأَهْلَ السَّابِقَةِ وَالْفَضْلِ مِنَ الأَنْصَارِ، وَإِلَى أُمَرَاءِ الأَجْنَادِ، فَاجْتَمَعُوا حَتَّى غَصَّ الْمَسْجِدُ بِأَهْلِهِ. فَقَامَ عَبْدُالرَّحْمَنِ وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَجْمَعُوا أَنْ يَلْحَقَ أَهْلُ الأَمْصَارِ بِأَمْصَارِهِمْ وَقَدْ عَلِمُوا مَنْ أَمِيرُهُمْ. فَأَبْدَى بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ رَأْيَهُمْ، فَتَكَلَّمَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَأَعْطَى رَأْيَهُ لِصَالِحِ عَبْدِالرَّحْمَنِ، إِذْ قَالَ: إِنَّا نَرَاكَ لَهَا أَهْلاً، فَقَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ: أَشِيرُوا عَلَيَّ بِغَيْرِ هَذَا. فَقَامَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَأَيَّدَ عَلِيّاً، وَوَافَقَهُ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو، ثُمَّ قَامَ عَبْدَاللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنِ أَبِي سَرْحٍ فَأَيَّدَ عُثْمَانَ، وَوَافَقَهُ عَبْدُاللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ. وَكَادَتِ الأَصْوَاتُ تَعْلُو، وَعِنْدَهَا وَقَفَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَقَالَ: يَا عَبْدَالرَّحْمَنِ، افْرُغْ قَبْلَ أَنْ يُفْتَنَ النَّاسُ، فَقَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ: إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ وَشَاوَرْتُ، فَلاَ تَجْعَلَنْ أَيُّهَا الرَّهْطُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلاً، وَدَعَا عَلِيّاً، فَقَالَ: عَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ لَتَعْمَلَنَّ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَسِيرَةِ الْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ؟ قَالَ: أَرْجُو أَنْ أَفْعَلَ وَأَعْمَلَ بِمَبْلَغِ عِلْمِي وَطَاقَتِي. وَدَعَا

عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِعَلِيٍّ، قَالَ: نَعَمْ. فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَ النَّاسُ جَمِيعاً. وَأَصْبَحَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ خَلِيفَةَ المُسْلِمِينَ.

مَعَ ذِي النُّورَيْنِ

وَقَفَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ بِجَانِبِ الخَلِيفَةِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ كَمَا وَقَفَ بِجَانِبِ الخَلِيفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِهِ، فَكَانَ عَبْدُالرَّحْمَنِ يَنْصَحُ لِلْخَلِيفَةِ وَابْنُ عَفَّانَ يَسْتَشِيرُهُ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ.

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَهِيَ السَّنَةُ الأُولَى مِنْ خِلاَفَةِ عُثْمَانَ اسْتُخْلِفَ عَبْدُالرَّحْمَنِ عَلَى الحَجِّ.

عَاشَ عَبْدُالرَّحْمَنِ ثَمَانَ سَنَوَاتٍ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ قَضَاهَا كُلَّهَا فِي المَدِينَةِ، إِذْ كَانَتْ قَدْ تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُّ، فَلَمْ يَخْرُجْ لِتِجَارَةٍ وَلَمْ يَنْطَلِقْ لِجِهَادٍ، وَلَمْ تَكُنِ الفِتْنَةُ قَدْ بَدَأَتْ. فَكَانَ فِي هَذِهِ المُدَّةِ قَرِيباً مِنَ الخَلِيفَةِ هُوَ وَعَدَدٌ آخَرُ مِنَ الصَّحَابَةِ يُبْدُونَ رَأْيَهُمْ فِي كُلِّ مَوْضُوعٍ وَيَسْتَشِيرُهُمُ الخَلِيفَةُ فِيمَا يَجِدُّ مِنْ أُمُورٍ.

اشْتَكَى الخَلِيفَةُ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ رُعَافاً، فَدَعَا حُمْرَانَ، فَقَالَ: اكْتُبْ لِعَبْدِالرَّحْمَنِ العَهْدَ مِنْ بَعْـدِي، فَكَتَبَ لَهُ، وَانْطَلَقَ حُمْـرَانُ إِلَى عَبْدِالرَّحْمَنِ، فَقَالَ: البُشْرَى، قَالَ: وَمَا

ذاكَ؟ قالَ: إنَّ عُثْمانَ قَدْ كَتَبَ لَكَ العَهْدَ مِنْ بَعْدِهِ. فَقَامَ بَيْنَ القَبْرِ وَالمِنْبَرِ، فَدَعَا، فقَالَ: اللَّهُمَّ إنْ كَانَ مِنْ تَوْلِيَةِ عُثْمَانَ إيَّايَ هَذَا الأَمْرَ، فَأَمِتْنِي قَبْلَهُ. فَلَمْ يَمْكُثْ إلاَّ سِتَّةَ أَشْهُرٍ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ.

وَعَنْ إبْرَاهِيمَ بنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، قَالَ: غُشِيَ عَلَى عَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ فِي وَجَعِهِ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّه قَدْ فَاضَتْ نَفْسُهُ، حَتَّى قَامُوا مِنْ عِنْدِهِ وَجَلَّلُوهُ. فَأَفَاقَ يُكَبِّرُ، فَكَبَّرَ أَهْلُ البَيْتِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: غُشِيَ عَلَيَّ آنِفَاً؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: صَدَقْتُمْ، انْطَلَقَ بِي فِي غَشْيَتِي رَجُلاَنِ أَجِدُ فِيهِمَا شِدَّةً وَفَظَاظَةً، فَقَالاَ: انْطَلِقْ نُحَاكِمْكَ إلَى العَزِيزِ الأَمِينِ، فَانْطَلَقَا بِي حَتَّى لَقِيَا رَجُلاً، قَالَ: أَيْنَ تَذْهَبَانِ بِهَذَا؟ قَالاَ: نُحَاكِمُهُ إلَى العَزِيزِ الأَمِينِ. فَقَالَ: ارْجِعَا، فَإِنَّهُ مِنْ الَّذِينَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمُ السَّعَادَةَ وَالمَغْفِرَةَ وَهُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَإِنَّهُ سَيُمَتَّعُ بِهِ بَنُوهُ إلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، فَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ شَهْرَاً.

وَبَاعَ أَرْضَاً مِنْ عُثْمَانَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَسَّمَهُ فِي فُقَرَاءِ بَنِي زُهْرَةَ، وَفِي المُهَاجِرِينَ، وَأُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ. قَالَ المِسْوَرُ: فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ بِنَصِيبِهَا، فَقَالَتْ: مَنْ أَرْسَلَ بِهَذَا؟ قُلْتُ: عَبْدُالرَّحْمَنِ. قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَقُولُ: «لَا يَحْنُو عَلَيْكُنَّ بَعْدِي إِلَّا الصَّابِرُونَ»[1] سَقَى اللَّهُ ابنَ عَوْفٍ مِنْ سَلْسَبِيلِ الجَنَّةِ.

وَفَاةُ عَبْدِالرَّحْمَنِ

تُوُفِّيَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ.

قَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ مَاتَ عَبْدُالرَّحْمَنِ: اذْهَبْ ابنَ عَوْفٍ فَقَدْ أَدْرَكْتَ صَفْوَهَا وَسَبَقْتَ رَنْقَهَا.

وَقَالَ عَمْرُو بنُ العَاصِ: أَذْهَبُ عَنْكَ ابنَ عَوْفٍ فَقَدْ ذَهَبْتَ بِبِطْنَتِكَ مَا تَغَضْغَضَ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ.

وَكَانَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي جَنَازَةِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بَيْنَ يَدَيِ السَّرِيرِ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاجَبَلَاهُ.

وَدُفِنَ بِالبَقِيعِ.

وَقَد أَوْصَى بِأَلْف فَرَسٍ وَخَمْسِينَ أَلفِ دِينَارٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَتَرَكَ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ كَانَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ ثَمَانِينَ أَلْفاً.

وَتَرَكَ أَلْفَ بَعِيرٍ وَثَلَاثَةِ آلَافِ شَاةٍ وَمِائَةَ فَرَسٍ تَرْعَى بِالبَقِيعِ.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٠٤/٦، ١٣٥، وأخرجه الحاكم ٣٠١/٣-٣١١.

لَهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ حَدِيثَانِ، وَانْفَرَدَ لَهُ البُخَارِيُّ بِخَمْسَةِ أَحَادِيثَ، وَلَهُ فِي مُسْنَدِ «بَقِيِّ بنِ مَخْلَدٍ» خَمْسَةٌ وَسِتُّونَ حَدِيثاً.

رَوَى عَنْهُ عَبْدُاللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ، وَعَبْدُاللَّهِ بنُ عُمَرَ، وَأَنَسُ بنُ مَالِكٍ، وَمَالِكُ بنُ أَوْسٍ، وَبَنُوهُ: إِبْرَاهِيمُ، وَحَمِيدُ، وَمُصْعَبُ، وَأَبُو سَلَمَةَ، وَعَمْرُو.

الفهرس

